

مملكة تال عربيتا السوويتا

وزارة القليم العالي

جامعة أم القرى

كلية التربية

قسم التربية الإسلامية والمقارنة



٣٠١٠٢٠٠٠٠١٦٧٠

التربية الجهادية في الإسلام

من خلال سورة الأنفال

رسالة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في التربية الإسلامية والمقارنة من كلية التربية بجامعة أم القرى
مكة المكرمة

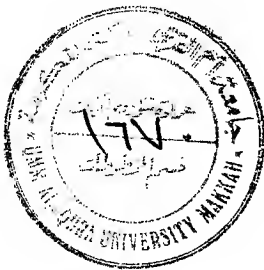
٢٠٠٢

إعداد الطالب

أحمد تاجي إدريس

إشراف الدكتور

عنترة لطفي محمد



الفصل الدراسي الثاني

عام ١٤١٠ هـ



سَيِّدِي

رَبِّنا
عَلَيْكَ حَيَّ
تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ
وَالْبَكَرُ الْمَصِيرُ

سَيِّدِي

❖ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْنِلُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْنِلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُنُكُمْ
عَلَى بَحْرَةٍ نُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَّمنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ
طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ
مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقِلْتُمْ
إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿٣٩﴾ قَدِيرٌ

(د)

(قائمة المحتويات)

الموضوع	الصفحة
قرار بإجازة الخطة	أ
ملخص الرسالة	ب
كلمة شكر	ج
قائمة المحتويات	د
فهرس الآيات الكريمة	ط
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	ن
مقدمة	١

(الفصل التمهيدي)

(خطة البحث)

١ - أهمية البحث	٨
٢ - مشكلة البحث وتساؤلاته	٩
٣ - أهداف البحث	١١
٤ - حدود البحث	١١
٥ - سبب الاختيار لسورة الأنفال للدراسة	١٢
٦ - تعريف المصطلحات	١٢
٧ - منهج البحث	١٣
٨ - الدراسات السابقة	١٥

(الفصل الأول)

مفهوم الجهاد وأهميته في الاسلام

١ - تعريف الجهاد في الاسلام	٢٣
٢ - حكم الجهاد في الاسلام	٢٧
٣ - مراحل تشريع الجهاد في الاسلام	٣٠
٤ - فصل الجهاد في الاسلام	٣٧
٥ - أنواع الجهاد في الاسلام	٥٦
٦ - أهداف الجهاد في الاسلام	٦٧

- ٧ - تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر ٨٠
- ٨ - أبدية الجهاد وأنه ماض إلى يوم القيامة ٨٤

(الفصل الثاني)

مفهوم التربية الجهادية وأهميتها

- ١ - مفهوم التربية الجهادية ٨٨
- ٢ - أهمية التربية الجهادية للفرد والأمة ٩٥
- ٣ - نماذج ومورحية تطبيقية للتربية الجهادية من سير الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين ١٠٣

(الفصل الثالث)

(الجهاد في سورة الأنفال)

✧ المبحث الأول : (الجهاد في سورة الأنفال)

- ١ - مكانة السورة وأغراضها في القرآن الكريم ١١٢
- ٢ - أسباب النزول ١١٤
- ٣ - أنواع الجهاد في السورة الكريمة ١١٦
- ٤ - أهداف الجهاد في السورة الكريمة ١٢٤
- ٥ - أساليب القتال في السورة ١٢٨
- ٦ - نعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر ١٣٤
- ٧ - العلاقة بين القائد وجنده كما وردت في السورة الكريمة ١٤٣
- ٨ - آداب الجهاد في الاسلام من خلال سورة الأنفال ١٤٧
- ٩ - الإعداد للجهاد كما جاء في السورة الكريمة ١٥٢
- ١٠ - مفهوم الجنوح للسلّم كما جاء في السورة الكريمة ١٥٥
- ١١ - مفهوم الهجرة كما جاء في السورة الكريمة ١٥٨

✧ المبحث الثاني :

- منهج تربية المجاهدين في سورة الأنفال ١٦٢

(الفصل الرابع)

(واجب المؤسسات التربوية المختلفة في التربية الجهادية)

* المبحث الأول : (واجب الأسرة في التربية الجهادية)

يشمل الخطوات النظرية :

- ١ - ترسيخ عقيدة الاسلام في نفوس الناشئة ١٧٦
- ٢ - تحلية نفوس الأولاد بالأخلاق الحسنة ١٨٤
- ٣ - تربية الأولاد على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة ولاية الأمور في المعروف ١٨٩
- ٤ - تربية الناشئة على الوحدة والاتفاق وعدم التفرق والاختلاف .. ١٩٣
- ٥ - تربية الناشئين على تحمل المسؤولية الفردية والجماعية .. ١٩٦
- ٦ - تربية الناشئة على العزة والكرامة والرجولة والشجاعة ١٩٩
- ٧ - تعويد الناشئة على التقشف ٢٠٧
- ٨ - تعويد الناشئة على النظام ٢٠٩
- ٩ - تبصير الأولاد على حقيقة الجهاد في الاسلام ٢١٢

الخطوات العملية :

- ١ - أن يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهم في حياتهم الجهادية ٢١٣
- ٢ - تحفيظ الولد سورة الأنفال ، والتوبة ، والأحزاب ، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ، ونصوصاً أخرى من الكتاب والسنة والمتعلقة بالجهاد ٢١٥
- ٣ - دراسة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامي ٢١٦
- ٤ - تعويد الناشئة على الانفاق في سبيل الله تعالى ٢١٨
- ٥ - الحفاظ على صحة الناشئة وتربيتها جسمياً وعقلياً ونفسياً ٢١٩
- ٦ - الاهتمام بشئون المسلمين عامة وبالقضايا الاسلامية الراهنة خاصة ٢٢٣

* المبحث الثاني : (واجب المدرسة في التربية الجهادية)

الخطوات النظرية :

- ١ - تقوية الإيمان وترسيخه في نفوس التلاميذ بالوسائل المختلفة .. ٢٣٤
- ٢ - تركية نفوس الناشئين بالعبادات والأخلاق الحسنة ٢٣٩

- ٢٤٣ - ٣ - غرس خلق الشجاعة والجرأة والرجولة والخشونة في نفوس التلاميذ
- ٢٤٧ - ٤ - تعويد التلاميذ على النظام
- ٢٤٩ - ٥ - غرس روح الاستشعار بالمسؤولية وتنمية الروح الجماعية لدى التلاميذ
- ٢٥١ - ٦ - غرس روح الفداء والتضحية بالنفس والمال على أذهان التلاميذ
- ٢٥٤ - ٧ - إدراك معنى الولاء والبراءة في نفوس التلاميذ

الخطوات العملية :

- ٢٥٧ - ١ - دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم
- دراسة أحاديث الجهاد في كتب الحديث
- دراسة فقه الجهاد في كتب الفقه
- دراسة شعر الجهاد في كتب الأدب
- ٢٥٨ - ٢ - دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة واعية
- ٢٦٠ - ٣ - دراسة التاريخ الاسلامي بشكل عام بصيغته الاسلامية وذكر قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام
- ٢٦٢ - ٤ - التربية البدنية للفرد
- ٢٦٥ - ٥ - حفظ التلاميذ عن أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي ...
- ٢٦٧ - ٦ - الاستفادة من المسرح المدرسي
- ٢٦٨ - ٧ - جمع التبرعات المالية دعماً للحركة الجهادية وتعويدهم على الانفاق في سبيل الله تعالى

✧ المبحث الثالث :

(واجب المسجد في التربية الجهادية)

- مقدمة عن مكانة المسجد في الاسلام عامة وفي التربية والتعليم خاصة
- ٢٧١ - ١ - غرس التربية الايمانية والأخلاقية في نفوس المؤمنين عامة وفي نفوس الناشئة خاصة
- ٢٧٩ - ٢ - دعم روح الأخوة والتعاون بين المؤمنين
- ٢٨٣ - ٣ - انتهاز المناسبات التاريخية لإحياء الروح الجهادية في قلوب المؤمنين
- ٢٨٦ - ٤ -

- ٢٨٧ ٤ - الاهتمام بالدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى
- ٢٩٠ ٥ - الاهتمام بالقضايا الإسلامية الراهنة

*** المبحث الرابع :** (واجب وسائل الإعلام في التربية الجهادية)

- ٢٩٥ - مقدمة عامة عن دور وسائل الإعلام في التربية وعلاقتها بالجهاد
- ١ - غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس الناس عامة، وفي نفوس الشباب خاصة
- ٢٩٩ ٢ - الإسهام الجاد لتوثيق أواصر الإخاء والتآزر والتضامن بين المسلمين
- ٢٩٩ ٣ - الاهتمام بالدعوة الإسلامية على بصيرة ، وتبصير الرأي العام بعالمية الدعوة الإسلامية
- ٣٠١ ٤ - تقديم بعض البرامج في الإذاعة والتلفزيون عن الجهاد وأهميته في حياة الأمة الإسلامية في الوقت الراهن
- ٣٠٤ ٥ - مواجهة الإعلام المعادي
- ٣٠٥ ٦ - الاهتمام بالرياضة بروح إسلامية عالية
- ٣٠٨ نتائج البحث
- ٣١٢ توصيات البحث
- ٣١٦ المصادر
- ٣١٩ المراجع
- ٣٢٥

أول الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ..	التوبة	١١١	
يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة ..	الصف	١٠	
يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا ..	التوبة	٣٨	
إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ...	التوبة	٣٩	٨
أدع إلى سبيل ربك بالحكمة ...	النحل	١٢٥	٣١
فاعف عنهم واصفح ...	المائدة	١٣	٣١
فاصفح الصفح الجميل ...	الحجر	٨٥	٣١
ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ...	النساء	٧٧	٣١
أذن للذين يقيمون بأنهم ظلموا ...	الحج	٣٩	٣٢
وقتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا ...	البقرة	١٩٠	٣٤
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أذى كثيراً ...	آل عمران	١٨٦	٣٥
فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين	التوبة	٥	٣٥
قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...	التوبة	٢٩	٣٥
الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله ...	النساء	٧٦	٣٩
وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ...	الأنفال	٣٩	٣٩
وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ...	الذاريات	٥٦	٤٢
في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ...	النور	٣٦	٤٣
إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة ...	آل عمران	٩٦	٤٣
قد نرى تقلب وجهك في السماء	البقرة	١٤٤	٤٣
أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ...	التوبة	١٩	٤٤
ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ...	التوبة	١٢٠	٤٥
ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ...	التوبة	٩٢	٤٦
انفروا خفافاً وثقالاً ...	التوبة	٤١	٤٨
ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ...	النساء	١٠٠	٥٣

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	أول الآية
٥٣	١٦٩	آل عمران	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ...
٥٦			جاهدوا في الله حق جهاده.
٥٧	١٤	الملك	ألا يعلم من خلق ...
٥٧	٧	الشمس	ونفس وما سوّٰها ...
٦٠	١٠	البلد	وهديناه النّٰجين
٦٠	٦	فاطر	إن الشيطان لكم عدو..
٦٠	١٦٩	البقرة	يا أيها الناس كلوا مما في الأرض..
٦١	٦٥	الاسراء	إن عبادي ليس لك عليهم سلطان..
٦١	٢٣	الجاثية	أفر يت من اتخذ آلِهه هوِيه..
٦١	٦٣	النحل	تالله لقد أرسلنا إلى أمم ...
٦٢	٣٦	الزخرف	ومن يعش عن ذكر الرحمن ...
٦٢	٦٩	العنكبوت	والذين جاهدوا فينا ...
٦٢	٧٣	التوبة	يا أيها النبي جاهد الكفار ...
٦٢	١٤٥	النساء	إن المنفّٰقين في الدرك الأسفل..
٦٣	١٤٢	النساء	إن المنفّٰقين يخذعون الله ..
٦٣	٢	المنافقون	اتخذوا أيمانهم جنة ..
٦٣	٥٠	التوبة	إن تصبك حسنة تسوّهم
٦٣	١٣٨	النساء	بشر المنفّٰقين بأن لهم عذاب ...
٦٦	٢١٧	البقرة	ولا يزالون يقتلونكم ...
٦٦	١٢٠	البقرة	ولن ترضى عنك اليهود ...
٦٧	٢٩	التوبة	قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ...
٦٩	١٠٥	النساء	إنّا أنزلنا إليك الكتاب ...
٦٩	٤٤	المائدة	ومن لم يحكم بما أنزل الله ...
٧٠	٢٨	سبا	وما أرسلناك إلا كافة للناس
٧١	٦٧	المائدة	يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك
٧٣	١٩٤	البقرة	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ...
٧٣	٣٩	الحج	آذن للذين يقاتلون بأنهم ظالموا...

أول الآيه	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
ومالكم لاتقتلون في سبيل الله ...	النساء	٧٥	٧٣
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ...	الفرقان	٢٠	٧٤
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ..	الفرقان	٣١	٧٤
ألم ، أحسب الناس أن يتركوا ...	العنكبوت	١	٧٥
وتلك الأيام نداولها بين الناس ..	آل عمران	١٤٠	٧٥
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ..	الأنفال	٦٩	٧٦
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ..	الأنفال	٧٣	٧٩
الله وليّ الذين آمنوا ...	البقرة	٢٥٧	٨٤
وانك لعلى خلق عظيم ..	القلم	٥	٨٨
واقم الصلوة ...	العنكبوت	٤٥	٨٨
وجهدهم به جهادا كبيرا	الفرقان	٥٢	٩٠
كنتم خیرامة أخرجت للناس	آل عمران	١١٠	١٩٠
يسئلونك عن الأنفال	الأنفال	١	١١٧
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله	الأنفال	٢	١١٨
وجلّت قلوبهم ...	الأنفال	٤٥	١١٨
ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة	الأنفال	١١٢	١١٩
فاثبتوا ...	الأنفال	١	١١٩
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ...	الأنفال	٣٠	١٢٠
قل أعوذ برب الناس ...	يس	١	١٢١
وإذ يمكر بك الذين كفروا ...	الأنفال	٤٨	١٢٢
يس ، والقرآن الحكيم .	الأنفال	١١	١٢٢
وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ...	الأنفال	٤٩	١٢٣
إذ يغشاكم النّعاس أمانة منه ...	الأنفال	٣٩	١٢٤
إذ يقول المنفقون والذين في قلوبهم مرض ..	الأنفال	٧	١٢٥
وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ...	الأنفال	٣٧	١٢٦
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ...			
ليميز الله الخبيث من الطيب ...			

أول الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...	الأنفال	٦٠	١٢٧
إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفا	الصف	٤	١٣٠
يا أيها الذين آمنوا إذا القيتم الذين كفروا	الأنفال	١٥	١٣٢
زحفا ...	الأنفال	١٢	١٣٣
إذا يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم ...	الأنفال	٥٠	١٣٣
ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا ...	الأنفال	٥٦	١٣٤
الذين عهدت منهم ثم ينفقون عهدهم ...	الأنفال	٥٨	١٣٤
وإما تخافن من قوم خيانة ...	الأنفال	٢٦	١٣٥
واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون ...	الأنفال	٦٢	١٣٥
هو الذي آيدك بنصره وبالمؤمنين ...	الأنفال	٩	١٣٦
إذا تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ...	محمّد	٣٥	١٥٦
فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم ...	الأنفال	٧٢	١٥٨
إن الذين آمنوا وهاجروا وجهدوا ...	الأنفال	٧٣	١٥٩
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ...	الأنفال	٧٤	١٦٠
والذين آمنوا وهاجروا وجهدوا ...	الأنفال	٧٥	١٦٠
والذين آمنوا من بعد وهاجروا ...	الأنفال	٧٦	١٦٣
أطيعوا الله ورسوله ولا تنزعوا ...	الأنفال	٢٦	١٦٤
يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ...	الأنفال	٥	١٦٤
كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ...	الأنفال	٦	١٦٤
يجدلونك في الحق بعدما تبين ...	التوبة	١٠٣	١٦٦
خذ من أموالهم صدقة ...	الأنفال	٢٥	١٦٧
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا ...	الروم	٣٠	١٧٤
فطرة الله التي فطر الناس عليها ...	العصر	١	١٧٧
والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ..	التحريم	٦	١٨١
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم			
وأهلكم نارا ...			

أول الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...	النساء	٥٩	١٨٩
واعتصموا بحبل الله جميعا ...	آل عمران	١٠٣	١٩٣
إنما المؤمنون اخوة ...	الحجرات	١٠	١٩٤
ولقد كرّمنا بني آدم ...	الإسراء	٧٠	٢٠٠
وفي أنفسكم أفلا تبصرون ...	الذاريات	٢١	٢٠١
ألا تقتلون قوما نكثوا أيمانهم ...	التوبة	١٣٠	٢٠٣
وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله ...	آل عمران	١٤٥	٢٠٦
وإذا أردنا أن نهلك قرية ...	الاسراء	١٦	٢٠٧
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ...	الأعراف	٣٠	٢٠٩
وجعلنا الليل لباسا ...	النبأ	١٠	٢١٠
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...	الإسراء	٢١	٢١٤
لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ...	آل عمران	٩٢	٢١٩
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ...	البقرة	٢٢٣	٢١٩
تلك أمة قد خلت ...	البقرة	١٣٤	٢٣١
إن الملوّة تنهى عن الفحشاء ...	العنكبوت	٤٥	٢٣٩
يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر ...	البقرة	١٥٣	٢٤٠
وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ...	البينة	٥	٢٤٠
الذين هم في صلوّتهم خاشعون ...	المؤمنون	٢	
يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصرى أولياء ...	المائدة	٥١	٢٥٤
إنما وليكم الله ورسوله ...	المائدة	٥٥	٢٥٤
ولا تقتلوا أنفسكم ...	النساء	٢٩	٢٦٤
وان المساجد لله ...	الجن	١٨	٢٧١

(فهرس الأحاديث حسب ورودها في البحث)

رقم الصفحة	مصدره	أول الحديث
٢	البخاري	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا...
٢٥	مسلم	هل لك من والدك أحد حتى ...
٢٥	البخاري	جهادكن الحج
٢٥	ابن ماجه	الحج جهاد كل ضعيف
٢٥	الترمذي	المجاهد من جاهد نفسه
٢٦	الترمذي	إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر
٢٨	البخاري، مسلم	لا هجرة بعد الفتح
٣١	النسائي	إني أمرت بالعفو فلا تقتلوا ..
٣٧	الترمذي	رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة كفاحه الجهاد
٤١	البخاري	سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل خير؟
٤٢	البخاري	سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله ...
٤٣	البخاري، مسلم	صلاة في مسجدي هذا خير ...
٤٣	ابن ماجه	صلاة في المسجد الحرام ...
٤٤	مسلم	إن الثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا ...
٤٥	البخاري	من احتبس فرسا في سبيل الله ...
٤٧	الترمذي	أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٧	الترمذي	أن نتصدق ...
٤٨	النسائي	ماض عثمان ماعمل بعد اليوم ...
٤٩	مسلم	جاهدوا المشركين بأموالكم ...
٥٠	البخاري، ومسلم	جاء رجل بناقة مخطومة ..
٥٠	مسلم	من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ...
٥٠	مسلم	جاء رجل فقال: أنى أبعد بي فاحملني

رقم الصفحة	مسند	أول الحديث
٥١	مسلم	رباط يوم وليلة خير من صيام ...
٥١	البخاري	رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا
٥٣	مسلم	من سأل الله الشهادة بصدق ...
٥٣	مسلم	إنما الأعمال بالنيات ...
٥٤	مسلم	أرواحهم في جوف طير خضر ...
٥٤	البخاري، مسلم	ما أحد يدخل الجنب يحب أن يرجع ...
٥٥	مسلم	تضمن الله لمن خرج في سبيله ...
٥٦	أبوداود والترمذي	الشهيد يشفع في سبعين ...
٥٨	الترمذي	المجاهد من جاهد نفسه ...
٦٣	البخاري، مسلم	آية المنافق ثلاث ...
٧٢	البخاري، مسلم	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا ...
٧٢	البخاري، مسلم	أنفذ على رسلك ...
٧٤	الترمذي	أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس أشد بلاء..
٧٥	البخاري	شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة له ...
٧٦	البخاري، مسلم	وأحلت لي الغنائم ...
٧٧	مسلم	إذا هلك كسرى ...
٧٨	أبوداود	إذا تبايعتم بالعينة
٨٥	النسائي	جاء رجل فقال يا رسول الله أزال الناس الخيل..
٨٥	البخاري	الخيل معقود بنواحيها الخير ...
٩٠	مسلم	كنّا والله إذا احمر البأس نتقي به
١٠٣	البخاري	قدم علينا عبدالرحمن بن عوف وأخى النبي صلى الله عليه وسلم بيته ...
١٠٤	الموطأ	من رجل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع
١٠٨	مسلم	قوموا إلى جنة عرضها السموات ...

رقم الصفحة	مسند	أول الحديث
١٣٢	البخاري، مسلم	الحرب خدمة
١٣٦	مسلم	اللهم أنجز لي ما وعدتني
١٦٢	البخاري	اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
١٧٣	البخاري، مسلم	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ...
١٧٤	البخاري، مسلم	كل مولود يولد على الفطرة ...
١٧٨	مسلم	الايمان بالله وملئكته وكتبه
١٨١	أبو داود	مروا أولادكم بالصلاة ...
١٨٦	البخاري، مسلم	يا غلام، سم الله تعالى، وكل بيمينك
١٨٨	مسلم	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا
١٨٩	البخاري، مسلم	على المرء السمع والطاعة ...
١٩٠	البخاري، مسلم	من أطاعني فقد أطاع الله ...
١٩٤	البخاري، مسلم	مثل المؤمنين في توادهم ...
٢٠٢	البخاري	لعن الله المخنثين من الرجال ...
		ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم
٢٠٨	البخاري، مسلم	منذ قدم المدينة .
٢١٧	البخاري، مسلم	أيكما قتله ؟
٢٢٠	مسلم	ستفتح عليكم أرضون ..
٢٢١	مسلم	من علم الرمي ثم تركه ...
٢٢١	البخاري	ارموا بني اسماعيل ...
٢٢٩	مسلم	بشروا ولا تنفروا ...
٢٣٤	البخاري	لا يزني الزاني حين يزني ..
٢٣٥	البخاري	والله لا يؤمن ... الذي لا يامن جاره بوائقه
٢٣٥	مسلم	فلا يغرس المسلم غرسا ...
٢٤١		إن الصدق يهدي الى البر ...
٢٧٢	مسلم	وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ...

رقم الصفحة	مصدره	أول الحديث
٢٧٢	البخاري	قال عمر: كنت أنا وجار لي من الأنصار كنا نتناوب النزول على رسول الله ...
٢٧٧	مسلم	ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا
٢٨١	البخاري	لا تزرموه ، دعوه ..
٢٨٤	البخاري، مسلم	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان
٢٨٥	مسلم	أين المتحابون بجلالي

✽ بسم الله الرحمن الرحيم ✽

✽ مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة ومرتبيا للعالمين ، سيدنا محمد الذي جاهد في الله حق جهاده وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فان التربية الاسلامية تنظر إلى الانسان نظرة شاملة متكاملة ، في إطار واحد يضم جوانب شخصية الإنسان الجسمية والعقلية والروحية ، إنها تربية تهدف إلى تنشئة المؤمن الصالح الذي يؤدي رسالته في الحياة بأمانة وإخلاص ، إلى إخراج الأمة المسلمة التي تقيم منهج الله تعالى في الأرض . ولكن هذا الهدف لا يتحقق إلا إذا وجد الفرد من يحسن تربيته وتنشئته .

يقول في ذلك عبد الرحمن نحلوي في كتابه التربية الاسلامية والمشكلات

المعاصرة (١٤٠٥ هـ) :

" إن التربية الاسلامية تمتاز عن سائر أشكال التربية الأخرى بخصائص ومميزات مشتقة من خصائص الإسلام نفسه ، فهي ربانية المصدر ، ثابتة الأسس ، موافقة للفطرة ، شاملة شمول الإسلام ، معتدلة ، متوازنة ، مرنة ، موحدة للطاقت البشرية في نطاق الفرد والجماعة كاملة ، ذات أصالة وفضل على جميع أشكال التربية في العالم " (ص ٨١)

والتربية الاسلامية تربية كلية شاملة ترمي إلى تحقيق الإنسجام والتوازن ، والتكامل في كل ما يتصل بطبيعة الإنسان ، ومعيشته واحدا من أفراد الأمة الاسلامية . إذ أنها ترمي إلى تحقيق الإنسجام الكامل ، والتماسك في كيانه الانساني وفي بيئته الاجتماعية ، وفي صلاته بالكون والحياة في إطار العبودية الخالصة لرب العالمين .

ومن أعظم مهام التربية الاسلامية تنشئة الأجيال على الاعتزاز بالعقيدة الاسلامية والعمل بها ، وبذل الجهد في نشرها ، وهذا هو الهدف الأساسي من الجهاد .

يقول الله تعالى لبيان ذلك الهدف : * هو الذي أرسل رسولـه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * التوبة/٣٢

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الهدف الأساسي من الجهاد في حديث رواه البخاري رحمه الله تعالى : (عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله ") (كتاب الجهاد ، رقم ٢٦٥٥ .)

ولقد اهتم الاسلام باهتمام بالغ باعداد المجاهد المؤمن ، وباعداد القوة بكل أنواعها ، قال تعالى : * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ... * (الأنفال / ٦٠)

ويقول في ذلك محمد شديد في كتابه الجهاد في الاسلام (١٤٠٤ هـ) :

" وهكذا يسير الاسلام في اعداد الجندي المؤمن ، فيرده بالتوحيد الى فطرته ، ويحرر وجدانه من الذل والخوف ، ويصله بربه صلة مباشرة يستمد منه العون ، والتأييد والقوة ، ويضمن له النصر والتمكين في الدارين . وبهذا يحس المؤمن أن حياته كلها جهاد ، وأنه فيها مجاهد من جنود الحق . (ص ٦٤)

والتربية الاسلامية دعوة لجهاد دائم وكفاح مستمر ، ونضال لا ينقطع ، وصراع دائم بين أهل الحق وأهل الباطل ، ولذلك نجدها تضع منهاج متكاملا لاعداد دائم تغيير حياة المؤمن كلها جهادا ونضالا وكفاحا ، ولا يمكن أن يتحقق هذا المنهج إلا إذا شعر المؤمن أن الحياة وجدت فعلا لتكون جهادا مستمرا ، وانبثق ذلك عن إيمانه وعقيدته ودينه وكتابه .

والواقع أن الجهاد أمر ضروري لتمكين دين الله تعالى وعباده المؤمنين في الأرض ، ولبقاء المسلمين أمة قوية مرهوبة الجوانب ، كما أن -

تركه سبب المذل والهوان والمسكنة ، وضياع الديار واستيلاء الكفار على بلاد المسلمين .

إن تربية الأجيال على الجهاد مسئولية المؤمنين جميعا ، والععب الأكبر في هذه المسئولية يقع على عواثق المسئولين عن التربية والتعليم ، وعلى رأسهم الدولة والأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام ، وسائر المؤسسات التربوية الاجتماعية التي لها تأثير في تربية الأجيال وتنشئتها .

ولذلك قسم الباحث هذا البحث إلى أربعة فصول ، وفصل تمهيدي :

✧ الفصل التمهيدي : تحدث الباحث عن أهمية البحث ومشكلاته وأهدافه وحدوده وتعريف مصطلحات البحث ومنهج الدراسة ، كما تحدث عن الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع دراسته .

✧ وأما الفصل الأول : تحدث فيه الباحث عن مفهوم الجهاد وتعريفه لغة واصطلاحا ، وبيان تعريفات الفقهاء والمحدثين والمفسرين وغيرهم من العلماء مع ترجيح الرأي الراجح منها ، كما تحدث عن حكم الجهاد بين فرضيته عينياً وكفائياً ، في حالة الابتداء والطلب وفي حالة الاستفسار ، مع بيان أقوال الفقهاء من المذاهب الأربعة المتبعة .

ثم تكلم الباحث عن مراحل تشريع الجهاد بين مرحلة الإعداد والتربية - وهذه المرحلة تعتبر مرحلة المنع من القتال - وبين مرحلة الإذن بالقتال ، ثم أتبع الباحث ببيان مرحلة فرضية القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط ، ثم مرحلة فرضية جهاد غير المسلمين كافة على اختلاف أديانهم وأجناسهم .

ولقد أتبع الباحث هذا المبحث بتعليق عن حكم الجهاد في الوقت الراهن . ثم تحدث الباحث أيضا عن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وفضل المجاهدين ، ومنزلة الشهداء عند ربهم وكذلك فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى ، مع بيان العتاب لمن ترك الجهاد ، وقعد عنه .

ثم تكلم الباحث عن أنواع الجهاد في الاسلام ، متتصرا على جهاد النفس و جهاد الشيطان و جهاد المنافقين و جهاد الكفار نظرا لأهمية هذه الأنواع من الجهاد في الإسلام .

كما تحدث الباحث عن أهداف الجهاد في الاسلام ، وقد ركز في ذلك على الأهداف الرئيسية وهي : إقامة منهج الله تعالى في الأرض ، وتبليغ دعوة الإسلام إلى العالم ، ودفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين ، وابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة في سبيل الله تعالى ، والحصول على الغنيمة الفية ... الخ من الموارد المالية الجهادية التي تفيد المسلمين ماليًا في سبيل نشر الدين الاسلامي في جميع أنحاء العالم . وإن هذه الأهداف كلها يشملها قوله صلى الله عليه وسلم : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى) .

ثم تحدث الباحث عن تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر وبين أهم وجوه التحريف في ذلك ، وقد علق عليها بشيء من الرد مبينا في ذلك وجهة الصواب ، واختتم الفصل ببيان أبدية الجهاد إلى يوم القيامة مادام أن هناك صراعا بين أهل الحق والباطل .

✧ وأما الفصل الثاني : فقد تحدث الباحث فيه عن مفهوم التربية الجهادية في الاسلام وقد بين في ذلك أبعادها وعناصرها وتحديدها ، وتعريفها إجرائيا كما يستخدم في البحث .

كما تحدث عن أهمية التربية الجهادية للفرد والجماعة ، والأمة من الناحية العقدية الايمانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وفي ختام الفصل قدم الباحث بعض النماذج والصور التطبيقية الحية للتربية الجهادية من سيرة الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

✳ وفي الفصل الثالث : درس الباحث فيه مفهوم الجهاد كما جاء في سورة الأنفال ، وكما تحدث عن منهج تربية المجاهدين كما جاء في سورة الكريمة ، وذلك للتعرف على أساليب إعداد الصحابة الكرام ، إعداداً جهادياً .

✳ وأما في الفصل الرابع : فتحدث الباحث فيه عن واجب المؤسسات التربوية المختلفة نحو التربية الجهادية ، وركز في ذلك اهتمامه على أربع مؤسسات ، وهي الأسرة والمدرسة ، والمسجد ، ووسائل الاعلام . وتكلم بشيء من التفصيل لتحديد واجب تلك المؤسسات لإعداد الشباب المسلم ، إعداداً جهادياً .

وفي الختام ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال بحثه ، كما تقدم بعدة توصيات عسى أن ينتفع بها يوماً من الأيام .

الفصل التمهيدي

﴿ خطة البحث ﴾

ويشتمل هذا الفصل على :

- ١ - أهمية البحث .
- ٢ - مشكلة البحث وتساؤلاته .
- ٣ - أهداف البحث .
- ٤ - حدود البحث .
- ٥ - سبب اختيار سورة الانفال للدراسة .
- ٦ - تعريف المصطلحات .
- ٧ - منهج البحث .
- ٨ - الدراسات السابقة .

أهمية البحث

إن المسلمين الذين أخرجهم الله تعالى من ظلمات الشرك والكفر والعصيان إلى نور الهدى والایمان لم يصلوا إلى العز والكرامة إلا بالاسلام والاسلام لا يعز إلا بالجهاد . وإذا قعد المسلمون عن الجهاد وتخلوا عنه فإنهم يفقدون تلك الصفات ويقعون في استعباد ويمسحون أذلاء بعد ما كانوا أعز . ويترتب على ترك الجهاد عذاب الله الأليم ، قال تعالى :
 ﴿ إِلَّا تَنْفَرُوا يَعْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ التوبة / ٣٩ .

ويقول في ذلك عيد الله أحمد قادري في الجهاد في سبيل الله (١٤٠٥ هـ) : " والذي يراجع تاريخ المسلمين في جميع العصور يرى أنهم متى تركوا الجهاد في سبيل الله تعالى أذلهم الله لأذل خلقه وجعلهم في أسوأ حال لتخليهم عن أمره سبحانه وتعالى لهم بقتال عدوهم وإذلاله بالجهاد في سبيل الله تعالى " (ج ٢ ، ص ٥٠٢) .

ولقد وعى الصحابة الكرام هذا المعنى وعيا كاملا ، وهو أن ترك الجهاد في سبيل الله تعالى فيه ذل للمسلمين ، ولذلك ما قعدوا يوما من الأيام عنه ، بل سعوا إليه عن طيب نفس باذلين أنفسهم وأموالهم في سبيله .

إن اعداد الأجيال المسلمة يجب أن يكون دائما مسلحا بالإيمان والقوة والعزيمة والتسليم على الجهاد ، والفداء والتضحية في سبيل الله تعالى لنشر الدين الاسلامي إلى العالم وإسترداد الحقوق المغتصبة والدفاع عن المقدسات .

يقول في ذلك اسحق أحمد فرحات في أزمة التربية في الوطن العربي (١٤٠٦ هـ) : " وفلسطين التي احتلها اليهود في عصرنا الحاضر ، تمثل قمة التحدي الصهيوني لكل عربي ومسلم في هذا القرن ، كما تمثل منطلق الأمل في الجهاد والنصر إن شاء الله تعالى " . (ص ٦٤)

كما يقول فى هذا العدد عبد الرحمن نحلوى فى التربية الاسلاميـــــة
والمشكلات المعاصرة (١٤٠٥هـ) :

" ولقد أعد الله تعالى لأجيال الاسلام أسلوب التربية بالجهاد فى
كل الأحوال : سلما وحربا : جهاد النفس وجهاد الكفار . فماذا طبقنا
من هذه التربية فى مدارسنا ؟ أم أننا تركنا الجهاد واخذنا الى الارض ؟
وماترك قوم الجهاد إلا ذلّوا " . (ص ١٩٠) .

وترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يحقق بمشيئة الله تعالى مايلى :

- ١ - يستفيد منه القائمون والمسؤولون فى مجال التربية والتعليم تخطيطا
وتنفيذا .
- ٢ - يستفيد منه القائمون على تربية الجنود ، مثل : المدارس والمعاهد
العسكرية ، والكليات الحربية ... الخ .
- ٣ - يستفيد منه كل مسئول فى مجال التربية ، مثل : الأسرة وأئمة المساجد
والمرشدون .
- ٤ - يدعو القائمين على وسائل الاعلام المختلفة إلى ضرورة إعداد برامج
فى التربية الجهادية وذلك لاعادة الروح الجهادية فى قلوب الناس .

مشكلة البحث وتساؤلاته :

لقد ابتعد كثير من الناس اليوم عن دين الله تعالى ، واقتصروا على
جانب منه مع إهمال الجوانب الأخرى ، ومن هذه الجوانب التى أهملت
روح الجهاد والفداء والتضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ، فلا يسند
من اعادة هذه الروح اليهم ، وغرسها فى نفوسهم بطرق تربوية كما حدث فى
عصر النبوة .

يقول فى ذلك عبد الله ناصح علوان فى تربية الأولاد فى الاسلام (١٤٠١هـ) :
" ومن المسائل الخطيرة والمهمة التى يجب أن يهتم بها المربون تعميق

روح الجهاد فى نفوس الناشئة، وترسيخ معانى العزة والكرامة ، والمصاهرة
فى فكره ، ومشاعره ، عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الاسلام ومجسده
المسلمين " (ج ٢ ، ص ١٠٨٨) .

إن الأمة الاسلامية صاحبة عقيدة ورسالة ، تبشر عنها باللسان والقلم
وتتقنع بها بالعمل والمعاملات وتقديم المثل العليا من الأقوال والأعمال
وتدافع عنها بكل وسيلة بالفكر والقوة، ولذلك يجب إعداد الأجيال إعداداً
جهادياً حتى تقوم بهذه الأعمال والممارسات خير قيام .

يقول فى ذلك عبد الرحمن نخلوى فى «التربية الاسلامية والمشكلات
المعاصرة» (١٤٠٥ هـ) :

" ولحل هذه المشكلة يترتب على التربية الاسلامية إعداد
المجاهدين وتعبئة قواهم الفكرية والجسدية باستمرار
وطاقتهم النفسية للجهاد ، وتوجيههم الوجهة التى
تجعلهم يجاهدون فى سبيل الله ، لا يحيدن عنها ، ولا ينسونها
ولا يتوانون أو يضعفون عن تحقيقها ، مهما كانت العقبات
ومهما تضافرت عليهم المصائب والنكبات ، وهذا لا يكون
إلا بإعداد تربوى خاص ، له أساليبه وخطواته وأسس
وركائزه التى نقتبسها من الإسلام " (ص ١٨١) .

وفى ضوء ذلك يمكن صياغة مشكلة البحث فى التساءلات الآتية :

- ١ - ما مفهوم التربية الجهادية فى الإسلام ؟
- ٢ - ما هو أثر إهمال التربية الجهادية على المجتمع المعاصر ؟
- ٣ - ما هى أهم التوجيهات التربوية الجهادية فى سورة الأنفال ؟
- ٤ - ما هى السبل إلى إعادة الروح الجهادية إلى المسلمين ؟
- ٥ - ما هو واجب المؤسسات التربوية المختلفة التربية الجهادية ؟



أهداف البحث

ويهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي :

- ١- توضيح مفهوم التربية الجهادية في الإسلام وبيان أهميتها .
- ٢- بيان أثر إهمال التربية الجهادية على المجتمع الإسلامي .
- ٣- التعرف على التوجيهات التربوية في سورة الأنفال .
- ٤- بيان السبل إلى إعادة الروح الجهادية إلى المسلمين .
- ٥- توضيح مفهوم الجنح للسلّم كما جاء في سورة الأنفال .
- ٦- تحديد واجب المؤسسات التربوية المختلفة في التربية الجهادية .

حدود البحث

ان مفهوم الجهاد في الإسلام مفهوم عام وشامل، يقول في ذلك ابن رشد في
«المقدمات الممهدات» (١٤٠٠ هـ) :

" وقد يطلق الجهاد في النصوص الشرعية على الجهاد في سبيل الله
بقتال الكفار وغيره ، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع
بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا
الجزية عن يد وهم صاغرون " (ص ٣٦٩) .

ويشتمل البحث على الجهاد بمعنى عامة في سورة الأنفال وتقديم فكرة
موجزة عن الجنح للسلّم كما جاء في السورة الكريمة . لأنها وطيدة العلاقة
بالبحث .

سبب اختيار سورة الأنفال :

إن هذه السورة الكريمة عنيت بالجهاد والغزوات في سبيل الله عز وجل . وتضمنت أيضا كثيرا من التشريعات الحربية والإرشادات الإلهية للمؤمنين أثناء القتال أو قبله أو بعده .

يقول في ذلك محمد على الصابوني في صفوة التفاسير (١٤٠٣ هـ) :
 " وتناولت أيضا جانب السلم والحرب وأحكام الأسرى والغنائم ثم إن هذه السورة الكريمة نزلت بعد غزوة بدر الكبرى التي كانت فاتحة الغزوات في الإسلام ولقد سميت بسورة الجهاد . " (ج ١ ، ٤٩١) .

والحق أن هناك سورا أخرى تتعلق بالجهاد مثل : سورة التوبة والأحزاب وسورة محمد (صلى الله عليه وسلم) وغيرها من السور ، كما أن هناك كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، ذات الصلة الوطيدة بموضوع الجهاد ولكن المقام لا يتيح لي الفرصة للتوسع في تتبع ذلك كله والوقوف عليه .
 وكما أن هناك عدة دراسات تتعلق بموضوع الجهاد من كل جوانبه ، وما أردت بالاعتصار على سورة الأنفال إلا لتحديد الموضوع تحديدا دقيقا .
 وكما أردت وأن أعيش في جو هذه السورة الكريمة العطرة .

تعريف المصطلحات :

١ - " الجهاد " : وسيأتى تعريفه لغة وشرعا عند بداية الفصل الأول
 أن شاء الله تعالى .

٢ - " جهاد النفس " : قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) :
 " هو أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله تعالى فيكون كله لله تعالى ، وبالله تعالى ، لا لنفسه ولا بنفسه " (ج ٣ ، ص ٨)
 ويقول ابن حجر في الفتح (١٣٧٨ هـ) : " فأما مجاهدة النفس فتطلق على تعلم أمور الدين ثم العمل بها ، ثم على تعليمها " . (ص ٣٤٣) .

ولقد عرفه عبد الله بن أحمد قادري في الجهاد في الإسلام (١٤٠٥ هـ) بقوله : " اخضاع النفس في مرأط الله المستقيم وكبح جماحها من أن تشذ عن طاعته سبحانه وتعالى إلى معصيته وطاعة عدوه الشيطان الرجيم " .
(ج ١ ، ص ٣١١) .

وخلاصة القول أن جهاد النفس هو أن يجاهد العبد نفسه للسيير في طاعة الله تعالى وذلك بامتنثال الأوامر واجتناب النواهي والتخلّي بالمكارم والتخلّي عن الرذائل .

٣ - التربية الجهادية : يقصد بها الباحث : " تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بدينه والعمل به ، والدعوة اليه ، وبذل الجهد في نشره وأن يكون مسلحاً دائماً بالعبر والشبّات ، والعزيمة ، وروح الفساد والتضحية في سبيل الله ، وأن يكون مستعداً للجهاد المستمر بكل ما أوتي من امكانات ، مادية أو معنوية ، مراعيًا في ذلك متطلبات العمر الذي يعيش فيه وملتزماً بالأحكام الشرعية الجهادية ، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى " .

منهج البحث :

وسوف يستخدم الباحث في بحثه المنهج الوصفي ، وهو كما يعرفه ذوقان عبيدات وزملاءه في « البحث العلمي » : هو ما يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً " . ص ١٨٣ .

وطريقة تحليل المحتوى ، يقول في تعريفها جابر عبد الحميد وأحمد خيرى كاظم في « مناهج البحث في التربية وعلم النفس » (١٩٧٨م) نقلاً عن برلسون " بأنه أسلوب في البحث لوصف المحتوى الظاهر للإتصال وصفياً موضوعياً منظماً وكمياً " (ص ١٦٤) .

وسيستفيد الباحث أيضاً من المنهج التاريخي بالرجوع إلى مصادر السيرة النبوية الشريفة وكتب المغازي .

وذلك من خلال الإجراءات التالية :

- ١ - توضيح مفهوم الجهاد وأنواعه في الإسلام .
- ٢ - استنباط التوجيهات التربوية الجهادية المتضمنة في سورة الأنفال .
- ٣ - تحديد واجب المؤسسات التربوية المختلفة في التربية الجهادية .

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث على حد دراسته فى قوائم عناوين الرسائل الجامعية ، دراسة تطرقت إلى التربية الجهادية موضحة أهمية التربية الجهادية فى تربية الناشئة .

وهناك عدة دراسات لها علاقة بموضوع بحثنا هذا .
وسيعرض الباحث أهم هذه الدراسات على النحو التالى :

١ - الجهاد فى سبيل الله ، حقيقته وغايته (١) :

والغرض من الدراسة كما وضحه الباحث هو تبصير المسلمين بثمرات إقامة الجهاد وأضرار القعود عنه والسعى لإعادة الروح الجهادية فى نفوس المسلمين .

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة أبواب ، وقام بدراسة مشروعية الجهاد وبعض أحكامه مبينا أنواعه ، ثم تطرق إلى بواعث الجهاد ومعوقاته وإلى بيان بعض صفات المجاهدين . وشرح غاية الجهاد فى سبيل الله ببيان أهدافه ، ثم تطرق إلى بيان طريقة إعادة الروح الجهادية إلى المسلمين ، وركز اهتمامه بالبحث على اقتفاء أثر الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته والسعى إلى إقامة الخلافة الإسلامية والتي تجمع شمل المسلمين . وعرض فى نهاية البحث لثمرات الجهاد فأضرار القعود عنه .

وأما نتائج البحث فهى :

- ١ - لاقيام لهذا الدين إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى .
- ٢ - إن الجهاد فى الإسلام يشمل نشاط الإسلام كله .

(١) عبد الله بن أحمد القادري : رسالة الدكتوراه المقدمة لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام : ١٤٠١ هـ بإشراف الشيخ مناع خليل القطان ، والرسالة مطبوعة بدار المنارة : جدة عام ١٤٠٥ هـ -
(مجلدان) .

- ٣ - إن للجهاد بواعث كما أن له معوقات .
- ٤ - إن للمجاهدين صفات لابد من توافرها .
- ٥ - إن للجهاد غاية عليا وهى إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ويظهر الفرق بين هذا البحث والبحث الذى نحن بعبده. فيما يلى :

- ١ - يهدف الباحث إلى بيان حقيقة الجهاد وغايته وأهميته وثمراته كما هو المعروف من عنوان البحث . وتطرق إلى وجوب إعادة الروح الجهادية إلى المسلمين ولكنه لم يدرس هذه المشكلة من الناحية التربوية .
- ٢ - أما البحث الحالى فإنه يركز على أهمية التربية الجهادية لدى الناشئة وتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة فى التربية الجهادية . وسوف أستفيد من هذه الدراسة عند دراستنا لمفهوم الجهاد وأهميته فى الإسلام إن شاء الله تعالى .

*** الدراسة الثانية :

منهج تربية المجاهدين فى المدرسة النبوية . (١)

واختار الباحث هذا الموضوع لأسباب منها :

- ١ - احساسه بهذا الموضوع جانبا تربويا .
- ٢ - قلة البحوث فى التربية العسكرية .
- ٣ - إن منهج تربية المجاهدين فى المدرسة النبوية منهج فريد .

* ويشمل البحث أربعة أبواب :

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

لقد تحدث الباحث فى مقدمة بحثه عن أنواع الجهاد وأهدافه ومشروعيته ، ثم تناول التربية الروحية والعقلية والجسمية والعسكرية والاجتماعية ، وذكر أن أساليب المدرسة النبوية غطت كل هذه النواحي .

(١) محمد سميح عبيد الله ، رسالة الماجستير المقدمة إلى قسم المناهج وطرق تدريس بكلية التربية جامعة أم القرى عام ١٤٠١ هـ بإشراف

الدكتور عثمان أحمد محمد عبد الوهاب .

ثم بين أهم أساليب التربية النبوية بالتركيز على تربية المجاهدين بالوصية . ثم ناقش الباحث سبعة مواقف للشورى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه، وأفرد فملاً للمنافقين وسمّاه بجهاد المتافقين ذكر فيه أساليب وأنواع العقوبات التي يجابهون الله عليه وسلم وأصحابه .

وفى الختام تحدث عن النواحي المالية والفنية والإدارية وذلك فى القيادة العسكرية . وبين أيضا بعض أحكام الأسرى * ويظهر الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا هذه فيما يلى :

- ١ - إن الباحث رغم قوله أنه سيركز فى دراسته على الناحية التربوية الجهادية فإنه لم يركز على أساليب التربية الجهادية غير الوصية والشورى ، ثم ركز اهتمامه على النواحي المالية والفنية والإدارية .
- ٢ - وأما بحثي هذا فيتركز إن شاء الله تعالى على دراسة الجهاد من الناحية التربوية واستنباط التربية الجهادية من منبعها الاصلى وبيان أهميتها لدى الناشئة وتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة .

*** الدراسة الثالثة :

أهمية الجهاد فى نشر الدعوة الاسلامية والرد على الطوائف الضالّة فيه . (١)

* الهدف من البحث :

هو بيان أهمية الجهاد فى نشر الدعوة وبيان تحريف معنى الجهاد من قبل بعض الفرق ، وبيان وجوب تصحيحها .

- (١) على بن نفيع العليانى : رسالة الدكتوراة المقدمة الى قسم العقيدة لكلية الدعوة وأمول الدين بجامعة أم القرى : عام ١٤٠٤ هـ ، والرسالة مطبوعه بدار طيبة . عام ١٤٠٥ هـ بإشراف الشيخ محمد قطب .

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

تحدث الباحث عن منهج الدعوة إلى الله قبل تشريع الجهاد القتالي وبين أن الرعيل الأول تحمل أعباء الدعوة، ثم تحدث عن منهج الدعوة إلى الله تعالى بعد تشريع الجهاد القتالي مبينا تعريف الجهاد وحكمه ومراحل تشريعه وأهدافه وغاياته .

ثم تكلم عن أثر الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ذكر بعض العصور الجهادية للمصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم وتحدث عن موقف تلاميذ الاستشراق والإستعمار من أحكام الجهاد ورد على شبههم ، وبين أن الجهاد في الإسلام لا يقتصر على جهاد الدفع وإنما يشمل الدفع والهجوم معا . ثم رد على الدعوة القومية ، والوطنية ، والإنسانية والسلام العالمى . وختم بحثه ببيان أفكار بعض الفرق مثل المرجئة ، والصوفية ، والشيعية والجبرية ، والقاديانية والبهائية في بعض أحكام الجهاد ورد عليهم وذكر أن هذه الفرق قد ضلت في أحكام الجهاد وحرفت معانيه الأساسية .

* وأما نتائج البحث فكانت :

١ - الواجب على الدعوة إلى الله تعالى اتباع منهج الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ - إن الإبتلاء سنة ربانية في طريق الدعوة إلى الله تعالى .

٣ - إن الجهاد القتالي مرحلة حتمية من مراحل الدعوة إلى الله تعالى .

٤ - إن جهاد المرتدين عن الإسلام أولى من جهاد الكفار .

٥ - وجوب تصحيح معنى الجهاد ووجوب صيانة معانيه وأهدافه .

ويظهر الفرق بين هذه الدراسة ودراستنا هذه فيما يلي :

١ - لقد ركز الباحث على دراسة أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية واهتم بالرد على الفرق الضالة وعلى المستشرقين والمستعمرين ففى بعض أحكام الجهاد .

٢ - وأما الدراسة الحالية فسوف تركز إن شاء الله تعالى على دراسة
الجهاد من الناحية التربوية ، ودراسة وجوب غرس الروح الجهادية
في الناشئة . وسوف أستفيد من هذه الدراسة عند بياننا لأهمية الجهاد
إن شاء الله تعالى .

*** الدراسة الرابعة :

الجهاد في القرآن الكريم . (١)

* الهدف من الدراسة :

هو بيان ضعف المسلمين وضياع حقوقهم واغتصاب أوطانهم هو بسبب تركهم
الجهاد في سبيل الله تعالى ، وبيانه أنه لا يمكن اكتساب القوة الا بالرجوع
الى منهج الله وهو الجهاد في سبيل الله تعالى .

* نبذة مختصرة عن الدراسة :

تحدث الباحث في مقدمة بحثه عن حكمة الجهاد وأنواعه مبيناً أن
الجهاد يشمل جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار والمنافقين .
ثم تكلم عن مراحل الجهاد قبل الهجرة وبعدها ورد على بعض شبهة
المستشرقين والمبشرين في أحكام الجهاد .
ثم ركز اهتمامه في بيان فضل الجهاد وبيان تركه والنتائج المترتبة
على ذلك ثم تحدث عن عوامل النصر في الاسلام موضحاً أهمية اعداد المقاتلين ،
وتأسيس الأخوة بين الجنود واعداد العدة . واختيار القواد الأكفاء . ثم
ذكر بعض صفات المجاهدين مثل : الطاعة ، والاخلاص ، والتوكل على الله
تعالى وذكر الله عز وجل ، والصبر ، وبين أن تطبيق هذه الصفات من
عوامل النصر في سبيل الله تعالى وختم بحثه ببيان تحريم الفرار يوم الزحف .

(١) ذيب بن معرى بن ناصر القحطاني : رسالة الماجستير المقدمة الى كلية

الشريعة قسم الكتاب والسنة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة عام ١٣٩٨هـ

بإشراف الدكتور / عبد العظيم أحمد الغباشي .

* وأما نتائج البحث فهي :

- ١ - إن ضعف المسلمين اليوم هو بسبب تركهم الجهاد في سبيل الله تعالى
 - ٢ - وجوب مجاهدة النفس والشيطان .
 - ٣ - غاية الجهاد في سبيل الله تعالى أولا للدفاع عن المسلمين ثم محو الشرك من الأرض .
 - ٤ - إن مقصود المستشرقين والمبشرين تغيير العالم من الجهاد .
 - ٥ - إن الجهاد في سبيل الله تعالى مصدر عز المسلمين .
 - ٦ - إن طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من أسباب النصر .
- ويظهر الفرق بين هذه الدراسة والدراسة الحالية والتي نحن بعهدها الآن فيما يلي :
- ١ - إن الباحث اهتم بدراسة أهمية الجهاد وأنواعه وتحديد مراحلها التشريعية وذكر أهم عوامل النصر في سبيل الله تعالى ، ولم يدرس الموضوع من الناحية التربوية .
 - ٢ - وأما الدراسة الحالية فسوف تركز اهتمامها - إن شاء الله تعالى - على دراسة الجهاد من الناحية التربوية . لغرسها في الناشئة ، والقيام بتحديد دور المؤسسات التربوية المختلفة في التربية الجهادية إن شاء الله تعالى .

الفصل الأول

مفهوم الجهاد وأهميته في الإسلام

ويشتمل هذا الفصل على :

- ١ - تعريف الجهاد في الإسلام .
- ٢ - حكم الجهاد في الإسلام .
- ٣ - مراحل تشريع الجهاد في الإسلام .
- ٤ - فضل الجهاد في الإسلام .
- ٥ - أنواع الجهاد في الإسلام .
- ٦ - أهداف الجهاد في الإسلام .
- ٧ - تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر .
- ٨ - أبدية الجهاد وأنه ماضٍ إلى يوم القيامة .

١ - تعريف الجهاد في الإسلام

تعريف الجهاد :

١ - تعريفه لغة :

قال ابن منظور في اللسان : " الجَّهْد والجُّهْد الطاقة ، وقيل : الجَّهْد المشقة ، والجُّهْد الطاقة ، وقيل : المبالغة والغاية . وجَاهِدَ العدوَّ مجاهدةً . وجهاداً : قاتله وجاهد في سبيل الله . الجهاد محاربة الأعداء ، وهو المبالغة واستفراغ مافي الوسع والطاقة من قول أو فعل " (ج ١ ، ص ٧٠٨)

وقال الجوهري في الصحاح (١٤٠٢ هـ) : " الجَّهْد والجُّهْد الطاقة . قال الفراء : الجَّهْد بالضم الطاقة ، والجَّهْد بالفتح الغاية . وجهَّد الرجل فهو مجهود من المشقة . وجاهد في سبيل الله مجاهدةً . وجهَّد سداً . والاجتهاد والتجاهد ، بذل الوسع والمجهود " (ج ٢ ، ص ٤٦٠) .

ويقول الفيروز آبادي في القاموس (١٤٠٦ هـ) : " الجَّهْد الطاقة ، والجُّهْد المشقة ، والجهاد هو القتال مع الأعداء كالمجاهدة " (ص ٣٥١) .

وكما عرّفه الراغب في المفردات (١٣٨١ هـ) : " الجَّهْد والجُّهْد الطاقة والمشقة ، وقيل : الجَّهْد بالفتح المشقة ، والجُّهْد بالضم الوسع . والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة . يقال : جهَّدت رأيي وأجهدته أتعبته بالفكر . الجهاد والمجاهدة . استفراغ الوسع في مدافعة العدو . والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس " (ص ١٠١) .

وجاء في المعجم الوسيط " الجَّهْد المشقة ، والجَّهْد الوسع والطاقة "

(ج ١ ، ص ١٤٢)

وخلاصة القول أن الجهاد هو مصدر للفعل الرباعي " جاهد " ، والأصل الثلاثي للكلمة هو " الجهد " بفتح الجيم أو ضمها ، وجمعها بمعان متقاربة تعنى بذل المشقة والطاقة اللازمتين في قتال الأعداء .

٢ - تعريف الجهاد شرعا :

إذا نظرنا إلى تعريف الجهاد شرعا ، نجد أنه يدور عند أغلب فقهاء المذاهب الأربعة على أنه قتال الكفار .

ففي كتب الحنفية ، قال الكاساني في البدائع (١٣٩٤ هـ) : " وفي عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتل في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان ، أو غير ذلك ، أو المبالغة في ذلك " (ج ٧ ، ص ٩٧)
كما قال ابن عابدين - وهو من فقهاء الحنفية - في حاشية رد المختار " الجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله " (ج ٤ ، ص ١٢٠)
وعرفه ابن الهمام في شرح فتح القدير (١٣٨٩ هـ) بأنه بذل الجهد في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأى أو تكثير سواد أو غير ذلك " (ج ٥ ، ص ٤٣٤) .

وفي كتب الشافعية ، قال ابن حجر في الفتح (١٣٧٨ هـ) : " الجهاد مشروع بذل الجهد في قتال الكفار ، ويطلق أيضا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق " (ج ٦ ، ص ٣٤٣) .

وأما عند فقهاء المالكية فلقد قال سيدي أحمد الدردير في الشرح المغير على أقرب المسالك " الجهاد هو القتال في سبيل الله تعالى " .
(ج ٢ ، ص ١٥٠) .

وقد عرفه شيخ الاسلام ابن تيمية وهو من الحنابلة - في مجموع الفتاوى بقوله : " الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله تعالى من الايمان والعمل الصالح ومن دفع ما يبغضه الله تعالى من الكفر والشرك والعصيان " (ج ١٠ ، ص ١٩١) .

ولقد عرفه الشريف على الجرجاني في التعريفات (١٤٠٣ هـ) بقوله " هو الدعاء إلى الدين الحق " (ص ٨٠)

وإذا نظرنا إلى هذه التعريفات كلها نجد أن تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أشمل تعريف للجهاد ، يشمل جهاد النفس من خلال امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ودعوة الناس إلى دينه والقتال في سبيله . ومن الجدير بالذكر أن هذا التعريف يشمل أيضا جهاد

الفساق والمجرمين والمحاربين وقطاع الطريق الذين يفسدون الأمن والاستقرار داخل المجتمع الإسلامي .

وقد يطلق الجهاد فى النصوص الشرعية على غير قتال الكفار ، ومن أمثلة ذلك :

١ - بر الوالدين :

روى الإمام مسلم فى صحيحه (١٣٧٥ هـ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل الى نبي صلى الله عليه وسلم فقلـال : أبايـعك على الهجرة والجهاد ، أبتغى الأجر من الله تعالى ، فقلـال : " (هل لك من والديك أحد حي ؟) قال : نعم ، بل كلاهما قال : (فتبتغى الأجر من الله تعالى ؟) قال : نعم ، قال : (فارجع الى والديك فأحسن محبتهما) وفى رواية أخرى : " ففيهما فجاهد) كتاب البر والعلة رقم (٢٥٤٩)

٢ - الحج :

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : استأذنت النـبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد فقلـال : (جهادكن الحج) . وفى رواية أخرى : سأله نساءه عن الجهاد فقلـال : (نعم الجهاد الحج) كتاب الجهاد والسير ، رقم : (٢٧٢٠ - ٢٧٢١) .

ويروى ابن ماجه فى سننه (١٤٠٣ هـ) عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحج جهاد كل ضعيف) أبواب المناسك رقم (٢٩٢٤) .

٣ - جهاد النفس :

« »
روى الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح (١٣٩٨ هـ) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (.. المجاهد من جاهد نفسه) (كتاب فضائل الجهاد رقم : ١٦٢١ ، حديث حسن صحيح) .

٤ - قول الحق عند سلطان جائر :

روى الترمذي في الجامع الصحيح (١٣٩٨ هـ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) كتاب الفتن رقم : ٢١٧٤ ، حديث حسن غريب من هذا الوجه .

ولكن لفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به بمعناه الخاص وهو دعوة الكفار إلى الاسلام وقتالهم ان لم يقبلوا الخضوع لحكمه ، ولا ينصرف إلى غيره إلا بقريضة داله عليه .

ويقول ابن رشد القاضي في هذا العدد في المقدمات الممهدة (١٤٠٠ هـ) : " جهاد السيف قتال المشركين على الدين ، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فهو جهاد في سبيله إلا أن الجهاد في سبيل الله تعالى إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (ص ٣٦٩) .

ولقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم بر الوالدين بالجهاد لما في ذلك من إنفاق النفقة عليهما ، والعبر على ما يصدر منهما من أقوال وأحوال . وكذلك الحج يقتضى الزاد والرحلة ، وفيه يتعرض الحج على التعب والمشقة في السفر ، والمعاشرة مع مرافقيه كما كان في الغزو .

وأما من جاهد نفسه ، فإنه يقاتل أهواءه وشهواته ، ويحارب الشيطان اللعين ويعبر على طاعة الله تعالى ، واتباع أوامره واجتناب محارمه ، أما من يقول قول الحق عند سلطان جائر ظالم فاسق فإنه يعرض نفسه وماله وأهله وكل ما يملكه للخطر ، فالتعذيب أو الحبس أو الهلاك .

ولاتخفى العلاقة الوثيقة بين بر الوالدين وجهاد النفس والحج وجهاد الشيطان وبين جهاد الكفار من بذل الجهد والمشقة والطاقة .

وبعد عرض هذا الموجز يمكن أن نعرف الجهاد بمعناه العام في ضوء التعريفات السابقة، بأنه هو طاعة الله تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتساب نواهيه ، وحمل رسالة الاسلام وتبليغها للعالم ، مستخدماً في ذلك كل الطاقات : المادية والمعنوية في ضوء حاجات العصر ، ومحاربة من يقف أمام ذلك ليكون الدين كله لله سبحانه وتعالى ، وهذا معناه أن الجهاد يشمل نشاط المسلم كله في نشر الدين الإسلامي وتبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم والالتزام بهديه مادام يبتغى به وجه الله تبارك وتعالى .

وبعبارة أخرى فإن الجهاد مصطلح يطلق على معالجات الإنسان لنفسه وأهوائه وغرائزه ومعالجته مجتمعه من الانحراف الخلقي والعقدي وحمائية مقدساته ومبادئه لإصلاح المجتمع، وسيادة العدل والمساواة بين الناس ، ثم هو الجهد الذي يبذله الإنسان في تحرير الأمم والبلدان من عبادة غير الله تعالى ، وإرجاع البشر وإخضاعهم لعبادة الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا ، ومنهجه هو السائد ، وشريعته هي النافذة .

٢ - حكم الجهاد في الاسلام :

يمكن النظر إلى حكم الجهاد في الإسلام من زاويتين :

الزاوية الاولى : في حالة الدعوة إلى الإسلام ، وهو ما يعرف بجهاد الهجوم . أما الزاوية الثانية : ففي حالة الدفاع ، أو ما يعرف باسم جهاد الدفاع .

والمقصود من جهاد الهجوم هو دعوة الكفار إلى الإسلام وقتالهم إن لم يقبلوا الخضوع والانقياد لحكم الاسلام .

وأما جهاد الدفاع : هو دفع عدوان الكافرين والمعتدين على بلد من البلدان الإسلامية أو على حق من حقوق المسلمين أو على جماعة من أفراد المسلمين .

ولا خلاف بين العلماء على أن جهاد الدفاع فرض عين على المسلمين كافة حتى يندفع شر الأعداء ، وهذا باجماع علماء المسلمين .

« يقول السرخسي في المبسوط - وهو من فقهاء الحنفية - : "فريضة الجهاد على نوعين : أحدهما عَيْن وهو ما إذا كان النفير عاما ، والآخر هو فرض على الكفاية ، إذا قام به البعض يسقط عن الباقيين لحصول المقصود ، وهو كسر شوكة المشركين واعزاز الدين " (ج ١٠ ، ص ٣) . والنفير العام هو أن يحتاج إلى جميع المسلمين لدفع شر الأعداء على بلاد المسلمين وأهله مثل ذلك إذا هجم الكفار على بلد إسلامي وجب على جميع المسلمين قتالهم وقد يكون النفير العام في حالة الخوف من هجوم الكفار على المسلمين .

وقال ابن حزم في المحلى - وهو من الظاهرية - " ولا يجوز الجهاد إلا بأذن الأيوبيين إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ، ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقدمهم مغيثا لهم " (ج ٧ ، ص ٢٩٢) .

وخلاصة القول وأن جهاد الدفاع فرض عين على كل مسلم حتى ينجلى عدوان الكافرين ويعز الدين ويقهر الشرك والمشركين .

ولقد استدل العلماء على ذلك بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فمنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَقْلَتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ، إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة / آية ٣٨ - ٣٩)

إن هذه الآيات الكريمة وأمثالها تدل دلالة صريحة قاطعة على أن الجهاد في حالة النفير العام واجب على كل مسلم على حسب قدراتهم واستطاعتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا .

ومما يؤكد قول العلماء من السنة النبوية الشريفة : الحديث الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح : (لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا) (البخاري : كتاب الجهاد ، ٢٦٣١ ، ومسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٨٦٣) .

وأما جهاد الهجوم فلقد اختلف العلماء فى حكمه على ثلاثة أقوال :

القول الاول : أنه فرض كفاية ، وعلى هذا القول عامة المذاهب وجمهور العلماء ، قال ابن الهمام فى «شرح فتح القدير» (١٣٧٨ هـ) : "الجهاد فرض على الكفاية ، إذا قام به فريق من الناس يسقط عن الباقيين ، فإن لم يقم به أحد آثم جميع الناس بتركه . " (ج ٥ ، ص ٤٣٦) .

وهذا ابن رشد (الحفيد) - وهو من كبار فقهاء المالكية - فى «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ينقل لنا إجماع العلماء على أن الجهاد فرض كفاية على الكفاية ، لا فرض عين ، إلا عبد الله بن الحسن فإنه قال أنه تطوع " (ج ١ ، ص ٣٩٦) .

قال ابن قدامة - وهو من فقهاء الحنابلة - فى المغنى : " والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم يسقط عن الباقيين ، ومجنى فرض الكفاية إن لم يقم به من يكفي آثم الناس كلهم ، وإن قام به من يكفي يسقط عن سائر الناس " (ج ٩ ، ص ١٩٦) .

« وجاء فى المذهب للإمام الشيرازى - وهو من فقهاء الشافعية - " أن الجهاد فرض على الكفاية ، إذا قام به من فيه كفاية يسقط الفرض عن الباقيين . " (ج ٢ ، ص ٢٢٧) .

معنى ذلك أن المذاهب الأربعة اتفقت جميعا على أن الجهاد فى سبيل الله تعالى - طلبا وابتداء - فرض على الكفاية ، ومعنى فرض على الكفاية إذا قام به طائفة من المؤمنين من فيهم كفاية يسقط الفرض عن الباقيين ، وأما إذا لم تكن فى تلك الطائفة كفاية كاملة يآثم الجميع لتفريطهم فى فريضة الله تبارك وتعالى .

وإذا نظرنا إلى أحكام الجهاد السابقة نلاحظ أن الفقهاء رحمهم الله تعالى قد درسوا حكم الجهاد فى دار الاسلام ، وأن للمسلمين اماما يحمى بيضتهم وكرامتهم ، ويطبق فيه أحكام الله تعالى وشرعه ، والمسلمون آمنون مطمئنون مستقرون ، ولم يخطر ببال هؤلاء العلماء - جزاهم الله

تعالى خيرا - أنه سيأتي زمان على الأمة الإسلامية - مثل الوقت الحاضر - تتفرق كلمتهم ، وتفتصب أرضهم وكرامتهم وحريتهم ، ويبدل منهج الله تعالى مناهج الحادية في معظم بقاع العالم الاسلامي سيمسح المسلمون كالقطيع بلا راع في الليلة الشاتية ، وإن دماءهم أرخص الدماء على وجه الأرض . وقد يكون لهؤلاء العلماء والفقهاء العذر في ذلك حيث أنهم نظروا إلى الجهاد في ضوء ظروف الجيوش التي كانوا يعيشون فيها ، ولا ريب أن لكل عصر ، ظروفه ومشكلاته الخاصة به والتي تختلف وفقا للأوضاع المحلية والدولية . وعليه فالجهاد في حالة ما إذا لم يكن للمسلمين إمام ولا دار ، له حكم آخر ، وسوف نذكر ذلك عند الحديث عن المراحل التي مر بها الجهاد في التشريع إن شاء الله تعالى .

٣ - مراحل تشريع الجهاد :

على الرغم من أن الرسائل السماوية جاءت من أجل إسعاد الفرد . وهداية البشرية إلا أن الكثيرين قد وقفوا في وجهها . ولذا كان لابد للرسول من صبر وحكمة واستعمال كل وسيلة ممكنة لإقناع الناس ، إلا أن الدعوة أحيانا قد تصل إلى مرحلة لا تنفع معها الكلمة مهما كانت واضحة جلية . ذلك لأن بعض الناس طبعت نفوسهم على الجدال بالباطل ، والمكابرة والعناد . كما أن بعض النفوس يمنعها الكبر عن اتباع الحق ، وقد يكون البعض الآخر يخشى من ضياع مصالحه الشخصية إذا استجاب لدعوة الرسل الكرام ، ولا يهمه المصالح العامة مهما كانت ولذا يلجأون إلى الظلم والبطش . ولذلك لابد من اللجوء إلى استعمال القوة ، عندما لا يكون هناك علاج سواها ، ومن المعروف أن آخر الدواء الكي .

وعليه فقد مر الجهاد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بمراحل متعددة قبل أن يصل إلى حكمه النهائي الذي سبق ذكره ، ويمكن لنا ذكر هذه المراحل كالتالي :

المرحلة الأولى : مرحلة الإعداد والتربية :

وتتمثل هذه المرحلة العهد المكي حيث كان الجهاد فيها هو جهاد الدعوة إلى الله تبارك وتعالى بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ، وجهاد النفس بتقويمها وتزكيتها وتطهيرها وإصلاحها . وكانت الدعوة بالحكمة والموعظة ، قال تعالى : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (النحل ، آية ١٢٥) .

وكان الجهاد جهاد مبر ومصابرة على البأساء والضراء والشدة مع العفو والصفح الجميل ، والكف عن الانتقام والثأر ، قال تعالى : ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾ (المائدة / ١٣) ، قال تعالى : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ (الحجر ، آية : ٨٥) فلقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن قتال المشركين في هذه الفترة لأن الدعوة كانت وليدة عهد جديد ، وفي مرحلة النمو والتكوين ، وكان المسلمون غير مؤهلين للقتال لقلّة عددهم وعددهم ، وكانوا قريبين عهد بالإيمان والقتال في مثل هذا الوسط قد يؤدي إلى الهلاك والابادة ، وقد يؤدي إلى القضاء على الرسالة بالكلية .

واقتضت حكمة الله تبارك وتعالى تأجيل القتال إلى وقت مناسب وحين ملائم ، وكان المحابة رضوان الله عليهم أجمعين يلقون أنواعا من العذاب والأذى والتنكيل ، وكان الوحي يتنزل بالأمر بالكف عن القتال وبالمسبر على الشدائد وبالثبات على الإيمان .

« »
وهذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فيما يرويّه النسائي وأصحابه لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وقالوا : يا رسول الله إننا كنا في عزّ ونحن مشركون ، فلما آمنّا صرنا أذلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا " فلما حولهم الله تعالى إلى المدينة أمرّوا بالقتال فكفّوا " (كتاب الجهاد / ٣٠٨٦) . فأنزل الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة

وَأَتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبُّنَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ، قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تَتْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ (النساء / ٧٧)

وهي المرحلة التي لم يكن حينها للنبي صلى الله عليه وسلم نفسى الأرض سلطان مادّي بل كانت الجاهلية هي السائدة بسلطانها وحكمها .

والخلاصة أن هذه المرحلة كانت مرحلة التربية والتزكية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه ، والدعوة إلى التوحيد بالحجة والبيان والعمود أمام الأذى والمحنة ، والانضباط الكامل تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد استمرت هذه المرحلة طوال ثلاثة عشر عاما مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة حتى أذن الله تعالى لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل العلاء وأزكى التسليم .

ونخلص من ذلك أيضا إلى أن أولى مراحل الجهاد هي تزكية النفس وتدريبها على تحمل المشاق والمعاب ، وطاعة الله تعالى، حتى إذا أصبحت قادرة على المواجهة متسلحة بسلاح الإيمان انتقل الفرد إلى المرحلة الثانية وهي القتال ، أى أن القتال يسبقه إعداد وتهيئة للفرد حتى يوصل إلى نتائج مرجوة . يؤيد هذا أن الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم لو شئت لملنا على أهل مني بأسيا فإنا . فقال : لم أؤمر بذلك . المرحلة الثانية : الاذان بالقتال :

وقد بدأت هذه المرحلة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة حيث بدأ صلى الله عليه وسلم بتأسيس الدولة الإسلامية وأنذاك أذن الله سبحانه وتعالى للمسلمين بقتال الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق . حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَعْمِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۖ ﴾ (الحج / ٣٩) .

والجهاد فى هذه المرحلة لم يكن فرضاً، حيث جعل الله سبحانه وتعالى أمر الدفاع عن النفس متروكاً لقدرة المسلمين وامكاناتهم ، وذلك حتى يتكامل إعدادهم بشكل كاف .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى فى ذلك فى زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) بعد أن تحدث عن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة المنورة وبعد استقرارهم فيها : " فأذن لهم حينئذ فى القتال ، ولهم يفرضه عليهم ، فقال تعالى : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ ج ٣ ص ٧٠

ويرى بعض العلماء أن الاذن بالقتال كان فى أواخر العهد المكي وأن الهجرة جاءت بعد نزول آيات الاذن بالقتال ، ويقول ذلك ابن اسحاق فى السيرة (١٤٠٨ هـ) : " فلما أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له وللمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة ... فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يسألذن له ربه فى الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة...، ويقول أيضاً فى موضع آخر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له فى الحرب ، ولم تحلل له الدماء " (ج ٢ ، ص ١٠٨) .

والمفهوم من سياق كلام ابن اسحق أن الاذن بالقتال جاء فى فترة ما بين بيعة العقبة وهجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ولكن القول الراجح والمشهور بين العلماء أن الاذن بالقتال جاء فى المدينة المنورة بعد هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن كثير فى التفسير (١٤٠٦ هـ) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن آية الاذن بالقتال نزلت فى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف : هذه أول آية نزلت فى الجهاد . (ج ٣ ، ص ٢٣٥) .

ومهما كان الحال سواء أكان الاذن بالقتال قبل الهجرة أو بعدها
فان الاذن بالقتال ما جاء إلا بعد مرحلة الخطر ، وبعد أن قويت الشوكية
واشتد الجناح .

ونستدل من ذلك على أن المرحلة الثانية كانت بمثابة السماح للمسلمين
بقتال الذين يقاتلونهم ، وقد يرجع ذلك إلى أن المسلمين في هذه اللحظة
لم يكونوا قد بلغوا من الكثرة والقوة ما يمكنهم من الخروج لقتال كل
أعداء الدين ، وبالتالي اقتصر الأمر على الاذن بالقتال إما لعد هجوم
الأعداء . أو لحماية النفس أو غير ذلك مما يستدعي الموقف .

المرحلة الثالثة : فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط :

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين - بعد الاذن بالقتال
- من حين الى آخر دون فرض ، حتى فرض الله سبحانه وتعالى عليهم قتال
من قاتلهم دون من لم يقاتلهم . قال الله جل شأنه : ﴿ وقاتلوا في سبيل
الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . واقتلواهم
حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقتلواهم
عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه ، فان قتلوكم فاقتلواهم كذلك جزاء
الكافرين ﴾ البقرة / ١٩٠ - ١٩١ .

«
وفى ذلك يقول ابن القيم في زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) بعد أن تحدث
عن الاذن بالقتال : " ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من
لم يقاتلهم ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرماً ، ثم
مأذونا به ، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ، ثم مأموراً به لجميع
المشركين ، إما فرض عين على أحد القولين ، أو فرض كفاية على المشهور "
(ج ٣ ، ص ٧١)

وعلى هذا فقد كان القتال فرضاً عليهم في حالة بدء الكفار بقتالهم
ومحرماً عليهم بالنسبة لمن سالمهم ولم يقاتلهم .

« ... »

ومما يؤيد ذلك ما رواه الامام البيهقي رحمه الله تعالى في الدلائل (١٤٠٥ هـ) : عن محمد بن نصر أنه قال : وكانوا في أول ما أذن الله تعالى لهم في القتال لم يؤمروا بأن يبتدئوا المشركين كافة بالقتال بل إنما أمروا أن يقاتلوا من قاتلهم خاصة ، ومن ظلمهم وأخرجهم من ديارهم . فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وحولها من عبدة الأوثان وأهل الكتاب جماعات لم يقاتل أحدا منهم ولم يتعرض لهم بحرب ، وكان يتعرض لقريش خاصة ويقصدهم وذلك ان الله تعالى إنما أمرهم بقتال الذين ظلموهم وأخرجوهم من ديارهم وكان المشركون أيضا بالمدينة من أهل الكتاب وعبدة الأوثان يؤذونه وأصحابه فندبهم الله عز وجل إلى العبر على أذاهم والعفو عنهم ، فقال : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (ج ٥ ، ص ٥٨٠ ، والآية : آل عمران / ١٨٦) .

إن هذه مرحلة ثالثة من مراحل تشريع الجهاد ، فالجهد في هذه المرحلة إذاً حرب دفاعية وليست هجومية ، والقتال فيها إنما هو للدفاع عن النفس ولصد هجمات المشركين ودفع اعتداءاتهم وغاراتهم فقط .

المرحلة الرابعة : جهاد غير المسلمين كافة ، وذلك على اختلاف أجناسهم وأديانهم وعليه استقر الحكم النهائي للجهاد الاسلامي ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا انسَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ واقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْجَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (التوبة / ٥) .

يقول ابن كثير في التفسير : " وهذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك : إنها نسخت كل عهد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين ، وكل عقد وكل مدة . " (ج ٢ ، ص ٣٥٠)

وهذه الآية الكريمة في المشركين ، وأما قتال أهل الكتاب فقد قال الله تعالى : ﴿ قُتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى

يعطوا الجزية عن يد وهم مغرون * (التوبة / ٢٩) . فلقد خير الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب بين قبول الإسلام وبين دفع الجزية وأمسك المشركين لايقبل منهم إلا الاسلام أو السيف .

وليس هناك خلاف بين العلماء على أن حكم الجهاد قد استقر في النهاية على قتال جميع الكفار ، ولكنهم اختلفوا في وقوع النسخ في حكم الجهاد ، بمعنى هل المرحلة الأخيرة ناسخة لما قبلها من المراحل أم لا ؟

قال ابن العربي في أحكام القرآن (١٣٨٧ هـ) : " قوله تعالى : * فاذا انسلك الأشهر الحرم ٠٠٠ * الآية ناسخة لمائة وأربع عشرة آية " (ج ١ ، ص ٢٠١)

ويروي الإمام القرطبي في الجامع (١٣٨٧ هـ) عن الحسين بن الفضل قوله : نسخت آية السيف كل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض والعبر على أذى الأعداء " (ج ٨ ، ص ٧٣) .

وقال سيد قطب رحمه الله تعالى في الظلال (١٤٠٦ هـ) بعد تحقيق مسبق الموضوع : " إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة الإسلامية بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة . ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والأمكنة والأزمنة هي التي تحدد الأحكام وهو أنسب لإلخاطبه في ظروف من الظروف في زمان من الأزمنة في مكان من الأمكنة . مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة التي يجب أن يعار إليها ، متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام ، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة ، وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب " (ج ٣ ، ص ١٤٣٨) .

وإذا نظرنا إلى مراحل تشريع الجهاد في القرآن الكريم وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الكفار فإننا نرى أن هناك تدرجا ، بحيث أن الله تبارك وتعالى لم يأذن في القتال إلا بعد فترة من البعثة وبعد أن تأسست الدولة الإسلامية تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

ومتى أصبح للمسلمين دار واحدة، وإمام واحد يطبق فيها منهج الله تبارك وتعالى عقيدة، وشريعة، وعندهم قدرة كافية للجهاد فحينئذ يجب عليهم جهاد غير المسلمين كافة خارج حدود البلاد الإسلامية حتى يكون الدين كله لله تبارك وتعالى ، وإلا عليهم أن يأخذوا بحكم أى مرحلة منها إذا كانت ظروفهم متشابهة مع ظروف تلك تلك المراحل التى سبق ذكرها وتحقيق المرحلة الأخيرة وهى : جهاد غير المسلمين كافة على أختلاف أديانهم وأجناسهم ولذلك لايجوز للمسلمين أن يقفوا عند مرحلة من هذه المراحل مع القدرة على تحقيق المرحلة التى تليها ، لأن العبرة بالمرحلة الأخيرة التى وصلت إليها الحركة الجهادية فى الإسلام :

«
والخلاصة كما قال ابن القيم رحمه الله فى زاد المعاد (١٤٠٧ هـ) :
" أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان ، وإما بالمال ، وأما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع " (ج ٣ ، ص ٧٢) .
وذلك على قدر استطاعته وفق شروطه وظروفه .

٤ - فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى :

يعتبر الجهاد قاعدة أساسية من قواعد الإسلام الخالدة ، بل هو عموده وذروة سنامه ، ولقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (٠٠ رأس الأمر الإسلام وعموده العروة ، وذروة كفاحه الجهاد ٠٠) (كتاب الايمان ، رقم ٢٦١٦ . حديث صحيح ٠)

وهو الطريق الوحيد لانقاذ البشرية جميعا من سلطة القهر والاستبداد ، ولإزالة الحواجز والعوائق التى تعوق بينهم وبين نعمة الإسلام الحنيفى ولايمكن اظهار الاسلام عقيدة، وشريعة إلا بالجهاد فى سبيله سبحانه وتعالى

«
يقول الجصاص رحمه الله تعالى فى أحكام القرآن (١٣٩٩ هـ) فى بيان أهمية الجهاد : " وليس بعد الايمان بالله ورسوله فرض أكد ولا أولسى بالإيجاب من الجهاد وذلك أنه بالجهاد يمكن إظهار الإسلام وأداء الفرائض ، وفى ترك الجهاد غلبة العدو ودروس الدين ، وذهاب الإسلام " (ج ٣ ، ص ١١٥)

أنظر الى تلك الأهمية العظمى للجهاد ، إذ لا قيام للإسلام إلا به ، ولا حق حياة للمسلم بإيمانه إلا بالجهاد فى سبيل الله تعالى . كيف يعيش المؤمن مع كرامته وأصالته إذا كان دينه وعرضه وماله وكل كيانه مهددًا بل منتهكًا من قبل الأعداء ؟

وكيف يطبق منهج الله تعالى فى الأرض إذا كان الحكم بأيدي الطغاة والمجرمين ؟ ونظرا لأهمية الجهاد ومكانته فى الاسلام عنى الكثيرون من علماء الأمة الاسلامية بدراسته بحثا وتمنيفا ، فترى المحدثين رحمهم الله تعالى فى مؤلفاتهم القيمة ومدوناتهم النفيسة قد خصصوا بابا مستقلا للجهاد ، كما أن بعض العلماء أفردوا الجهاد فى مؤلف خاص مستقل ، مثل : « كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١ هـ » (١) وكتاب « أحكام الجهاد وفوائده » للأمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (٢) وغيرهما كثير ، ولله الحمد .

و مما يظهر فى فضل الجهاد فى الاسلام :

١ - سمو الهدف :

=====

إن الهدف الاصلى للجهاد هو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى . فالجهاد الإسلامى مقرون بالاصطلاح - فى سبيل الله - كلما ذكر فى كتاب الله تعالى أو فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للتأكيد على تحقيق هذا الشرط ، متى خرج عنه ، خرج عن صفته الاسلامية وعن كونه فى سبيل الله ، وأصبح كسائر الحروب التى يشنها الناس أو الدول بعضهم ضد بعض ، إما للكسب المادى أو التوسع الدولى أو الانتقام الشخصى ، أو للسيطرة والاستعلاء

(١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور نزيه حماد (جدة : دار المطبوعات

الحديثة عام ١٤٠٣ هـ) .

(٢) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور نزيه حماد ، (جده : مكتبة دار الوفاء

عام ١٤٠٦ هـ) .

والقهر والإذلال إلى غير ذلك من الأهداف الوضيعة ، ولتحقيق هذه الأهداف يستخدمون كل الوسائل الممكنة بدون ضابط انساني أو سلوك أخلاقي سوى أنهم يعتقدون أن الحق والحياة للأقوى وأن الغاية تبرر الوسيلة .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَكُتِلُوا أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء / ٧٦) . إن هدف الجهاد في الاسلام بَيِّن واضح جليّ وهو الجهاد في سبيل الله تعالى ، وأما اهداف الكفار من القتال فمتعددة، غامضة وقد عبّر عنه القرآن الكريم بالطاغوت ، والطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله تبارك وتعالى .

أما الهدف من الجهاد الاسلامي فقد أوضحه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري ، عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر ، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله " (حديث سبق تخريجه في ص ٧) . فتبين من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لايقبل من الجهاد إلا ماكان خالصاً لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته لايشوبه شيء من الأغراض الدنيوية والنفسية ، أو الطائفية أو القومية .

فالإسلام يصرّ على تحرير الناس من عبادة كل ماسوى الله تعالى الى عبادة الله وحده ، والكفر يصرّ على إخراج الناس من النور إلى ظلمات الشرك والجهل وشتان ما بين الهدفين !

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَكُتِلُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينَ كُلَّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَعِيرٌ ﴾ الأنفال / ٣٩ . وهذا أسمى هدف ، لأنه هدف اسلامي انساني عالمي .

وهذا سيد قطب رحمه الله تعالى يعلق على الهدف الأساس للجهاد في الظلال (١٤٠٦ هـ) إذ يقول :

" فليقاتل - فى سبيل الله - فالاسلام لايعرف قتالا إلا فى هذا السبيل، لا يعرف القتال للغنيمة ، ولا للسيطرة ولا للمجد الشخصي أو القومى . انه لا يقاتل للاستيلاء على الارض ، ولا لاستيلاء على السكان . . ولا يقاتل ليجد الخامات للمصانع والاسواق للمنتجات ، أو لروءوس الأموال يستثمرها فى المستعمرات ، وشبه المستعمرات . أنه لا يقاتل لمجد شخصى أو بيت أو طبقة ، ولا لمجد دولة أو أمة ولا لمجد جنس إنما يقاتل فى سبيل الله ، لاعلاء كلمة الله تعالى فى الأرض ولتمكين منهجه من تصريف الحياة ، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج ، وعدله المطلق بين الناس ، مع ترك كل فرد حرا فى اختيار العقيدة التى يقتنع بها فى ظل هذا المنهج الربانى الانسانى العالمى العام " .

(ج ٢ ، ص ٧٠٧)

لقد اتضح مما سبق ان الهدف من الجهاد فى الاسلام هدف سام ربانى يستحق كل التضحية فى سبيله بالنفس والمال وكل شيء .

٢ - تجارة رابحة ، فوز عظيم ، ونعيم مقيم :

إن الجهاد فى سبيل الله تعالى تجارة رأسمالها الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد بالاموال والآنفس ، وريحها المغفرة من الله سبحانه وتعالى ، والخلود فى جنات النعيم ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تَوَدُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَآخِرُ حَبِيبُونَهَا نَعْرُ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشَرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف / ١٠ - ١٣)

فالتاجر فى الدنيا مهما ربح، فإن ربحه محدود وفان ، إضافة الى ذلك أن ذلك الربح غير مضمون فى كل مرة ، يربح أحيانا ، ويخسر أحيانا . أخرى . وأما الإتجار مع الله سبحانه وتعالى فإن ربحه عظيم ذلك لأنه

مضمون من قبل الخالق جل شأنه وعظم أمره ووسعت رحمته وعطاءه . وهو صفقة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقَاتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

(التوبة / ١١١)

ومن رحمة الله تبارك وتعالى ولطفه بعباده أن جعل لهذه الصفقة عوضاً وهو الجنة وإلا فهو سبحانه وتعالى مالك الأنفس والأموال وماحب كسل شيء ثم إن هذا العوض موعود من الله الذي لا يخلف وعده ، حقا أنه لصفقة رابحة وفوز عظيم ، ونعيم لا ينفد في جنات النعيم .

٣ - الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عز وجل:

لقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حريصين جدا على معرفة أفضل الأعمال التي تقرّبهم إلى الله تعالى وترضي ربهم عنهم ، ولذلك كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم بإجابات مختلفة تتناسب مع ظروف السائلين وأهمية الموقف وقت السؤال . روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " حج مبرور " (البخاري كتاب الإيمان / ٢٦ ، مسلم : كتاب الإيمان رقم : ٨٢) .

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد في هذا الحديث في الدرجة الثانية بعد الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وجاء الحج في المقام الثالث بعد الإيمان بالله ورسوله وبعد الجهاد في سبيل الله تعالى .

وهذا يدل على أهمية الجهاد في سبيل الله تعالى وفضله العظيم ، لأن إقامة جميع الشعائر الدينية متوقفة عليه ولا يمكن تطبيق منهج الله تبارك وتعالى في الأرض بدون القيام لفريضة الله الجهاد في سبيل الله تعالى حق القيام .

ومما هو جدير بالذكر أن الطريق الذي كان يسلكه المسلمون إلى مكة المكرمة لإداء فريضة الحج والعمرة كان مغلقا من قبل المشركين ، ولكن بالجهاد في سبيل الله استطاع المسلمون أن يهزموا الكفار وأن يعيدوا فتح الطريق إلى بيت الله الحرام ، وبهذا تجاوزوا العقبات وتغلبوا على الصعاب بفضل الجهاد في سبيل الله تعالى .

ولقد روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : " الصلاة على وقتها " ، قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت ثم أى ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزددته لزدني " (كتاب الجهاد / ٢٦٣٠) .

فلقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد في هذا الحديث في المرتبة الثالثة بعد الصلاة وبر الوالدين . لأن الصلاة عماد الدين ، ولقد خلق الله الانس والجن لعبادته ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (الذاريات / ٥٦) .

فعبادته الله تبارك وتعالى هي الغاية من خلق الله سبحانه وتعالى الانس والجن وجميع المخلوقات .

ان بر الوالدين من أعظم القربات إلى خالق الكون والعباد ، لان الوالدين سببان لوجود الانسان في هذه الحياة الدنيا . كما سبق وقلنا أن أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تختلف من شخص إلى آخر على حسب أهمية الموضوع وتقدير أحوال السائلين من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وبغض النظر عن الترتيب فإن الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال وأعظم القربات الى خالق جميع الموجودات .

وقد يصبح الجهاد أوجب الواجبات فيما اذا استباح الكفار بيت الله الحرام وحالوا بين المسلمين وبين أداء فريضة الحج .

٤ - الجهاد فى سبيل الله تعالى وعمارة المساجد وخدمة أهلها :

إن للمسجد مكانة عظيمة فى الاسلام ، وأول عمل قام به النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما هاجر إلى المدينة المنورة إقامة المسجد ، لأنه ضرورى من ضرورات الدين الاسلامي . فهو مكان العبادة والذكر والدعاء ، قال تعالى : ﴿ فى بيوتِ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لِتَتْلَاهُمْ تَجْرَةً وَأَبْيَعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَا الزَّكَاةَ ﴾ (النور: ٣٦ ، ٣٧) والمسجد الحرام هو البيت الاول الذي وضع للناس وهو قبلة المسلمين .

يتجهون اليه يصلاتهم ، فهو خير مساجد الأرض على الإطلاق . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران/٩٦ وقال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة / ١٤٤)

والصلاة فى المسجد الحرام أفضل بكثير من غيره من المساجد . ولقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة فى مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) (البخارى : كتاب التطوع رقم : ١١٣٣ ، مسلم : كتاب الحج ، رقم : ١٣٩٤) .

وفى رواية أخرى عند ابن ماجه : (صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) (أبواب إقامة الصلاة رقم : ١٤٠٤٠ ، قال البوصري فى "المصباح" : اسناده صحيح ج ١ ، ص ٢٥٠) .

ولكن رغم هذا الفضل العظيم للمسجد الحرام فإن عمارته وسقاية الحاج فيه لايساوى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، لأنه لولا الجهاد ما بنيت المساجد وعمرت ولاستطيع أن تؤدى واجبها كما ينبغى ، إنما يعمر مساجد الله بصفوة خلقه من عباده ، المؤمنين الذين يجاهدون لإعلاء كلمته وشأنه .

يروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى أن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل الجهاد وعمارة المسجد وسقاية الحجاج أيهم أفضل ؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمْسَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجْهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَیْهِدِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (مسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٨٧٩ ، والآية : التوبة / ١٩) .

إن الله تبارك وتعالى ردّ عليهم مزاعمهم وأظهر بجلاء ووضوح فضل الجهاد فى سبيل الله تعالى على عمارة المسجد والحرام وسقاية الحجاج فيه . وكيف يساوى هذه الأعمال الجهاد فى سبيل الله تعالى فهو عميدوده وذروة سنامه وكفاحه وهو الطريق الوحيد لحماية المظلومين والمستضعفين ، ولإعلاء كلمة الله فى الأرض .

وقد حكم ميزان الله تعالى بعدم التسوية بين الجهاد وغيره من الأعمال ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ وميزان الله هو الميزان الحق وتقديره هو التقدير العدل لأن الأمر كله له جل جلاله .

إن المجاهد فى سبيل الله تعالى يضحي بأهله ووطنه وماله ونفسه لنشر الدين الاسلامى ، فكيف يساوى هذا العمل الجليل والهدف النبيل بمجرد عمارة المسجد والحرام وسقاية الحجاج ؟ وفوق ذلك كله ليسوا أهلاً لذلك بسبب شركهم ، إنما أهلهم المؤمنون المجاهدون فى سبيله وهم يستحقون كل خير .

هـ - الجزاء التفصيلي على أعمال الجهاد :

لم يترك الإسلام عملاً من أعمال الجهاد صغيراً أو كبيراً إلا أحصاه مقروناً بحسن الجزاء عليه ، وفى ذلك أوضح الدلالة على أن الله تبارك وتعالى يكافئ المجاهد فى سبيله على أعماله الجهادية كافة مكافأة تبلغ من ذروة الكرم مقاماً يغري جميع المجاهدين بالإتيان بالمزيد من أعمال الجهاد مهما كبرت أو صغرت .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ ٠٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ، لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة / ١٢٠ - ١٢١)

لو وقفنا وقفة تأمل فى هذه الآيات فاننا نجد مجموعة متكاملة من سبعة أعمال تتفرد فى القيمة الجهادية هابيين :

- ١ - احتمال كافة انواع العطش فى أثناء الجهاد فى سبيل الله تعالى .
- ٢ - مقاومة لجميع أشكال التعب أو النصب التى تنتاب المجاهد .
- ٣ - العبر على آلام الجوع التى تعذب الجسد .
- ٤ - الهبوط فى أرض العدو بما يغيظه ويثقل عليه ويشعره بذل الهزيمة .
- ٥ - إصابة العدو إصابة مؤثرة تضعف مقاومته .
- ٦ - النفقة على الجهاد مهما كبرت أو صغرت . لما لها من أهمية عظيمة .
- و ضرورة قصوى فى الإعداد والاستعداد .
- ٧ - كل خطوة يخطوها المجاهد فى سبيل الله تعالى ليقطع واديا من الأودية بعزيمة تامة .

إن الجزاء التفصيلي لا يقتصر على أعمال المجاهد فقط وإنما يشمل جميع أعمال فرسه من شح ورى حتى روثة وبوله .

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من احتبس فرسا فى سبيل الله ، إيمانا بالله وتعديدا بوعده ، فان شبعه ورّيه وروّثه وبّوله فى ميزانه يوم القيامة " (كتاب الجهاد / ٢٦٩٨)

لانه لا يحبسهُ إلا الله تعالى ، ولا يطعمه إلا الله عز وجل ولا يبتغى الأجر منه إلا من الله تعالى . وهذا من فيض رحمته وغبارة لطفه واحسانه سبحانه وتعالى .

٦ - فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى :

إن الجهاد يحتاج إلى المال كما يحتاج إلى الرجال ، ولا يتم الجهاد إلا بتوفير العدد والعدد . وإذا نظرنا إلى كتاب الله تعالى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن الأموال والأنفس قرينان في سياق الجهاد في سبيل الله تعالى ، فهما ركنان أساسيان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وكل واحد منهما متوقف على الآخر . وكان المجاهدون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يجهزون أنفسهم للقتال في سبيل الله تعالى على حسب إمكاناتهم المادية ، ولم تكن هناك رواتب يحملون عليها قادة وجنود . وإنما كان المجاهد المؤمن يعد آلة حربه وراحلته وزاده في منزله تطوعاً .

وكان هناك مجاهدون فقراء يرغبون في الجهاد ، ولكن ليس عندهم القدرة المادية الكافية التي تتيح لهم الفرص في الالتحاق بمسيرة الجهاد في سبيل الله تعالى ، فيجيئون إلى القائد الأعظم النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن ييسر لهم سبل الجهاد حتى يشاركوا في أداء الواجب المقدس ، وحتى لا تفوتهم هذه الفرصة الغالية . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجهزهم حسب الإمكانيات المتوفرة آنذاك فإذا لم يجد صلى الله عليه وسلم ما يجهزهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع كما حكى عنهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (التوبة / ٩٢) . وإضافة إلى ذلك كان أغنياء الصحابة رضوان الله عليهم يجهزون المعدمين من المسلمين في الجهاد حسب قدراتهم المالية ، وكان هؤلاء الأفاضل يتسابقون إلى تنفيذ أمر الله تعالى وأمر حبيبه صلى الله عليه وسلم في الإنفاق ، وكان بينهم تنافس شديد في الإنفاق في سبيل الله تعالى .

هناك قصة مشهورة دارت بين عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق
رضى الله عنهما - فيما يرويه الترمذى - تدل على شدة تنافس الصحابة
رضى الله عنهم فى الإنفاق ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه (أَمَرْنَا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك منى مالا ، فقللت
اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : " ما أبقيت لأهلك ؟ " قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل
ما عنده ، فقال : " يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ " قال : أبقيت لهم الله
ورسوله ، فقلت : لا أسبقه إلى شيء أبدا) كتاب المناقب رقم : ٣٦٧٥ ، حديث
حسن صحيح . وتأمل هذا العطاء والبذل والتضحية بالمال فى سبيل الله
تعالى إذ ينفق أبو بكر الصديق رضى الله عنه كل ماله ولا يترك لأهله شيئا
ولا غرابة فى ذلك لأنه الصديق ، وهي العقيدة الراسخة فى القلوب والبلوغ
إلى الذروة فى الإيثار والتضحية فى سبيل الله تعالى . وهذه العقيدة
واليقين تعمل المستحيل إذ صدقت ورسخت فى أعماق الأفتدة والقلوب .

ولقد روى الترمذى موقف عثمان بن عفان رضى الله عنه فى غزوة تبوك
وللمسمى بغزوة العسرة وهو مثل يحتذى به فلقد جاء رضى الله عنه بألف
دينار وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول : " ماض
عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين " (كتاب المناقب رقم ٣٧٠١ ، حديث حسن غريب
من هذا الوجه) . وبذلك استحق رضى الله عنه دعاء النبى صلى الله عليه
وسلم واستحق كل خير ، إن هذا ما يمتنع الإيمان الجازم والإدراك بأهميته
الإنفاق وفضله فى إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

والنصوص الواردة فى الإنفاق كثيرة لاتحصى فى كتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم .

أما النصوص الأمرة بالإنفاق أو بطريقة الحث والتحريض عليه أو بطريقة الذم
والعتاب لمن قعد عنه وتركه بدون عذر شرعى ، وسنذكر بعض هذه النصوص
بالترتيب على سبيل المثال لا الحصر إن شاء الله تعالى .

أولا : النصوص الآمرة بالانففاق :

قال تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة / ٤١) .

فأنت ترى كيف قدّم الله تبارك وتعالى الأموال على الأنفس في سياق الجهاد ، لأن الجهاد بالانفس متوقّف على الجهاد بالأموال ، وأن المؤمن الذي لا يستطيع أن يقدمّ ماله في سبيل الله فكيف يقدمّ أعز ما يملكه نفسه في سبيل الله ؟ وإن في ذلك لعبرة لمن تدبّر آيات الله تبارك وتعالى واطلع على حكمه وأسراره .

وهذا رسولنا الكريم محمد ، أفضل المجاهدين وأكرمهم صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالجهاد بكل وسعنا ، قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه - النسائي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه : (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) (النسائي : كتاب الجهاد رقم ٣٠٩٦ ، أبو داود رقم ٢٥٤٤) . وهذا يشمل جهاد المشركين بالعدّد والعُدّة وبمعنى آخر بالرجس وال أموال ، وكما يشمل الجهاد التعليمي والثقافي وهذا ما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم (وَالسِّتْكُم) . وسيأتى الحديث عنه قريبا في أنواع الجهاد إن شاء الله تعالى .

ثانيا : النصوص الواردة الآمرة بالانفاق بطريقة الحث والتحريض عليه :

من طبيعة النفس البشرية أنها مفضولة على حب الخير والثواب وعلى بغض الشر والعقاب . ومن حكمه الله تبارك وتعالى وهو خالق النفس البشرية ويعلم كنهها - أن استخدم كل الطرق والوسائل الملائمة لهداية الناس ، ولذلك جاءت نصوص في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بطريقة تحث على الانفاق في سبيل الله ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تَوَّعِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الصف / ١٠) .

ثالثا : النصوص الواردة في العتاب لمن ترك الإنفاق في سبيل الله تعالى

وقعد عنه :

هناك نصوص كثيرة وردت توبيخا على ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد فيه ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ . إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة / ٣٨ - ٣٩) .

وهذا توبيخ من الله تبارك وتعالى على ترك الجهاد والإنفاق في سبيله، وعتاب لمن آثر الحياة الدنيا وشهواتها الفانية بالقعود عن الجهاد والإنفاق له على الحياة الباقية . وقوله تعالى : ﴿ .. يَعْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ .. ﴾ تهديد شديد ووعد مؤكد في ترك الجهاد والإنفاق له ، حقا إنه لو عيد شديد تقشعر منه القلوب والأبدان، ولا بد للمسلم أن يعيه حق الوعي وألا يجعل نفسه عرضة لهلاك الله تبارك وتعالى وعذابه الأليم وذلك بعدم انضمامه إلى مسيرة الجهاد وبذل النفس والمال وكل شئ .

وروى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة " (كتاب الامارة رقم : ١٨٩٢) .

انظر كيف يتضاعف أجر النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف ، ولا غرابة في ذلك لأنها تصرف لتحقيق أهداف سامية وغايات نبيلة ألا وهي إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى على مستوى البشرية جمعاء . وإذا سمع المجاهد هذا العطاء الجزيل والكرم الوفي فهل يبخل في الإنفاق في سبيل الله تعالى ؟

بل أعرب من ذلك أن مجرد إعانة الغازي في سبيل الله تعالى بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير فهو غزو ، يحصل صاحبها مثل أجر الغازي وهو لا يذوق متاع السفر ولا مشقات المعركة بل مطمئن في أهله ومنزله بعيشة رغدة ، إن ذلك من عظيم رحمته ولطفه سبحانه وتعالى بعباده المؤمنين الصادقين في نياتهم وأعمالهم .

ولقد روى الشيخان عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا) (البخاري : كتاب الجهاد ، ٢٦٨٨ ، ومسلم الامارة / ١٨٩٥) ، وهل اقتضت رحمة الله تعالى وكرمه على الغازي والمنفق فقط ؟ لا ، بل شملت الدال على الخير والإنفاق والارشاد له ، روى مسلم عن أبي سعيد الأنصاري رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني أبدع بي فأحملني ، فقال : " ماعندي " ، فقال رجل : يارسول الله . أنا أدله على من يحمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من دل على خير فله مثل أجر فاعله " (كتاب الامارة رقم : ١٨٩٣) .

وتبين مما سبق أن كل مجهود في سبيل الله تعالى من المشاركة الفعلية للجهاد ، وإعانة المجاهدين بأية وسيلة ، وخلافة أهل المجاهدين بخير والدلالة على طرق الخير يعتبر من الجهاد الاسلامي ويشاب عليه فاعلوه لان هدف كل واحد منهم هو الاشتراك بأى وسيلة كانت في مسيرة الجهاد المقدس وبطبيعة الحال فلا عجب هناك في الاشتراك في الثواب ، لأن الجزاء من جنس العمل .

٧ - فضل الرباط في سبيل الله تعالى :

والمقصود من الرباط هنا مرابطة الغزو في نحور العدو وحفظ شغور الإسلام وهيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين . والرباط ضروري لبقاء الأمة في أمن واستقرار وهو ضروري لتحقيق فريضة الله تعالى الجهاد .

إلى آخر الزمان ، لذلك فقد حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنین على
المرابطة مبيناً فضلها وأهميتها . روى الامام مسلم رحمه الله تعالى
عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه
عمله الذى كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان) كتساب
الامارة / ١٩١٣ . وجاء فى رواية البخارى عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رباط يوم فى سبيل الله
خير من الدنيا وما عليها . . (كتاب الجهاد / ٤٧٣٥) .

والرباط خير من الدنيا وما عليها ، لأن صلاح الدنيا وفسادها
متوقف على نشر الدين الاسلامي فى العالم بالجهاد فى سبيل الله تعالى
وبالرباط فى مواقع الجهاد . .

نعم أن الرباط خير من صيام شهر وقيامه ، لأنه لولا الجهاد فى سبيل
الله تعالى لما تمكن المؤمن من إقامة شعائر الله تبارك وتعالى وعبادته
فى أرض الله عز وجل .

يروى ابن كثير فى التفسير عن عبد الله بن المبارك (١) الإمام المجاهد
رحمه الله تعالى أنه كان مرابطاً بطرسوس (٢) سنة سبع وسبعين ومائة وأرسل
إلى الفضيل بن عياض عابد الحرمين الشريفين (٣) رسالة فيها هذه الأبيات

(١) هو أبو عبد الرحمن ، الحافظ ، شيخ الاسلام المجاهد التاجر ، صاحب
التصانيف والرحلات ، وجمع الحديث والفقه والعربية وآيام الناس ، مات
بهيث (على الفرات) سنة ١٨١ هـ منصرفاً من غزو الروم (خير الدين
الزركلى) الأعلام ، ط ٦ ج ٤ ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤) ١١٥
(٢) مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت الحموى
معجم البلدان ، ج ٤ (بيروت : صادر ١٤٠٤ هـ) ص ٢٨ . وتقع الآن فى
حدود تركيا والتابعة لمحافظة أضنة (الباحث) .
ADANA

(٣) هو أبو على شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصالحاء ، كان ثقة فى
الحديث أخذ عنه الإمام الشافعى ، ولد فى سمرقند ثم سكن مكة وتوفى بها
سنة ١٨٧ هـ (الزركلى ، الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٥٣) .

ياعابد الحرمين لو أبهرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب
 من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدماءنا تتخضب
 أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
 ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السناك والغبار الأطيب
 ولقد آتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب
 لا يستوى غبار خيل الله في أنفامرى وذخان نار تلهب
 هذا كتاب الله ينطلق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأها الفضيل ذرفت عيناه ، ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن
 ونصحتني . (ج ١ ، ص ٤٥٧) .

فلا عجب من قول ابن مبارك رحمه الله تعالى لأنه ذاق حلاوة الجهاد .
 في سبيل الله تعالى والمرا بطة في الحدود والكفاح مع أعداء الله
 تعالى .

وهل يستوى من جاهد في سبيل الله تعالى بنفسه وماله ، ومن انعزل
 في مكان للعبادة ؟ طبعاً لا . لأن المجاهد يبذل جهده لإنقاذ البشرية
 من الظلمات إلى النور ، وأما المنعزل في زاوية من الزوايا لا يبذل جهده
 إلا لإنقاذ نفسه فقط . وشتان ما بين الهدفين !

لاشك أن الصحابة رضی الله عنهم أجمعين فهموا الاسلام حق الفهم وطبقوه
 في حياتهم العملية ومزجوا بين العبادة والجهاد ، كانوا رهبانا بالليل
 وفرسانا بالنهار ، ولنا في سيرتهم أسوة حسنة ، رضی الله عنهم أجمعين .

٨ - صدق النية في الجهاد كفعله :

من دلائل فضل المولى تبارك وتعالى وعظيم لطفه وكرمه : أنه أتاح
 للمجاهد في سبيله أن ينال ثواب الجهاد إذا صحت عليه نيته وإخلاصه ، فإذا
 صدقت نية المسلم في الجهاد وابتغى له أسبابه ثم عاقه عن الجهاد عائق
 فإن الله تبارك وتعالى يهبه ثواب المجاهد فضلاً منه وتفضلاً . وبذلك يستوي

المجاهد وغيره فى الثواب ، لأن النية الصادقة هى الأصل الصحيح فى استحقاق الثواب ورضى الرب .

قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (النساء / ١٠٠) .

فهل هناك حفز للمؤمن على الجهاد أقوى من ذلك ؟ وأنه ينال ثواب الجهاد وهذا يتوقف على مدى صدق نيته . وأغرب من ذلك : أن مجرد طلب الشهادة من الله تعالى بصدق وإخلاص مع الاستعداد للعمل للقيام بمطالبها وتحمل عواقبها ، يمنح المجاهد درجة الشهيد . وفى ذلك روى مسلم رحمه الله عن سهل بن حنيف رضى الله عنه عن أبيه عن جده ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه " (كتاب الامارة رقم ١٩٠٩) .

نعم وإن مات على فراشه ، لأن الأعمال بالنيات ، والمرء يجازى على حسب نيته .

ولقد جاء فى حديث رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يستزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه) (كتاب الامارة ، رقم ١٩٠٧) .

٩ - الموت فى سبيل الله حياة :

الإسلام يربى المؤمن على أن الموت فى سبيل الله تعالى حياة .. حياة دائمة خالدة ، بل إن روح الشهيد تنتقل إلى رياض الجنة لتتبعه فيها ، بعيشة ناعمة لسعيها راضية ، ولهذا فمن ابتغى الحياة الخالدة السرمديّة فى الجنة فعليه أن يطلبها تحت ظلال السيوف أو غيرها من أدوات القتال الحديثة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ ، فَرَحِينَ بِمَا أَتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * (آل عمران ١٦٩) .

وهكذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن تبقى أرواح الشهداء حياة بعد مفارقتها لأجسادهم ، وأن يتفضل المولى العلى القدير عليهم بمختلف أنواع الرزق تكريما لهم وإعظاما لتضحياتهم ، ذلك من وقت استشهادهم الى وقت بعثهم " فكأن حياة الدنيا دائمة متجددة. لهم وهم عنها راحلون .

وإذا عرف المقاتل المؤمن أنه سيظل حيا بالشهادة ، فهل يخيفه الموت والشهادة. فى سبيل الله تعالى ؟
وحين يعلم أن الاستشهاد فى سبيل الله تعالى سوف يضمن له مقعد صدق عند مليك مقتدر فلماذا يتردد فى طلب الموت ؟

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى فى صحيحه عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية :
* ولا تحسبن الذين قتلوا (...) فقال : (أرواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى الى تللك القناديل ...) (كتاب الامارة ، رقم ١٨٨٧) .

ويستفاد من النصين القرآنى والنبوى :

- * أن حياة الشهداء حياة محققة مؤكدة. لا مجازية ولا وهمية ، .
- * وأنها حياة واقعية يمارس فيها الشهداء ما أنعم الله عليهم من ثمرات الجنة .
- * وأن الشهداء فى الجنة يرغبون إبلاغ إخوانهم بما هم فيه من نعيم مقيم حتى يزدادوا فى الجهاد رغبة ، وحتى يحرموا على الفوز فى الدنيا بالشهادة. لا يتمنى أحد أن يرجع الى حياة الدنيا بعد دخوله الجنة إلا الشهيد لأنه ذاق حلاوة إيمانه وثمره جهوده. بتعيم لا يقاس أبدا. بملذات الدنيا
- روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وله ما على الأرض من شيء

إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (البخارى : كتاب الجهاد ، رقم ٢٦٦٢ ، مسلم : كتاب الإمارة رقم : ١٨٧٧)

وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ماتقدم مسن ذنبه وماتأخر وهو سيد ولد آدم ، أفضل الأنبياء والرسل ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى يتمنى أن يقتل فى سبيل الله مرات ومرات .

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تضمن الله لمن خرج فى سبيله ، لأخبره إلا جهاداً فى سبيلى وإيماناً بى ، وتصديقاً برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه ، نائلاً مانال من أجر أو غنيمة . والذى نفس محمد بيده . ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئتته حين كلم ، لونه لون دم ، وريحه مسك . والذى نفس محمد بيده . لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً . ولكن لا أجسد سعة فأحملهم . ولا يجدون سعة ، ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى . والذى نفس محمد بيده . لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل) . (كتاب الإمارة / ١٨٧٦) . ان هذه بشارة سارة من المولى تبارك وتعالى للمجاهد الصادق المخلص بضمان الدنيا والآخرة ، وأما ضمان الدنيا فهو النصر والغلبة على الأعداء والتمكين فى الأرض ونيل الأجر والغنيمة ، وأما ضمان الآخرة فهو الأمان من عذاب القبر والخلود فى روضات الجنة وله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وحين يسمع المؤمن هذا الوعد المطلق من الله الوهاب هل يخيفه الموت فى سبيل الله تعالى ؟ فما الذى يمنعه عن إراقة دمه فى أشرف الوان الموت ؟ لأن خاتمه الحياة هى الموت لا محالة ، فواجب المسلم أن يتخير لنفسه أشرف أنواع الموت ، وأن تكون هذه النهاية مرتبطة بأعظم الأجر والثواب من الكريم الوهاب .

إن الشهيد يبعث يوم القيامة وإن جرحه يسيل دماً . لونه لون دم ولكن ريحه ريح مسك يغبطه الناس ويتعجبون منه ، وفوق ذلك كله أن أهله

وأقاربه بانتظاره لينالوا من شفاعته كما جاء فى حديث رواه الترمذى وأبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته " الترمذى : كتاب فضائل الجهاد ، رقم ١٦٦٣ ، أبو داود ، كتاب الجهاد رقم : ٢٥٢٢ .

هـ - أنواع الجهاد فى الإسلام :

وإذا نظرنا إلى النصوص الواردة فى كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن أعداء المؤمن بصفة خاصة ، وأعداء الدعوة الإسلامية والأمة المسلمة بصفة عامة تنحصر فى خمسة أعداء رئيسية ألا وهى النفس البشرية بشهواتها وأهواءها والشيطان اللعين ، والكفار والمنافقين ، وفئة الفاسقين والظالمين ، ويشترك هؤلاء الأعداء فيما بينهم على محاربة عباد الرحمن على تعطيل مسيرة الدعوة الإسلامية .

ولقد أشار ابن قيم الجوزية إلى هؤلاء الأعداء فى زاد المعاد « وبين عظم خطرهم على المؤمن وأشار إلى ضرورة جهادهم ومحاربتهم » (ج ٣ ، ص ٧٠٥) .

وكما أشار إليهم الامام القرطبى رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ قال : هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به والإنتهاء عن كل مانع الله عنه أى جاهدوا أنفسكم فى طاعة الله تعالى وردّها عن الهوى ، وجاهدوا الشيطان فى ردّ وسوسته ، والظلمة والكاغرين فى ردّ كفرهم . (ج ١٢ ، ص ٩٩) .

ويقول الراغب فى المفردات : " أن الجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس " ص ١٠١ .

وبعد عرض آراء بعض العلماء فى أنواع الجهاد يمكن لنا تصنيف الجهاد كالاتى :

١ - جهاد النفس .

٢ - جهاد الشيطان .

٣ - جهاد المنافقين .

٤ - جهاد الكفار .

وسوف نحاول من خلال الصفحات التالية أن نتعرف على كل نوع من أنواع الجهاد بشيء من التفصيل وفقا للترتيب السابق إن شاء الله تعالى .

(١) جهاد النفس :

إن الله تبارك وتعالى خلق النفس البشرية ، وهو أعلم بها منها
 ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الملك / ١٤ ، وزودها سبحانه
 وتعالى باستعدادات متساوية للخير والشر . وارشدنا سبلها : صلاحها
 وتقواها حيث قال جل شأنه : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ، فَأَلْهَمْنَاهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا
 قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (الشمس ، ٧ - ١٠) .
 قال ابن كثير رحمه الله في التفسير : «أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة
 القويمة ، فأرشدنا إلى فجورها وتقواها . قال ابن عباس رضي الله عنهما : بين لها
 الخير والشر . قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله تعالى وظهرها من الأخلاق الدنيئة
 والردائل » (ج ٤ ، ص ٥٥٧) . وأما طبيعة النفس البشرية فلقد أشار إليها
 سيد قطب في الظلال :

" بأنها مزدوجة ، مزدوجة الإستعداد ، مزدوجة الإتجاه ، والإنسان
 مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال
 وأنه قادر على التمييز وتوجيه نفسه إلى الخير والسي
 الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه ، كامنة في
 صميمه في صورة استعداد . أن وظيفة الرسالات والتوجيهات
 والعوامل الخارجية إيقاظ هذه القدرات وتوجيهها هنا

أو هناك . إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة
 قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان ، هي التمسك
 تناط بها التبعية، فمن استخدم هذه القوة في تركيبتها
 نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبها على
 استعداد الشر ، فقد أفلح، ومن أظلم هذه القوة وخبأها
 وأضعفها فقد خاب " (ج ٦ ، ص ٣٩١٧)

وهذا تشخيص رائع للنفس البشرية، ووظيفة التربية هي توجيه استعداد
 الخير وتنميته وتغليبها على استعداد الشر ، وبذلك يمكن للتخلص من تسلط
 قوى الشر التي تهدد النفس البشرية باستمرار، وبالتالي تركية النفس
 البشرية وتطهيرها وتهذيبها بالتعرف على كل عيوبها وأمراضها ومن ثم
 علاجها للوصول إلى الفلاح * قد أفلح من زكها ، وقد خاب من دسها *

وبذلك تظهر أهمية جهاد النفس للفرد المسلم لانقيادها على طاعة
 الله تبارك وتعالى وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . وحين فقد المسلم
 جهاد نفسه وأهمله فقد شخصيته الإسلامية .

وأما جهاد النفس فقد أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
 رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه " المجاهد من جاهد نفسه
 في طاعة الله ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " (كتاب فضائل الجهاد .
 ١٦٢١ ، حديث حسن صحيح) ، فإنه مقدم على جهاد العدو .

وفى ذلك يقول ابن القيم فى زاد المعاد : " إن جهاد النفس
 مقدم على جهاد الأعداء فى الخارج ، وأصل له ، فإنه ما لم يجاهد نفسه
 أولا ، لم يمكنه جهاده عدوه ، فكيف يمكنه جهاد عدوه ، وعدوه الذى بين
 جنبه قاهر له ، متسلط عليه لم يجاهد ولم يحاربه فى الله ، بل لا يمكنه
 الخروج إلى عدوه ، حتى يجاهد نفسه على الخروج " (ج ٣ ص ٦) .

ولذلك كان الجهاد قبل الإذن بالقتال جهاد النفس : بتقويمها ، وتركيتها
 وتطهيرها وإصلاحها، وكان الجهاد جهاد هبر ومصاربة وتضحية حتى تبقى النفس

آمنة مطمئنة ، قوية الايمان ، راسخة اليقين .

وفى ذلك يرى سيد قطب أيضا أن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد فى المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد الأكبر فى نفسه مع هواه وشهواته ، مع مطامعه ورغباته ، مع مصالحه ومصالح عشيرته وقومه ، ومع كل دافع إلا العبودية لله تعالى وتحقيق سلطانه فى الأرض وطرد سلطان الطواغيت المغتصبين لسلطان الله تبارك وتعالى . (ج ٣ ، ص ١٤٤١) .

حقا أن تضحية النفس والمال والوقوف أمام الأعداء ، تتطلب إيماننا راسخا فى القلوب وبقينا صادقا فى الصدور .

إذا ما هى مراتب جهاد النفس ؟ وكيف نجاهد أنفسنا ؟ وما هى الخطوات التى نسلكها فى خلال عملية التزكية ؟

يرى ابن حجر العسقلانى رحمه الله تعالى فى الفتح (١٣٧٨ هـ) أن جهاد النفس يمر بمراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : تعلم أمور الدين ، والثانية العمل بها ، والثالثة تعليمها . (ج ٦ ، ص ٣٤٣) .

بتعبير آخر أولا : العلم والعمل ثم التعليم .

بينما يرى ابن القيم رحمه الله تعالى أن جهاد النفس أربع مراتب : قال فى زاد المعاد :

المرحلة الاولى : جهادها على تعلم الهدى ودين الحق ، والثانية : جهادها على العمل به بعد علمه والثالثة : جهادها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه والرابعة : جهادها على العبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخلق) (ج ٣ ، ص ١٠) .

ولاتختلف وجهة نظر ابن حجر عن وجهة نظر ابن القيم فى تقسيم مراحل

جهاد النفس وهما يشتركان فى مراحل ثلاث فى هذه العملية وهى :

١ - تعلم أمور الدين . ٢ - العمل بمقتضاها . ٣ - نشره وتعليمه ،

• ووجوب استكمال هذه المراتب كلها ليعبر العبد من الريانيين •

وفى ضوء التصنيفات السابقة يمكن لنا أن نستنتج أن جهاد النفس

يمر بمرحلتين رئيسيتين :

الاولى : جهاد داخلي وهو جهاد الفرد بنفسه على تعلم أمور الدين ثم العمل

بها •

والثانية : تعليمه ونشره على الآخرين •

إذاً هناك مظهران لجهاد النفس : مظهر ديني ، ومظهر اجتماعي ،

وكلا المظهرين يكمل بعضه الآخر في صورة عملية بحيث لا ينفصلان أبدا •

والخلاصة أن الله تبارك وتعالى خلق النفس البشرية وأرسلها إلى طريق

الخير والشر بإرسال الرسل الكرام وإنزال الكتب السماوية ، وخيرها بين

أن يسلك أحد هذين الطريقين * وَهُدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * (البلد / ١٠) ، وأمر

عباده بتزكيتها وتطهيرها بحملها على طاعة الله تبارك وتعالى حتى تكون

آمنة راضية مرضية ومن دساها فقد خاب وخسر • وأن جهاد النفس مقدم على

جهاد العدو ومصاحب معه ، ولا ينفك عنه بحال من الأحوال •

٢ - جهاد الشيطان :

أن من فضل الله تبارك وتعالى على عباده أن عرفهم على أعدائهم

وأساليب الوقاية منهم ، وطرق مجاهدتهم ، ومن هؤلاء الأعداء الشيطان

اللعين : * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا * (فاطر : ٦) وقد ذكر

الشيطان في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، تحذيرا

من عداوته وحشا على معارضة وجهاده ، وأمرنا الله عز وجل ألا نتبع

خطواته ، لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر * يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ

حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ

وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * (البقرة / ١٦٩)

إن للشيطان منافذ يدخل منها إلى قلب الإنسان ، وإذا استطاع المؤمن

أن يتعرف على هذه المنافذ وسدّها فقد قطع الطريق على هذا العدو •

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ الإسراء / ٦٥ . وعلى رأس هذه المنافذ الهوى والشهوات ، والهوى هو ميل النفس إلى الشهوة ، فمن امتلأ قلبه بها فقد أتاح للشيطان فرصة الدخول والسيطرة على قلبه ، ومن ثم الاستيلاء عليه ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ الجاثية / ٢٣ . فعمل الشيطان هو الوسوسة والتزيين واللقاء الأمانى وذلك من أجل صرف الانسان عن أمر ربه وطاعة خالقه جل وعلا .

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (النحل/٦٣)

والشيطان يريد إيقاع العبد فى عقبة من العقبات ، بعضها اصعب من بعض ولا ينزل من عقبة إلى مادونها الا اذا عجز عن الظفر به فيها .

وقد أشار ابن القيم رحمه الله تعالى الى تلك العقبات فى مسدارج السالكين (١٤٠٣ هـ) وهى :

- ١ - عقبة الكفر بالله تعالى وبدينه ولقائه .
 - ٢ - عقبة البدعة .
 - ٣ - عقبة الكبائر .
 - ٤ - عقبة العفائر .
 - ٥ - عقبة المباحات .
 - ٦ - عقبة الاعمال المرجوحة المفضولة مسن
- الطاعات . " (ج ١ ، ص ٢٤٥) .

معنى ذلك أن الشيطان اللعين يتدرج فى الإغواء ، إن أولى المراحل التى يحاول الشيطان من خلالها إغواء الانسان والإيقاع به فى المهالك هو الكفر بالله تعالى وبدينه لأنه إذا أبعد الانسان عن الله تعالى وهديسه أمكن بعد ذلك أن يفعل به ما يريد . ومن هنا كانت أولى درجات الغواية وأهمها البعد عن الطريق السوى ، ألا وهو طريق الحق سبحانه وتعالى . وإن عجز اللعين عن إغواء العبد فى العقبة الأولى ينتقل إلى العقبة الثانية والثالثة . حتى يفسد نيته وإخلاصه ويحبط عمله بأية وسيلة ، وفى نهاية الأمر يوءديه إلى النار وبذلك يرتضى عدو الله ، لأنه حصل مقصوده . ونال على ما يريد . ولكن جهاده لا يتم إلا بمعرفة أهدافه وأساليبه ومنافذه إلى قلوب العباد وإذا تعرف العبد إلى هذه ، أمكنه بعد ذلك مقاومته ومعارضته ومن ثم جهاده . إن شاء الله تعالى . ولاشك أن أولى مراحل جهاده . أن يكون لدى المؤمن العزم على جهاده ، ثم الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى

ومراقبته جل وعلا ، لأن الذكر يوقظ القلب من الغفلة ويبعد الشيطان ، ومن ينسب ذكر الله تعالى يسهل للشيطان قرينا * ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطنا فهو له قرين * الزخرف / ٣٦ . وعلى الإنسان أن يتوب إلى الله توبة نوحا ويستغفره ، ويستعيد به من الشيطان في كل أوقاته ، ويطلب من الله تعالى العون والسداد . ومن كان حريصا على نيل رضوان الله تعالى والتخلص من كيد الشيطان فليعبد ربه وليجاهد نفسه وشيطانه ، ومن دخل هذا المضمار بحق فإن الله تبارك وتعالى سوف يفتح له كل خير * وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ * (العنكبوت / ٦٩)

إن هذا وعد من الله تبارك وتعالى ، والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده .

٣ - جهاد المنافقين :

المنافقون هم الذين أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر ، فهم أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من غيرهم من الكفار ، وذلك لوجودهم في قلب الأمة الإسلامية والمجتمع الاسلامي ، ولأجل ذلك أمر الله تعالى بجهادهم مع الكفار حيث قال جل شأنه : * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئْتَسُّ الْمَعِيرُ * (التوبة / ٧٣) .

إن النفاق لم يظهر بمكة المكرمة ، لأن الكفار كانوا أقوياء وأعزاء وكان بمقدرتهم النيل من أهل الإسلام وقد فعلوه ، ولم تكن هناك ضرورة أو حاجة لأن يتظاهروا بالإسلام . ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة أقيمت الدولة الإسلامية وأصبح للمؤمنين قوة ومنعة وعزة وكرامة ، فحينئذ تظاهروا بالإسلام وأبطنوا بالكفر ، خوفا من عزالإسلام وأهله ، وطمعا لمتاع الدنيا الفانية من جهة ، عداوة وبغضا للإسلام والمسلمين من جهة أخرى ، ولكن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور كشف أستارهم وفضحهم وذكر صفاتهم الذميمة وأعلم نواياهم الخبيثة وجعلهم في الدرك الأسفل من النار * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * (النساء / ١٤٥) .

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن لا يصلي على أحد منهم قد مات ، وأن لا يقوم على قبره وأن لا يستغفر لهم ، وأن لا يخرج معه أحدا للقتال منهم وذلك بعد غزوة تبوك .

ومن أهم خصائص المنافقين وصفاتهم : الكذب ، والخيانة والفجور . . . ولقد روى الشيخان عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) البخارى كتاب الايمان رقم : ٣٣ (مسلم كتاب الايمان رقم : ٥٩) . هذه بعض صفاتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما القرآن الكريم ففيه سورة بكاملها تتحدث عن المنافقين ، وكما توجد فيه آيات عديدة تكشف عن ستائرهم وتذكر صفاتهم وتحذر المؤمنين عن تعاملهم . ومن هذه الصفات : المخادعة والكسل فى القيام للعبادات ، لأنهم لا يقومون بها خالصة لله تعالى بل للرياء والسمعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدَعُونَ اللَّهُ وَهُوَ خَدَعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ وَيَرَأَوْنَ النَّاسَ لَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء / ١٤٢) .

٢ - المدّ عن سبيل الله تعالى بكل وسيلة ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَعَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ الْمُنَافِقُونَ ٢/ ۚ ﴾ . لأنه الهدف الاول والغرض الأساسى لديمهم قاتلهم الله تعالى .

٣ - الفرح لخدلان المؤمنين والحزن لنصرهم : ﴿ إِنْ تَعْبَكَ حَسَنَةٌ تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تَكُ مُعِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (التوبة / ٥٠) ولا غرابة فى ذلك لأنهم أولياء الكفار ، ومن الطبيعى أن يوالوهم ويعادوا المسلمين والمرء مع من أحب ، ويقول الله تعالى فى ذلك ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، الَّذِينَ يَتَخَذُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (النساء / ١٣٨) . وهذه بعض صفاتهم وغيرها كثير . فاذا كانت هذه صفاتهم فإن أمرهم خطير ، وشأنهم عظيم وكم ضررهم فادحا فى المجتمع الاسلامى ؟ وخاصة فى أوقات الشدة والمحن وفى مواطن الجهاد والقتال ، فينبغى الحذر كل الحذر

من هذه الفئة الضارة السامة على الإسلام والمجتمع الاسلامي .

وأما كيفية معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين فقد لخصها ابن تيمية رحمه الله تعالى في «الصارم المسلول» (١٣٧٩ هـ) كالاتي :
 « كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع من الكفار والمنافقين في أول الاسلام أذى كثيرا ، وكان يصبر عليهم ، لأن إقامة الحدود عليهم كان يفضي إلى فتنة عظيمة ومفسدة أعظم من مفسدة الصبر على كلماتهم . فلما فتح الله تعالى مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وأنزل الله تعالى بجهاد الكفار والمنافقين والغلبة عليهم ، أضمرُوا النفاق ، فلم يكن يسمع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا بغيبظهم وهذا يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتمل من الكفار والمنافقين قبل نزول براءة مالم يكن يحتمل منهم بعد ذلك ، كما كان يحتمل من الكفار من أذى وهو بمكة مالم يكن يحتمل بدار الهجرة والنصرة » (ص ٢٢٣) .

وإذا نظرنا إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين، نرى أن هناك تدرجا في معاملتهم على حسب التطورات التي طرأت على الدعوة الاسلامية ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

بعد ذكر بعض صفاتهم وبعد بيان كيفية معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للمنافقين يجدر بنا أن نتعرض لكيفية مواجهة كيدهم ، وإبطال أثرهم في المجتمع الاسلامي أو على الأقل تخفيف أثرهم على الإسلام والمسلمين .

لقد ذكر محمد نعيم ياسين طائفة من الأساليب والوسائل النافعة في مواجهتهم في كتابه الجهاد (١٤٠١ هـ) ومنفها في طائفتين :
 الاولى : الأساليب الوقائية . والثانية : الأساليب العلاجية .

ومن الأساليب الوقائية : معرفتهم ودراسة صفاتهم ، وترك موالاتهم ومقاطعتهم ووضعهم في موضع الشك والريبة في أقوالهم وأعمالهم ، الحيلولة بينهم وبين المراكز الخطيرة ، سيانة لعفات المسلم من التنازع والتدابير ، وحسن الظن بالآخوة المؤمنين ، والاحتياط والحذر منهم عند العزم على

اتخاذ إجراءات مهمة والقيام بأعمال خطيرة ، وأما الاساليب العلاجية فتتركز فى : تذكيرهم عذاب الله تعالى إذا لم يتوبوا ، وتذكيرهم أن الله تعالى مطلع على سرائرهم وعلاقتهم ، عدم التساهل معهم والغلظة عليهم فى معاملتهم وزجرهم بشدة ، وإظهار عدم الرضى منهم .

وأما من العقوبات المعنوية لهم ، عدم الاستغفار ، وعدم الصلاة على موتاهم ورد نفقاتهم وعدم قبولها . (ص ١٤٧ - ١٥٩) .

وإذا نظرنا الى الاساليب السابقة لمواجهة كيد المنافقين نلاحظ أن معنفها قد ذكر الاساليب العامة التى يمكن تطبيقها فى دولة اسلامية أو فى أى مجتمع اسلامى لايقام فيه شرع الله تعالى ، ولأنك أن جهاد المنافقين وأساليب مواجهتهم يختلف من زمان الى زمان وفى مكان الى مكان على حسب الظروف والشروط ، وهذا جلى واضح فى كيفية معاملة النبی صلى الله عليه وسلم للمنافقين قبل غزوة تبوك وبعدها وقبل نزول براءة وبعدها .

كما سبق من تلخيص ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وقد اختلف العلماء فى الجهاد والغلظة على المنافقين أتكون بالسيف أم فى المعاملة والمواجهة وكشف سرائرهم للأنظار ؟. أن هناك ثلاثة آراء روى ابن كثير فى «التفسير» : الأول : يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق ، وروى هذا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف : سيف للمشركين ، سيف للكفار أهل الكتاب ، وسيف للمنافقين ، وسيف للبغاة) وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا يقتضى أنهم يجاهدون بالسيف إذا أظهروا النفاق .

الثانى : يجاهدون باللسان والحجة والبيان ، روى هذا عن ابن عباس والضحاك وابن مسعود رضى الله عنهم أجمعين .

الثالث : جهادهم باقامة الحدود عليهم ، روى ذلك عن الحسين وقتادة ومجاهد . وقال ابن كثير : ولا منافاة بين هذه الأقوال ، لأنه تارة يؤخذهم بهذا ، وتارة بهذا بحسب الأحوال . (ج ٢ ، ص ٣٨٥) .

وإذا نظرنا الى هذه الآراء ، أدركنا ان جهادهم بالسيف واقامة الحدود عليهم لايتحقق الا بعد قيام دولة الاسلام .

والخلاصة أن النفاق مرض خبيث ، فهو خطر على الاسلام والمجتمع الاسلامي ولا يخلو أى مجتمع اسلامي فى أى وقت من الأوقات من هذا الوباء الذى يظهر عند ضعف المسلمين ويزداد نشاطا ويختفى عند عزة المسلمين وقوتهم ولايمكن استئصاله نهائيا لأنه يظهر ويختفى ويتجدد على حسب ظروف المسلمين وأحوالهم فلا حل هناك إلا باتباع سيرة النبی صلى الله عليه وسلم فى المنافقين بالتعرف على صفاتهم وتحركاتهم ومراقبتهم من قبل الأمة الاسلامية واتخاذ الموقف المناسب وفقا للظروف السائدة .

٤ - جهاد الكفار :

لقد أعلم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم عن موقف الكفار ونواياهم من الاسلام والمسلمين * ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطعوا * (البقرة / ٢١٧)

هو موقف العدو والإغراض والشر والفساد والمكر والمقاتلة حتى تتبع ملتهم * ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم * (البقرة / ١٢٠) وينفقون أموالهم ويستخدمون كل طاقاتهم وجهودهم ليهذوا الناس عن سبيل الله تعالى عدوانا وظلما ، بغيا وحساد ،

لقد جاهد النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكفار من حيث بعث إلى أن لقي ربه عز وجل ، واستعمل لهدايتهم وإرشادهم كل الطرق الممكنة والوسائل الملائمة ، لقد رأينا بعضها عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد واستقر الحكم النهائى على قتالهم ومحاربتهم بالتفصيل الآتى ، كما ذكره الامام القرطبي فى الجامع (ج ٨ ، ص ١١٠ - ١١٦) :

١ - يخير المشركون بين الدخول فى الاسلام وبين السيف ، قال تعالى : * فإذا انسلكوا الشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم

واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * (التوبة / ٥) .

٢ - يخير أهل الكتاب من اليهود والنصارى بين أمور ثلاث : إما الدخول

فى الإسلام أو الدخول فى ذمة المسلمين مع دفع الجزية أو السيف .
قال تعالى : * قتلوا الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم مغضون * (التوبة / ٢٩) .

وأما كيفية جهاد الكفار لقد تحدثنا عنه بشئ من التفصيل عند بياننا لحكم الجهاد ومراحل تشريعه وفضله وسوف نتناوله أيضا عند حديثنا عن أهداف الجهاد وعند دراستنا لسورة الأنفال إن شاء الله تعالى .

ويتضح مما سبق أن أنواع الجهاد فى مجموعها متكاملة ومتراصة فيما بينها ولا يعنى ما تقدم من التقسيم أن بعضها منفصل عن بعض . لقد جسدنا آيات كريمة وأحاديث شريفة تأمر بكل نوع منها وتوضح منها ما يرمى لتحقيق هدف واحد وهو تحقيق العبودية لله تعالى على مستوى الافراد والجماعات والأمم ، ومن ثم العالم .

٦ - أهداف الجهاد فى الإسلام :

لقد شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد لأهداف سامية ومقاصد نبيلة كلها خير وبركة ، وكلها عدل ورحمة ، إن هذه الأهداف منبثقة من الغاية الأساسية التى خلق الله تعالى الخلق لأجلها وهى تحقيق العبودية لله تعالى وحده لا شريك له * وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * (الذاريات / ٥٦) .

إن الهدف الرئيسى هو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى فى الأرض . قال تعالى لبيان هذا الهدف : * وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * (الأنفال / ٣٩) .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَيَكُونُ
الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ أى يكون دين الله هو الظاهر العالى على سائر
الأديان (ج ١ ، ص ٢٣٤) .

ولقد جاء الإسلام ليكون إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان فى الأرض من عبودية
العباد الى عبودية رب العباد، ومن العبودية لهواه وشهواته الى عبودية
رب العالمين . وهذا لا يتحقق إلا باظهار دينه واعلاء كلمته تبارك وتعالى .

وقد أوضح النبى صلى الله عليه وسلم هذا الهدف الاساسى من الجهاد
فى حديث جامع شامل رواه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : جاء رجل
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل : الرجل يقاتل للمغنم والرجل
يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله ؟ قال : من
قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله (حديث سبق تخريجه) .

والمؤمن لا يجاهد لغرض دنيوى أو كسب مادى أو لغرض نفسى ، فلقصد
رد النبى صلى الله عليه وسلم كل هذه الأغراض التافهة ، ووجه الأنظار
الى هدف سامى وغاية عليا وهو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ثم إن الجهاد الإسلامى مقرون بمصطلح - فى سبيل الله - كلما ذكر فى
كتاب الله تعالى أو فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومتى خرج عن هذا
القيد ، أصبح كحروب الناس ، وفقد هويته الشرعى ، فلا يسمى فى سبيل الله
تعالى ، بل يسمى فى سبيل الطاغوت .

ومن هذا الهدف العام للجهاد يمكن أن نستنبط عدة أهداف فرعية تتمثل

فى :

- ١ - إقامة منهج الله تعالى فى الأرض عقيدة وشرعة .
- ٢ - تبليغ دعوة الإسلام إلى العالم .
- ٣ - دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين .
- ٤ - ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة فى سبيل الله تعالى .

٥ - الحصول على الغنيمة والفىء .

والآن نتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الأهداف الفرعية للجهاد الاسلامي .

١ - إقامة منهج الله تعالى فى الارض :

ومن أهداف الجهاد فى سبيل الله تعالى إقامة منهج الله تبارك وتعالى فى الأرض والحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى ، بتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة . وشريعة على مستوى الأفراد والجماعات وبمعنى آخر إقامة الدولة الاسلامية بحذافيرها . إن الاسلام منهج حياة ، فلقد أنزل الله تعالى كتابه ليكون للناس دستوراً إلهياً * **وَإِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَى اللَّهُ** (النساء / ١٠٥) . **وَإِن الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُفْرٌ * وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** **فَالْأَكْثَرُ هُمُ الْكَافِرُونَ** * المائدة / ٤٤ .

فالدين الذى ارتضاه الله عز وجل للبشرية لم ينزله للعقيدة . أو العبادة . فقط ، ولا بياناً للأدب والاخلاق والفضائل فحسب ، ولا بياناً للأنظمة والشرائع فقط ، ولكنه يشمل ذلك كله إنه عقيدة ، عبادة ، وأخلاق ، ونظام .. إنه دين ودولة يقيم شئون الدنيا كلها على أساس من الدين ، ويتخذ من الدين سنداً . للدولة .

ويرتبط الدين بالدولة فى الاسلام ارتباطاً كبيراً ، ارتباط القاعدتين . بالبناء فالدين أساس الدولة ومواجهتها ولا يمكن تصور دولة اسلامية بلا دين كما لا يمكن تصور الدين الاسلامى بلا دولة .

وقد سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يباشر بالجهاد إلا بعد الهجرة بعد أن قام بتأسيس الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة وبعد أن بدأ بتطبيق منهج الله تبارك وتعالى عقيدة . وشريعة لأنه لا يمكن أبداً نشر الدين الاسلامى ، ولا التمكن من حماية المظلومين والمستضعفين فى الأرض إلا بقوة الدولة وبرجال آمنوا ونشأوا

فى ظلّ منهج الله تبارك وتعالى .

«ويقول المودودى رحمه الله تعالى فى الجهاد فى الاسلام :
 " إن الاسلام ليس بمجرد مجموعة من العقيدة، الكلامية ، وجملة
 المناسك والشعائر كما يفهم من معنى الدين فى هـــــــــــــ
 الأيام، بل الحق أنه نظام شامل ، يريد أن يقضى على
 سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية فى العالم
 ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهجاً معتدلاً
 يرى أنه خير للإنسانية من النظم الأخرى ، وأن فيه نجاة
 للجنس البشرى من أدواء الشر والظغيان " (ص ٢٨) .

خفاً إنه لنظام شامل يشمل الحياة كلها ، وتحقيق هذا النظام هو
 أولى مرحلة من مراحل الجهاد الإسلامى وأول هدف من أهدافه .

فالاسلام من حيث الأساس يرفض كل حركة غايتها إقامة أية نظم شرقية
 أو غربية ، لايقوم على منهج الله تعالى ، لأن أنظمة الكفر مهما اختلفت
 أسماءها وتنوعت أشكالها فإنها ترمى فى النهاية إلى القضاء على منهج
 الله تبارك وتعالى ، وإقامة منهج البشر بدل منهج الخالق تبارك وتعالى ،
 ولذلك فإن الاسلام اعتبر الكفر ملة واحدة فى جميع أنواعه وصوره على
 مدى العصور والامكنة والأزمنة .

٢ - تبليغ الدعوة الاسلام إلى العالم :

إن الاسلام دين عالمى ، لقد بعث الله تبارك وتعالى نبيه محمداً صلى
 الله عليه وسلم لهداية البشرية جميعاً وجعله خاتم النبيين وأنزل القرآن
 الكريم - وهو آخر الكتب السماوية - لإرشاد الناس إلى الحق والهدى وليخرجهم
 من ظلمات الشرك والكفر والعميان إلى نور الهدى والإيمان .

وقال تعالى مخاطباً نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :
 ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ : ٢٨) .

وأمر نبيّه محمدًا صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
 وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۝ ﴾ (المائدة / ٦٧) . وكما هو معروف لم يكن
 طريق الدعوة الإسلامية سهلاً هيناً ، فمن الطبيعي ألا تجد استجابة سريعة من
 قبل الناس ، والقرآن الكريم يقص علينا ملاقاة الرسول عليه الصلاة والسلام
 بصفة خاصة والرسول الكرام بصفة عامة من معارضة وأذى من قبل أعدائهم .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار في بداية الأمر
 بالحجة والبيان والحكمة والموعظة الحسنة ، وأمر بالعفو والمفح والعسر
 وأنذر عشيرته الأقربين وقومه وتحمل في سبيل الدعوة أنواعاً من الأذى .
 فما كان موقف الكفار من هذه الدعوة ؟ هو موقف الإعراض والعناد والمكر
 والفساد والوقوف أمام الحق ومسد الناس عن دين الله تعالى .

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عن موقف الكفار
 ونواياهم السيئة ومقاصدهم الخبيثة بأنهم لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى
 يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، وفي ذلك ينفقون أموالهم ويستخدمون كل
 إمكاناتهم المادية منها والمعنوية ليعدّوا الناس عن دين الله تعالى .

فإذا كان هذا موقفهم من الدعوة الإسلامية ، لابد بالمقابل من موقف
 مناسب للحال ، حتى ينشر دين الله تعالى في الأرض .

والموقف الذي اختاره الله تعالى هو خير موقف ، أنه لابد من دعم
 الدعوة ورجالها ، ولابد من إزالة الحواجز والموانع ولابد من مقاومتهم بالسيف
 بعد مقاومتهم باللسان والحجة والبيان .

إذاً الجهاد مرحلة حتمية من مراحل الدعوة الإسلامية لابد منه .
 إن الإسلام لا يعد القتال غاية في ذاته وإنما يعدّه وسيلة لتحقيق الغاية
 العظمى من الجهاد .

إن الذي يعنيه هذا النص القرآني ۝ ﴿ وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۝ ﴾ هو
 إزالة الحواجز المادية والمعنوية المتمثلة في سلطان الطواغيت وإمكانية
 إيصال الدعوة إلى كافة الناس مهما غلا الثمن .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لنا ذلك الهدف من الجهاد .
 فى حديث رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه (أمرت أن أقاتل
 الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصيتم
 منى نفسه وماله الا بحقه ، وحسابه على الله) (البخارى : كتاب الجهاد .
 / ٢٧٨٦ ، مسلم : كتاب الايمان / ٢١) .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه الشيخان لعلى رضى الله عنه
 يوم خيبر بعد أن أعطاه الراية (.. انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ،
 ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدى الله بك
 رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (البخارى : كتاب الجهاد / ٢٧٨٣ ،
 مسلم : كتاب فضائل الصحابة / ٢٤٠٧) .

تبين من ذلك أن الغرض الاساسى للجهاد هو دعوة الناس الى الاسلام
 فإذا قبلوا عصموا من المجاهدين دماءهم وأموالهم ، ويصبحون أفرادا فى
 المجتمع الاسلامى فلهم مالهم من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات .

«
 وذكر ابن كثير فى البداية (١٩٧٤م) أن رستم قائد الفرس ظن أن المسلمين
 جاءوا للحصول على متاع الدنيا ونعيمها ولذلك يحاربون ، فما كان أن فوجئ
 بجواب ربيعى بن عامر مبعوث سعد بن أبى وقاص قبل وقعة القادسية ، وذلك
 بعد أن سأل رستم : ما جاء بكم ؟ قال ربيعى : الله ابتعثنا لنخرج من شاء
 من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور
 الأديان الى عدل الاسلام) (ج ٢ ، ص ٣٩) .

وهذا دليل واضح لا يقبل الشك على أن الهدف من الجهاد الاسلامى هو تنوير
 الناس بنور الايمان وتخليصهم من أيدي الغاصبين لحريتهم وكرامتهم وكيانهم
 وإطلاقهم أحرارا يعيشون آمنين مطمئنين على أنفسهم وأموالهم فى ظل عدل
 الاسلام متمتعين بنعمه الجزيلة وحقوقه الشاملة وبذلك اكتسبت حركة الجهاد
 بتحريرها للانسان صفتها العالمية لأنها لم تضيف رسالتها على العرب بعفنة
 خاصة وانما اتجهت الى الانسان كله بصفته الانسانية مهما كان نوعه أو سلالته
 كما لم تضيف رسالتها على أرض العرب وحدها وانما اتسعت مجالاتها لتشمل

الأرض كلها، وان الشواهد التاريخية لحركة الجهاد لتؤكد تلك الحقيقة
فالمجاهدون الأوائل نشروا الاسلام بالبيان والسنان وأزالوا الحواجز
والعوائق أمام الدعوة الإسلامية .

٣ - دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين :

ان الاسلام دين العزة والكرامة ، لا يقر لأهله الذل والاستسلام والاستكانة ،
لان العزة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين جميعاً
ولا يرضي لأهله السكوت على اعتداء المعتدين وظلم الظالمين بل يأمر أهله
أن يقابلوا الاعتداء بالمثل ولا يتركوا المعتدين دون جزاء يفعلون للاسلام
وأهله ما يريدون قال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة / ١٩٤) .

ولذلك أذن الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالقتال لأنهم ظلموا ، -
وأخرجوا من ديارهم وحرّموا من أموالهم ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَعْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج / ٣٩) .

وقد سبق وأن ذكرنا في حكم الجهاد ان الدفاع في مواجهة أى هجوم
عدوانى على المسلمين هو فرض مؤكد لا يجوز تركه بحال من الاحوال .

ولا يقتصر الجهاد فى الاسلام على دفع الاذى عن المسلمين ورد عدوان
المعتدين فى مركزه فقط ، بل إنه شرع لدفع الظلم والعدوان أينما وقع
وبأى شكل وقع . لأن المؤمنين اخوة وإنهم فى توادهم وتراحمهم كالجسد
الواحد ، يحسون بآلام اخوانهم ويشاركونهم فى حل مشاكلهم وقضاياهم .
وهذه فئة قليلة من المؤمنين فى مكة عذبوا وأوذوا بعد هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يتيسر لهم سبل الهجرة وهم
راغبون ، ولقد أنكر الله سبحانه وتعالى على المسلمين عدم انقاذهم
المستضعفين والمظلومين من اخوانهم وهم محصورون ، قال تعالى : ﴿ وَمَا لَكُمْ
لَا تَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * (النساء / ٧٥) . وكيف ترتب سراح نفوس المؤمنين وتغمض لهم جفن وهم يعلمون بأن اخوانهم في اللبس يعانون أشد المحنة والفتنة ، الفتنة في العقيدة ، والدين ؟ والحق أن انقاذ المظلومين والمستضعفين من أيدي الظالمين من مقتضيات الإيمان والأخوة الإسلامية وإنه من صلب الجهاد الاسلامي وجوهره . وقد أوجب فقهاء الاسلام على الأمة الاسلامية كلها أن يخلصوا المرأة المسلمة إذا أسرها أعداء الله .

ويقول ابن عابدين في الحاشية - وهو من فقهاء الحنفية " مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها من الأسر .. " (ج ٦ ، ص ١٢٦٠) لأن المؤمنين أمة واحدة . وانتهاك حرمة مؤمن واحد هو انتهاك حرمة المؤمنين مهما كان لونه وعرقه وبلده . الذي يسكن فيه ، لان العبرة بالعقيدة والدين لا باللون والجاه والمال والبلدان .

والخلاصة أن دفع عدوان الكافرين وحماية المظلومين واجب ديني وأنه من أهداف الجهاد الاسلامي ، ومن ملازمات الأخوة اليمانية .

ع - ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة . في سبيل الله تعالى :

إن الابتلاء سنة الله تعالى في خلقه سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم لان الدنيا دار ابتلاء * وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا * وهذا عام في جميع الخلق . (الفرقان / ٢٠)

واذا كان الابتلاء سنة الله تعالى في الناس كافة فإن أصحاب الرسالات السماوية خاصة أشد تعرضا لأنواع الابتلاء ويقول تعالى * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ * (الفرقان / ٣١) . ولقد روى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : " الانبياء ، ثم الامثلال فالامثال ، يبتلى الرجل حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة) (كتاب الزهد / ٢٣٩٨ ، حديث حسن صحيح) .

لأن الأنبياء هم صفوة خلق الله تعالى وجاءوا ليخلصوا الناس من هوانهم وشهواتهم وضلالاتهم، وفي المقابل فهم يتعرضون إلى الرفض والإنكار ويمسبون بالابتلاء ، وكان صبرهم أعظم وأكمل في ذلك الاختبار والامتحان .

وإذا كان هذا حال الأنبياء عامة فنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الأنبياء والرسول - كان أكثر تعرضا لأذى قومه . وكان عليه العلة والسلام في القمة من الصبر والنجاح في الابتلاء ، وكان الصحابة رضي الله عنهم أكثر تعرضا للبلاء من بين أمم الأنبياء السابقين . وكيف لا ؟ انهم خير أمة أخرجت للناس ، تربوا بمدرسة النبي صلى الله عليه وسلم ، رضي الله عنهم وأرضاهم . يقول تعالى في الابتلاء ﴿ أَلَمْ . أَحْسَبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت / ١ - ٣) .

إن الصحابة رضي الله عنهم لم يتركوا، بل فتنوا في سبيل الله تعالى أشد البلاء حتى شكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . روى البخاري عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه عليه وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ، فقلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو الله لنا ؟ قال : " كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له فسي الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ، مَادُون لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصْده ذلك عن دينه . والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون) (كتاب المناقب / ٣٤١٦) .

إن الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد من امتحان النفوس ليخرج صادقها من كاذبها وصحيحها من سقيمها وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكفار ويتخذ من المؤمنين شهداء أخلاء ، حيث قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ﴾ (آل عمران / ١٤٠) .

وقد أبتلى دعاة الإسلام في كل عصر وفي كل زمان ويستمر ابتلاءهم مادام هناك حق وباطل والصراع القائم بين أهل الكفر والإيمان والذي

لا بد منه - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهذا سنة الله تعالى، ولكن
تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا .

وقد تختلف أشكال الإبتلاء والامتحان من عصر إلى عصر ، ومن زمان إلى
زمان أو من شخص إلى شخص ، ولكن الأشكال مهما اختلفت وتنوّعت فإن الجوهر
والأصل هو النجاح والفلاح لكسب رضى الرحمن .

هـ - الحصول على الغنيمة والفىء :

وليس الحصول على الغنيمة من الأهداف الأصلية للجهاد ، وإنما من الأهداف
الشانوية، لأن الهدف الاصلى للجهاد هو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ، وأن
أهداف الجهاد كلها معنوية ، ومن قال ان الغرض الاساسى فى الجهاد هو الحصول
على المادة، فقط فهذا مردود فى الشريعة الاسلامية. والمؤمن الصادق لا يقاتل
الا لله ولا يسالم الا لله تبارك وتعالى .

ولكن الله تبارك وتعالى أحلّ الغنائم لهذه الأمة المحمدية، وكانت
محرمّة على الأمم السابقة . وهذه من رحمة الله تبارك وتعالى واحسانه
وتفضله على هذه الأمة التي هي غير أمة أخرجت للناس والتي جعلها الله أمة وسطا حيث قال :
تعالى : ﴿ فكلوا مما غنمتم طلأ طيبا ﴾ (الأنفال / ٦٩) . ان الله تبارك
وتعالى جعلها طيبة طاهرة للمؤمنين، وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث متفق
عليه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ((وأحلّ لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلى)) (البخارى : كتاب
التيمنم / ٣٢٨ ، مسلم : المساجد ٥٢١) . وأن هذه من خصائص النبى صلى
الله عليه وسلم وأمته .

كما سبق وأن تحدثنا أن الجهاد يحتاج إلى المال كما يحتاج إلى الرجال ،
والكافرون ينفقون أموالهم ليهودوا الناس عن سبيل الله تعالى فمن الطبيعي
الإستيلاء على أموالهم وإمكاناتهم المادية لكسر شوكتهم وتعجزهم ماليا
وعسكريا ، وفوق ذلك كله فإن الكافرين لا يرحمون المؤمنين . ولا يتورعون عن
اغتنام أموالهم اذا تغلبوا عليهم ، واغتصبوا ثرواتهم وخيراتهم

كلمة ————— وجدوا فرصة إلى ذلك كما فعلوا بمكة وغيرها .
ثم إن الاستيلاء على أموال العدو يعتبر ضربة اقتصادية لهم وهذا
من أهم المؤثرات التي تكسر معنويات الأعداء وتعمل على فشلهم . ولا شك
إن المؤمن أحق بالتمتع بنعيم الدنيا ومتاعها لأنهم عباد الله
حقاً يجاهدون لأعلاء كلمته ونشر دينه ، وينفقون أموالهم في سبيل الله
تعالى . وهذا وعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزته التي تحققت حيث
قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله
عنه " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده .
والذي نفسي بيده ، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " (كتاب الفتن / ٢٩١٨) .
لقد تحقق وعد النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزته .

« وروى البيهقي في الدلائل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين
خروجه لغير قريش قبل معركة بدر الكبرى بعد أن نظر إلى أصحابه (اللهم
إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فاشبعهم ،
افتح الله لهم يوم بدر فانقلبوا ومامنهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملتين
واكتسوا أو شبعوا) (ج ٣ ص ٣٨) .

وهذا يدل على جواز الخروج إلى الغزو للحصول على المادة . لأن النبي
صلى الله عليه وسلم دعا بذلك ولقد أجاب الله تبارك وتعالى دعاء حبيبه
محمد عليه الصلاة والسلام .

« ويقول الامام القرطبي رحمه الله تعالى في الجامع في هذا العدد .
" ودل خروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلقى العير على جواز النفير
للغنيمة لأنها كسب حلال " (ج ٧ ، ص ٣٧٦) .

ولا غرابة في ذلك فإن عير أبي سفيان قد وصلت إلى مكة سالمة وأنفقت
لتجهيز جيش قريش لمحاربة الإسلام ، فمن الطبيعي الاستيلاء عليها وإنفاقها في
سبيل الله تبارك وتعالى .

وخلاصة القول أن الحصول على المادة من الأهداف الثانوية للجهاد .

وليست من الأهداف الأساسية، وإنها أيضا من الأهداف التابعة التي تسهيل الطريق إلى وصول الغاية الأساسية للجهاد وهو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى ونشر دينه. والقتال للحصول على العادة. فقط هو قتال للدنيا لا الآخرة وهو قتال الكافرين والمستعمرين لجلب خيرات الآخرين ، وغصب أراضيهم وامتصاص دماءهم، والاسلام لا يرضى القتال إلا في إطاره الشرعي الديني ولم يبحه إلا لهدف سام ورباني مع التقيد بشروطه الانسانية وآدابه القيمة وأخذ الغنيمة لا ينقص من شأن الاسلام ، ولا يضعه في قفص الاتهام بعد أن صرح الكتاب والسنة بجواز أخذ الغنيمة وإنها حلال طيب .

واتضح فيما سبق ان الهدف الرئيسي للجهاد هو إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وهذا لا يتحقق إلا بإقامة منهج الله تبارك وتعالى في الأرض ونشر الدعوة الإسلامية الى كافة الناس بدعّم أهلها وحماية المظلومين والمستضعفين من المؤمنين . ومتى خرجت هذه الجهود عن دائرة (في سبيل الله) فقد فقدت هويتها الإسلامية ولا تسمى بعدد في سبيل الله تعالى .

ان للجهاد الاسلامي ثمرات طيبة وفوائد عظيمة ، وهي تحقيق الأهداف التي سبق ذكرها بعضها ، كما في تركه أضرار جسيمة وخسائر فادحة وهي خسارة الدنيا والآخرة ، وبمعنى آخر تطبيق الجهاد يحقق السعادتين : سعادة الدنيا بالعز والكرامة وسعادة الآخرة برضى الرحمن والفوز بالجنة ونعيمها .

أن ترك الجهاد خسارة الدنيا بالذل والهوان وخسارة الآخرة بسخط الرحمن وقد جمع هذه المعاني كلها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه ابو داود عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم " (كتاب البيوع / ٣٤٦٢) .

ولقد تحققت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم طوال التاريخ ، والتاريخ يحدثنا بوضوح أن المسلمين كانوا في عز وكرامة مدة. قيامهم بفريضة الجهاد في سبيل الله ، أصبحوا قادة العالم وساسة الدنيا بعد أن كانوا رعاة الابل. ومتى تركوا الجهاد في سبيل الله تعالى جعل الله تعالى

بأسهم بينهم بالحروب والفتن الداخلية إضافة إلى استعبادهم واستعمارهم
من قبل أعدائهم .

هل تريد مثالا واقعيا على هذا ؟ أنظر للاسلام وأهله في الوقت الراهن

تري مايغنيك عن النظر في التاريخ .

وهذا ابو بكر الصديق رضى الله عنه الخليفة الراشد ثانى اثنين في الغار

يوكد أهمية تطبيق الجهاد في سبيل الله في أول خطبة ألقاها بعد توليه
مهام أمور المسلمين حيث قال : فيما يذكر ابن كثير في البداية « (لا يبدع

قوم الجهاد في سبيل الله تعالى إلا ضربهم بالذل...) (ج ٥ ، ص ٢٤٨) .

ولذلك ان أول عمل قام به بعد توليه إنفاذ جيش أسامة رضى الله عنه وحروب

الردة، والفتوحات المستمرة .

ان جميع الأضرار التي تنشأ من القعود عن الجهاد قد شملتها كلمة

واحدة، في القرآن الكريم . وهي (الفتنة) . قال تعالى في سياق الهجرة
والجهاد ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي سَبِيلِ
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال / ٧٣) .

«

وقال المودودي رحمه الله تعالى في كتابه : شريعة الاسلام في الجهاد

(١٤٠٦ هـ) " وما ورد في القرآن الكريم من تفصيل لهذا اللفظ - يعنى الفتنة - يمكن
اجماله فيما يلي :

١ - ظلم الضعفاء وسلب حقوقهم المشروعة وإيذاؤهم .

٢ - الضغط على الحق بالقهر والاستبداد ومنع الناس من قبول الحق .

٣ القتال في سبيل الباطل والقتل وسفك الدماء في أغراض غير مشروعة .

٤ - غلبة أهل الباطل وسيطرتهم على أهل الحق . (ص ٧٩ - ٨٠) .

والحق أن أضرار تركه والقعود عنه كثيرة لاتحصى ، كما أن ثمرته

وفوائده كثيرة لاتحصى منها مانعلم ونذكرها، ومنها لا يعلمها إلا الله تبارك

وتعالى .

٧ - تحريف معنى الجهاد فى الوقت الحاضر :

إن أعداء الله من النصارى واليهود وغيرهم من الملحدين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ليعمدوا الناس عن دين الله تعالى ، ولأجل ذلك يسعون بكل وسيلة لتحريف وتشويه المصطلحات والمعانى الاسلاميـــــة ، ليخرجوها عن مدلولها الشرعى والأساسى إلى معانٍ توافق وتساعد أغراضهم الخبيثة .

ومن هذه المصطلحات مصطلح الجهاد فى سبيل الله تعالى . ولقد سلكوا لذلك مسالك مأكرة جعلت كثيرا من أبناء المسلمين الغافلين يسهمون فى ذلك التحريف والتشويه إسهاما كبيرا، ومنها :

١ - دعوى بأن الإسلام انتشر بقوة السيف والقهر والجبروت ، وكان المسلمون متوحشين ، وأن تاريخ الإسلام كان سلسلة من المذابح والحروب وسفك الدماء ...

يقول المودودى رحمه الله تعالى فى كتابه " الجهاد فى سبيل الله " موضحا تصوير أعداء الإسلام لمعنى الجهاد : " لقد جرت عادة الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحروب المقدسة إذا أرادوا ترجمتها بلغاتهم ، وقد فسروها تفسيرا منكرا وتفننوا فيه وألبسوها ثوبا فضفاضا من المعانى المموهـــــة الملفة ، وقد بلغ الامر فى ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عـــــن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء " ص ٦٠٥ .

لاشك أن هذه فرية باطلة ودعوى كاذبة تحمل فى طياتها العداوة والحقد للإسلام ومعانيه، وأصحاب هذه الدعاوى يهجمون على الإسلام عامة وعلى الجهاد خاصة بغرض التبرير أن الإسلام انتشر بالسيف بينما المسيحية انتشرت بالمحبة والمودة والسلام .

إن أمثال هؤلاء لا حاجة فى الرد على دعاوهم الكاذبة التى لا تستند إلى أى دليل-لان آيات الجهاد فى القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته العملية التطبيقية وعمل خلفائه من بعده وعمــــل التابعين تدفع مثل هذه الدعاوى .

وقد رأينا عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد أن الاسلام انتشر بالحجة والبيان ، بالحكمة والقرآن ، وأكبر مثال على ذلك اسلام الانصار . وفى خارج الجزيرة العربية لقد اتبع النبى صلى الله عليه وسلم الطرق السلمية فى نشر الدعوة الاسلامية معثلة فى هذه الطرق فى الكتب التى بعث بها النبى قادة العالم والتى يرويها الشيخان والبيهقى فى الدلائل مثل قيس بن الروم وكسرى فارس ، مقوقس مصر والنجاشى ملك الحبشة . (البخارى كتاب التفسير / ٤٢٧٨ ، مسلم : كتاب الجهاد / ١٧٧٣ - ١٧٧٤ ، الدلائل ج٤ ص ١٣٩٣) يدعوهم الى دين الله تعالى بالحجة والبيان وحسن الكلام .

وعلى ذلك جرت سنة الخلفاء الراشدين مع أهل البلاد المفتوحة مع احترام حريتهم الدينية وحقوقهم المدنية التى يتمتعون بها وقد حافظوا على تلك الحرية بعهودهم ومواثيقهم التى أعطوهم اياها ويقول فى ذلك عثمان جمعة ضميرة فى منهج الاسلام فى الحرب والسلام (١٤٠٢ هـ) : « والتاريخ يحدثنا أن المسلمين فتحوا البلاد بأخلاقهم وحسن معاملتهم قبل أن يفتحوها بسيفهم ، وأن أكثر المناطق التى انتشر فيها الاسلام إنما انتشر عن طريق التجار الذين نصبوا أنفسهم دعاة للاسلام فى تلك البلاد . وهذا كان له الأثر فى انتشار الاسلام فى الصين والهند والشرق الاقصى وأفريقيا وغيرها من البلاد » . (ص ١٣٩) .

كما قلت لاحاجة فى الرد على مثل هذه الدعاوى وان كان لابد منه فهنا ليس محله .

٢ - دعوى بأن الجهاد فى الاسلام دفاعى فقط غير هجومى :

لاشك أن أعداء الله تعالى يحرصون كل الحرص على قتل الروح الجهادية فى نفوس المؤمنين ويخافون من عودة المسلمين إلى دينهم ومن ثم تحيا فريضة الجهاد ويعود المؤمنون لاستئصال جذور الشرك والضلال ويعيدون للاسلام مكانته وعزته ، ولذلك يحرصون كل الحرص أن ينالوا من مفهوم الجهاد فى كل وسيلة إما بانكاره مطلقا أو نسخه أو التناقض أو بقصر مفهومه على الدفاع فقط . ونحن المسلمين نحمد الله تعالى أننا نتعلم ديننا

من معادره الأصلية ومن علماء المسلمين، ونستغنى كل الاستغناء عن الشرك والكفر، ولا نحتاج إلى تعليماتهم وإلى الاعتذار عن هذه الدعاوى الباطلة وإلى تسويد الصفحات البيضاء في الرد على أكاذيبهم، والذين يدعون بأن الجهاد في الاسلام دفاعي فقط طائفتان :

١ - طائفة المستشرقين وأمثال هؤلاء لانحتاج في الرد عليهم كما قلنا .

٢ - بعض المؤمنين الذين أرادوا الاعتذار عن تهم الكافرين ، فقالوا أن الاسلام ليس دين سيف ولا قتال وانما هو دين السلام وانما القتال في الاسلام ضروري للدفاع عن النفس والوطن وبذلك زعموا أنهم يدافعون عن الاسلام - في رأيهم - والحقيقة أنهم أتوا بتحريف جديد يقضى على أهداف الجهاد في الاسلام كلياً ، (١) ولأن هذه الطائفة متحمسون لدينهم قالوا هذا عن حسن قصد ولكنهم أخطئوا في تصورهم للجهاد وذلك لعدم معرفتهم واطلاعهم على حقيقة معنى الجهاد وأهدافه وبواعثه وغاياته .

إن هذه الفئة أحتجوا في ذلك بالنصوص المرحلية من القرآن الكريم وهي المرحلة الثالثة من مراحل التشريع للجهاد والتي سبق ذكرها - واعتبروا أن هذه المرحلة هي الأصل في الجهاد وأهملوا نصوص المرحلة الأخيرة والنهائية وقد سبق أن ذكرنا أن العبرة بآخر المراحل التي وصلت إليها الحركة الجهادية لا بأولها ولا بأوسطها هذا من جهة .

ومن جهة أخرى أن هؤلاء يقيسون الجهاد الاسلامي على حروب الناس في الأهداف والغايات ، وهذا أمر خطير وقياس باطل شتان ما بين الجهاد الاسلامي والحروب الاحادية . والجهاد في الاسلام يختلف كل الاختلاف في أهدافه وغاياته وبواعثه وطريقته وآدابه السامية .

(١) ينظر لمعرفة هذه الاقوال : كامل سلامة الدقس ، آيات الجهاد في القرآن

الكريم ط ١ (الكويت : دار البيان ، ١٣٩٢ هـ) ص ١٠٥ .

- وعلى بن نفيح العلياني أهمية الجهاد في نشر الدعوة الاسلامية ، ط ١ ،

(الرياض : دار طبية ١٤٠٥ هـ) ص ٣٢٥ .

والحق أن إطلاق لفظ القتال الدفاعي أو الهجومي لا ينطبق تماماً على الجهاد الاسلامي . وإن هذه المصطلحات مصطلحات حديثة ظهرت فـسـى الغرب تحمل في طياتها نوعاً من الظلم والعداوة ، لأنها تعكس وجهة نظرهم للحرب بنظرة مادية محضة . يقول في ذلك وهبة الزحيلي فـسـى « أشار الحرب في الفقه الاسلامي (١٤٠٣ هـ) : « ولا يوصف الجهاد بأنه هجومي لأن الهجوم يعنى الظلم ، والجهاد عدل في الواقع ، ولا مجرد دفاع عن حدود الوطن والمصالح . لأن الاسلام لا يوصف بحدود وطن قومى » (ص ١٢٤) .

كما يقول محمد محمد ابراهيم زغروت في مجلة التوعية الاسلامية في الحج (العدد الرابع ١٤٠٨ هـ) : « ان لفظة الجهاد عربية اسلامية قد اختارها الوحي الالهى ، ولا تقوى آية لغة على ترجمتها ترجمة صحيحة ، ولا غربة في ذلك فإن العسكرية الاسلامية منذ العصر النبوى إلى نهاية الخلافة الاسلامية قد عرفت قيمة هذا اللفظ ومدى تأثيرها العقدى على قلوب وعقول رجالها المحاربين لذا كان هذا اللفظ " الجهاد " طـوـال العصور الاسلامية يطلق على كافة المؤسسات العسكرية وفروعها المختلفة في جميع البلاد الاسلامية آنذاك » (ص ٥٠) .

وخلاصة القول : أن الجهاد الاسلامي لفظة عربية اسلامية لها مدلولها الشرعى ومعناها الاسلامي يحمل في طياته الرحمة والعدل . و ان كان لابد من تقسيمه فإنه دفاعى وهجومى بالتصور الاسلامي ، لأن الجهاد كما سبق وأن قلنا - يختلف تماماً في أهدافه وبواعثه وغاياته وآدابه وأحكامه وكيانه كله عن حروب الناس .

إنه دفاعى يدفع عدوان الكافرين ويحمى المظلومين والمستضعفين من المؤمنين أينما كانوا دون النظر إلى الحدود الضيقة المحددة . و انه هجومى لا ظلم فيه ، ولا اعتداء فيه على العبيان والشيوخ والنساء ، ولا عدوانية فيه ، بل هي كلمة تقطر منها الرحمة والعدل .

٨ - أبدية الجهاد وأنه ماضٍ إلى يوم القيامة :

شرع الله تعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد . ولقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يوجد في الأرض الحق والباطل والإيمان والكفر ، فالإسلام يعرّ على تحرير الناس من عبادة كل ماسوى الله عز وجل إلى عبادة خالقهم ورازقهم ، ومقابل ذلك أن الكفر يعرّ على بقاء كفره ، قال الله تبارك وتعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطُّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَلَيْسَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة / ٢٥٧) .

ولقد أعلم الله سبحانه وتعالى عن نوايا الكفار وموقفهم من الإسلام وأهله وهو موقف الإعراض والعناد والكفر (... وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ يُلَاقُونَكُم مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَدِينُكُمْ وَلَا يَرْدُكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ﴾ البقرة / ٢١٧ .

ومادام هناك إيمان وكفر ، وموقف الكفار من الإسلام هو الإعراض والقتال فان وهذا يقتضي أبدية الجهاد إلى يوم الميعاد .

ثم إن طبيعة أهداف الجهاد تقتضى أبدية واستمراريتها ، كما سبق وأن قلنا أن الهدف الأساسى هو اعلاه كلمة الله تبارك وتعالى فى الارض . ولايجوز للمسلمين أن يقعدوا عن الجهاد إلا إذا تحققت أهداف الجهاد بكاملها وذلك إلى أن تقوم الساعة بإذن الله تعالى .

وكما أن عالمية الدين الإسلامى تقتضى أبدية بحيث أن الإسلام جاء للناس كافة ، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وأن الله تعالى لن يقبل دينا غير الإسلام وأن الدين عنده هو الإسلام الذى ارتضاه لعباده . وأكملة وأتمم عليهم نعمته .

إن أهل الشرك والكفر والضلال لا يسمحون للدعاة إلى الله تعالى بأن يبلغوا دين الله تعالى إلى الناس فى كل زمان ومكان ولا يتركسون -

الناس يسمعون إلى دعاة الاسلام . وأكبر مثال على هذا الصراع القائم الذى دار بين الرسل الكرام عليهم السلام وبين أقوامهم عامة وبين نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم وقومه بصفة خاصة ، فلا بد من موقف مناسب لإبلاغ الدعوة وأداء الأمانة وإيصال الرسالة ، وهو موقف القوة باعتبارها وسيلة لا الغاية ، لأن الغاية هى نشر الدين وتبليغه إلى الناس كما سبق ذكرها .

ولقد رد النبي صلى الله عليه وسلم على من ظن أن الجهاد قد توقف جاء فى حديث رواه النسائي عن سلمة بن نفيل الكندى رضى الله عنه أنه قال : كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : يارسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد ، وقد وضعت الحرب أوزارها - فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه وقال : " كذبوا ، الآن جاء القتال ولا تزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة وحتى يأتى وعد الله والخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة " (كتاب الخيل / ٣٥٦١) .

وهذا ابن الهمام ينقل لنا إجماع الأمة المحمدية على أبدية الجهاد ، وكيف لا يكون هناك إجماع بعد بيان الله تعالى فى كتابه صراحة وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله واضحة ؟ إذ قال ابن الهمام فى شرح فتح القدير (ولا شك إن إجماع الأمة أن الجهاد ماضى إلى يوم القيامة لم ينسخ فلا يتصور نسخه بعد النبي صلى الله عليه وسلم (ج ٥ ، ص ٤٣٨) .

ولقد استنبط الإمام البخارى رحمه الله تعالى من حديث عروة البارقي رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم " استنبط منه أبدية الجهاد إلى يوم القيامة ولذلك بوب له بقوله (باب الجهاد ماض مع

البرّ والفاجر) (كتاب الجهاد / ٢٦٩٧) . ولم يترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الايام الجهاد في سبيل الله تعالى جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاهدوا في حياته صلى الله عليه وسلم . واستمرت لفتوحات الاسلاميه في عهد الخلفاء الراشدين والخلافة الاموية والعباسية والسلاجقة الأتراك . والخلافة العثمانية حتى وصل الإسلام إلى القارة الهندية شرقا والاندلس غربا ، وإلى أواسط أوروبا شمالا . ولما ضعف المسلمون في إيمانهم وعملهم وقعدوا عن الجهاد في سبيل الله تعالى أصبحوا نهبا لأعداء الإسلام . وتمزقوا كل ممزق .

ولكن لاتزال طائفة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ظاهريين على الحق ، لا يخافون لومة لائم لا يضرهم من خذلهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولقد أشرقت الشمس بنورها الجديد على الأمة الاسلامية تبشيرا بخير وعدا . من الله تعالى ووعدا . من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن أوفي بعهده ووعدته من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني :

مفهوم التربية الجهادية وأهميتها

ويشتمل هذا الفصل على

- ١ - مفهوم التربية الجهادية .
- ٢ - أهمية التربية الجهادية للفرد والأمة .
- ٣ - نماذج ومور حية تطبيقية للتربية الجهادية من سير
المحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

١ - مفهوم التربية الجهادية :

إذا تتبعنا القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم ربى الصحابة الكرام فى بداية الدعوة على ترسيخ العقيدة الإسلامية وتشبيتها فى النفوس، وبعد الدعوة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة جاء بالدعوة إلى تزكية النفس وتنقيتها من شوائب الشرك والجاهلية، والانحرافات الضالة وذلك بالتزام الفضائل ومكارم الأخلاق والابتعاد عن الرذائل وسوء الأخلاق. وإذا تدبرنا القرآن المكي نجده مليئاً بالحث على مكارم الأخلاق، وبالنهي عن الرذائل والفواحش وسوء الأخلاق. وكان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة فى ذلك وكان غاية فى الخلق، يقول تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم / ٥) .

ثم فرض الله تعالى العبادات مثل: الصلاة والزكاة، والصوم، لتزكية النفس المؤمنة تزكية ربانية، فإن النفس البشرية إذا لم تتطهر من أدرانها وتتصل بخالقها لاتقوم بالتكاليف الشاقة الملقاة عليها، والعبادة تعطى الروح دفعا قويا إلى القيام بما تؤمر به، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن العبادة وسيلة التقرب إلى الله تعالى وهى الاتصال مع الله تعالى وكما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتدفع الفرد المسلم إلى الجادة المستقيمة وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ (العنكبوت / ٤٥) .

وبجانب العبادات لقد أمر الله تعالى بالذكر والتسبيح لإحياء القلوب، وبتلاوة القرآن الكريم تقوية لنفوسهم وتغذية لأرواحهم والتفكير فى عظمة الله تعالى ليتدبروا ويتفكروا فى الموجودات والكائنات .

واستمرت هذه التربية الإلهية طوال العهد المكي، ولم يتجاوزها القرآن الكريم إلى شيء من التفرعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد -

أن علم الله تعالى أن الإيمان قد استقر استقراراً متيناً ثابتاً ففى قلوب المؤمنين •

وكان الجهاد فى العهد المكى- كما سبق عند حديثنا عن مراحل تشريع الجهاد - جهاد الدعوة إلى الاسلام بتقريبه إلى العقول والافهام وتحبيبه إلى القلوب والصدور ، وترسيخه فى النفوس والضمائر وذلك عن طريق الحجة والبيان والحكمة والموعظة الحسنة ، مع الصبر على الأذى والصفح عن العدوان ، دون إشهار السيف •

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى تأجيل القتال إلى وقت مناسب ، وذلك فى العهد المدنى حين صار للمسلمين قوة وقيادة. ونظام •

كان النبى صلى الله عليه وسلم طوال هذه الفترة من بداية الدعوة الاسلامية يغرس الاعتزاز بالعقيدة الاسلامية فى نفوس من أسلم من الصحابة والشعور بعلوها على كل الأديان ، وإن الواحد منهم إذا أسلم ففي اليوم التالي ينطلق لدعوة الناس إلى الاسلام ، دون خوف أو ملل ولا يخاف ففى الله لومة لائم •

وكان الصحابة رضى الله عنهم يعتزون بعقيدتهم ودينهم وكانوا يتحملون كل مكروه فى سبيلها ويستعذبون الموت فى نشرها ، وكانوا يعتبرون أنفسهم جنود الحق ومجاهدين فى سبيل الله أينما كانوا، ففى كل الظروف والملابسات كانت حياتهم كلها جهاداً فى سبيل الله تعالى ، لأن تعاليم القرآن الكريم غيرت حياتهم كلها تغييراً كلياً ، تغييراً جذرياً ، والنبى صلى الله عليه وسلم قد هير حياة المسلم كلها جهاداً ، وهو صلى الله عليه وسلم كان راغداً فى ذلك ، فى أقواله ، وأفعاله وهو كان إمام المجاهدين فى سبيل الله تعالى •

يقول في ذلك ابن القيم في كتابه " زاد الميعاد " :

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذروة العليا منه " أى الجهاد " واستولى على أنواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده ، بالقلب ، والجان ، والدعوة والبيان والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد ، بقلبه ولسانه ، ويده . . . وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه ، وقال ﴿ ۞ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان / ٥٢) ، فإنه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد في الله حق جهاده ، وشرع الجهاد من حين بعث إلى أن توفاه الله تعالى " (ج ٣ ، ص ٥ - ١٢) .

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المهمة خير قيام وضرب لهم أروع الأمثال من معاني التضحية والفداء ، وكان صلى الله عليه وسلم يستعرض الجيوش وينظم الصفوف يقف وسط المعارك يقاتل إلى جانب أصحابه ، يشاطرهم الأذى ويشاركهم الآلام ، ويتمنى أن لا يغيب عن مشهده ولا تفوته وقعة .

وهذا النبي العابد الذي كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه والذي كان في كثير من الأحيان يواصل العيام ، هو المجاهد الذي لم يتراجع في غزوة قط ، إذ تراجع الأبطال وفر الصناديد ، ولم يتزعزع عن موقفه إذ لم يثبت الفرسان . ويروى مسلم عن البراء رضي الله عنه قوله : " كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به يعني النبي صلى الله عليه وسلم) (كتاب الجهاد والسير / ١٧٧٦) .

كل هذا كان له أعمق الأثر في نفوس صحابته رضي الله عنهم فنهجوا منهجه وتحملوا في سبيل عقيدتهم ودعوتهم الإسلام كل الأذى والمشقات فلم يهنوا ، ولم يحزنوا ولم يملوا ولم يلينوا .

ومن هذه المدرسة النبوية ظهرت مواقف الأبطال وكانت معارك الشهداء .

ومنها استمد الصحابة قوتهم ومبرهم ، ومنها انبعثت أسمى معانى
 الفداء ، والحق ، وأقوى بواعث التسابق فى التضحية فى سبيل الله تعالى .
 ان هذه المدرسة كانت مدرسة الجهاد ، وأن هذه الأمة تربت بالجهاد .
 ولدت بالجهاد ، عاشت بالجهاد ، وماتت بالجهاد ، عزت بالجهاد وقويت
 بالجهاد ، ولقد أسست الحضارات بالجهاد ، أن الجهاد هو قوة هذه الأمة
 وروحها وبه يتجدد كيانها .

والنبي صلى الله عليه وسلم يفارق هذه الحياة وهو فى آخر لحظة
 من عمره الشريف يأمر بتجهيز جيش أسامة للجهاد فى سبيل الله تعالى ،
 وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته كلها فى الجهاد ، فى ساحات
 القتال ، من غزوة إلى غزوة مع أصحابه الكرام ، وكانت جميع الغزوات
 التى اشترك فيها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة
 وكانت بعوثة وسراياه ثمانيا وثلاثين فيما يروى ابن اسحق فى السيرة
 (ج ٤ ، ص ٢٥٥) .

وإذا نظرنا إلى سيرة خلفاء الراشدين من بعده صلى الله عليه وسلم
 وسلم نشاهد نفس الموقف ونفس المنهج الذى نهجه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، واستمرت الفتوحات الاسلامية
 شرقا وغربا فى عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم حتى انتشر الإسلام
 فى بقعة كبيرة من العالم .

وبعد عرض هذا الموجز يمكن للباحث أن يعرف التربية الجهادية
 كمفهوم بأنها (تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بعقيدته ودينه والعمل
 به ، والدعوة اليه ، وبذل الجهد على نشره ، وأن يكون مسلحا دائما
 بالمعبر والثبات ، والعزيمة وروح الفداء والتضحية فى سبيل الله تعالى
 وأن يكون مستعدا للجهاد المستمر بكل ما أوتى من امكانات مادية أو معنوية
 مراعىا فى ذلك متطلبات العصر الذى يعيش فيه وملتزما بالأحكام الشرعية
 الجهادية وذلك لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى
 السفلى) .

ويمكن لنا أن نعرفها باختصار بأنها تربية المجاهدين في الوقت الحاضر وبعبارة أخرى إعادة روح الجهاد إلى نفوس المؤمنين أو إيقاظ الروح الجهادية لدى الأفراد المؤمنين .

ولقد قلت في التعريف : تربية الفرد المسلم ، ولم أقل تربية الأفراد أو الأمة ، لأننا إذا أحسنّا تربية الفرد ويؤدي بنا ذلك إلى حسن تربية الأفراد والأمة ، فالأمة هي عبارة عن مجموع أفراد المجتمع .

ثم إن الإسلام جهاد دائم مستمر في الأرض ، جهاد لتكون كلمة الله هي العليا ، جهاد يشترك فيه كل أفراد الأمة ، كل في دوره ووظيفته ، أن الطفل الذي ينشأ اليوم فهو رجل الغد وكذلك المرأة ، فينبغي إعدادهم وتأهيلهم للجهاد منذ اللحظات الأولى من حياتهم ، منذ نعومة أظفارهم ، لأنهم سيتحملون المسؤولية في مستقبل حياتهم .

والمسؤولية الكبرى التي يضع الإسلام الإنسان فيها هي إقامة شرع الله تعالى في الأرض وهذه لا تتحقق إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى .

يقول في ذلك محمد قطب في منهج التربية الإسلامية (١٤٠٤ هـ) :
 " إن هذه المسؤولية لا تنحصر في جانب واحد . . . لا تنحصر في القتال كما يبدو الأمر لأول وهلة ، إنما القتال هو جانب واحد من جوانبها المتعددة ، ولو كان الأمر أمر قتال فحسب فقد كان يكفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يربي جيشاً من المقاتلين الشجعان ولا زيادة . . وما أصغره من هدف لو انحصر فيه الأمر كله . . . إنما القتال أمر عارض يعرض في الطريق لا هو أول الطريق ولا آخر الطريق . إنما أول الطريق هو بناء النفس الإنسانية على المنهج الحق " (ج ٢ ، ص ٣٣٨) .

ثم لابد وأن يعرف الجميع إن هذا الدين لم يعمل إلينا عفوواً صفواً ، وإنما وصل إلينا بعد التضحيات بالأوطان ، بالأموال ، بالدماء بالأشلاء وبالمنهج التي بذلها الجيل الأول رضوان الله عليهم وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلذلك لابد من اعداد الأجيال على هذا المنهج ، حتى يدركوا تمام الإدراك طبيعة هذا الدين والتضحيات التى بذلت فى سبيله والجهود التى قدمت فى نشره ، والمعاناة التى لقي أصحابه فى دعوة الناس إليه .

ولذلك فلا بد من تربية الأجيال المسلمة منذ مولدهم على أن يكونوا أصحاب رسالة وأصحاب قضية ، تسعى دائماً وراءها بعزم وحزم دون ملل أو كلل، وان هذه التربية كما سبق وأن قلنا لاتحتمل فى فراغ ، وإنما تحصل باتتباع منهج التربية الإسلامية فى اعداد المجاهدين وباتتباع المنهج النبوية الشريفة .

وأعنى بالتربية الجهادية تلك التربية التى تجعل صاحبها مجاهداً فى سبيل الله تعالى ، تحرك مشاعره ، وعواطفه ، وجدانه ، تقوى عزائمه تنمى روحه وتغذيه ، تخلصه من الخوف والجبن واليأس والكسل تحليسه بالشجاعة والعبر والشبث وروح الفداء والتضحية ، وتجعله منكسراً لذاته فى سبيل الجماعة ، تنمى فيه شعور العزة والكرامة وخلق البذل والعطاء وحب الاستشهاد وتزرع فيه معانى الجندية المسلمة من الطاعة والنظام وتنمى روح الأخوة والتعاون والتساند والتواصى بالخير والتواصى بالحق .

ولست أقصد من ذلك تربية كل أفراد الأمة لكى يكونوا جنوداً أو ضباطاً فى الجيش ، إذ أن التربية الجهادية تختلف فى مفهومها عن التربية العسكرية وإن كانت التربية العسكرية تشكل جزءاً كبيراً من التربية الجهادية . ووجه الاختلاف بينهما أن التربية العسكرية تكون قاصرة على نطاق معين من أفراد المجتمع وهم العسكريون . أما التربية الجهادية فالمقصود منها تربية كل أفراد الأمة رجالاً ونساءً وشيوخاً بغض النظر عن المهن أو التخصصات التى ينتمون إليها .

إن التربية الجهادية ، تربية جيل متمسك بعقيدته ودينه يعنى مفهوم الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ويعمل بموجبه مهما كان مكانته ،

أو عمله ، ويسعى لنشر دينه ، ويتحمل الأذى فى سبيله .

لان نشر الدين الاسلامي ودعوة الناس ليس مقصورا على أحد من أفراد الأمة ، ولا توجد فى الاسلام الرّهْبَنَة ولا توجد هناك طبقة رجال الدين ، وطبقة رجال العلم .. الخ وإنما المسئولية مسئولية الأمة بكل أفرادها مسئولية جماعية لا فردية . فالواجب على كل فرد من أفراد الأمة أن يعمل ويجاهد بقدر طاقته واستطاعته على حسب امكانياته وموقفه فى المجتمع ولا يستغنى أحد مهما كان فى المجتمع الاسلامى عن الجهاد فى سبيل الله تعالى فى وقت من الأوقات وفى مكان من الأمكنة .

ويقول فى ذلك ابن القيم الجوزية فى « زاد المعاد » : " والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عَيْن إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع ، (ج ٣ ، ص ٧٣)

إن مفهوم ذلك ان هذه التربية ضرورية لكل مسلم فى المجتمع الاسلامى لان الجهاد فرض على المسلمين جميعا ، وتؤكد هذه الفرضية عند الحاجة إلى الجهاد فى سبيل الله تعالى ولاشك إن الجهاد لا يتم إلا بالتربية .

والتربية لا تتحقق معاصرة ولا عفوا وإنما تتحقق عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة وعن طريق وسائلها المتعددة ، والأساليب المتبعة فى ذلك ، ولاشك أن من بين هذه المؤسسات الأسرة ، والأسرة هى أول مدرسة تربوية للنشأ تستمر دورها طوال الحياة وبجانب الأسرة المسجد والمسجد عامل مهم فى التربية ، لأنه ملتقى المسلمين فى اليوم خمس مرات على الأقل ولقد أدى رسالته تربويا وتعليميا فى العصور الاسلامية المزدهرة وكان له الأثر الكبير لإعادة الروح الجهادية إلى قلوب المؤمنين .

وأما المدرسة وهى عامل أساسى ومؤسسة أصلية للتربية والتعليم ، وذلك من حيث المرحلة والتنظيم ومن حيث ماتقدمه من شتى أنواع العلم ،

والمعرفة من قبل أفراد أعدوا خصيصا للقيام بهذه العملية وأعدوا
خصيصا لتحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها المدارس .

وسوف يكون التركيز فى هذا البحث ان شاء الله تعالى علـو واجب الاسرة
والمدرسة بكل مراحلها فى التربية الجهادية .

وأما وسائل الاعلام فهي تقوم بواجب هام وموثر فى حياة الناس
اليوم ولذا فمن واجب المسلمين الاستفادة من هذه الوسائل الاعلامية
المختلفة .

ولاشك ان التربية والتعليم لاتتم من جهة واحدة وفى مؤسسة واحدة .
بل تتم فى جميع هذه المؤسسات وغيرها ، ولذلك لابد من تعاون وتنسيق
بين هذه المؤسسات حتى تتم التربية والتعليم بانتظام .

وسوف يدرس الباحث واجب تلك المؤسسات التربوية فى التربية
الجهادية فى الفصل الرابع من هذا البحث ان شاء الله تعالى .

٢ - أهمية التربية الجهادية للفرد والأمة :

ان التربية الجهادية ضرورية للفرد والجماعة ، للدنيا والآخرة
وان سعادة الدنيا والآخرة متوقفة عليها ، وأما بالنسبة للفرد :

(١) إنها من مقتضيات الايمان ، ومن علاماته على العدق والاخلاص ، وكذلك
هى وقاية للايمان من الضعف والضياع والموت ، وهى مقياس الايمان
اذا قال الفرد : لا اله الا الله محمد رسول الله "يلتزم بمقتضاها، ومن
مقتضاها تحقيق هذا اللفظ فى نفسه وفى نفوس الناس جميعا وهذا
يقتضى الدعوة إليه والجهاد فى سبيله . ومن يدخل الى دائرة الاسلام
بالاقرار بالشهادتين يلتزم بالدعوة إليها وهذه من مقتضياتها
ومستلزماتها .

٢ - ان الجهاد يزرع فى نفس الفرد الصبر والثقة والقوة والاعتزاز بالله تعالى وجميع القيم العليا . والجهاد يحتاج إلى الصبر والثقة بالنفس وبجميع أنواع القوة ، والفرد الذى ينشأ على تربية جهادية يتحلّى بأعلى مراتب الصبر والثبات فى كل المواطن . ويثق بنفسه ويعتمد عليه ، فلا يركن إلى الضعف والوهن والعجز ولا يشعر بالنقص لانه من أفراد خير أمة أخرجت للناس ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وبذلك يعتز ويفتخر . لان مصدر فخره واعتزازه هو سعيه لهداية الناس جميعا وتحريرهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد . وهذا عمل إنسانى نبيل ولا شك ان الفرد الذى يهتم به هداية الناس جميعا على وجه الأرض أكثر من أى هدف آخر يكون سعيدا فى منتهى السعادة والسرور والبهجة والغبطة .

٣ - ان الجهاد يجعل الفرد يستعلى على الدنيا ، وذلك بعدم مبالته بها وعدم اتخاذها هدفا أساسيا وأصيلا فى الحياة، إنما يتخذها مزرعة لآخرته ، وجسرا موصلا إليها ، وكذلك لا يستمسك بالحياة الدنيا كأنه مخلص فيها حتى يشغل بزينتها ويفتر بزخرفتها ، وإنما يتواضع فيها ، ويسعى لكسب آخرته بعمله وجهده ونيتته وإخلاصه .

وإذا نشأ الفرد على هذه المفاهيم السامية ، فإنه لا يخاف على ذهاب زينة الحياة الدنيا ونعيمها ، لأن الله تعالى أعد له - جزاء على جهاده وفدائه وتضحيتته فى سبيل الله - نعيما لا ينفذ وزينة باقية .

وأما بالنسبة للمجتمع والأمة فان الجهاد :

١ - يحقق تلاحم الأمة أمام أعدائها . لأن النصر على أعداء الله لا يتحقق إلا بتوحيد الصفوف وجمع الكلمة والتعاون والتساند بين أفراد الأمة ، ولا شك أن اغتراق الكلمة وتمزق الصفوف يؤدى إلى الهلاك والذل والدمار ، إن أكبر دليل على أن الجهاد فى سبيل الله تعالى يوحد صفوف المسلمين ويؤدى إلى تلاحم أفراد الأمة أمام أعدائها هو موقف -

الأنصار والمجاهدين ، إذ كانوا فى منتهى الفرقة والعينىءداوة
وبالجهاد فى سبيل الله تعالى لقد أصبحوا يداً واحداً أمام أعدائهم ،
والتاريخ الاسلامى خير شاهد على هذا ، متى تمسك الناس بفريضة
الله الجهاد فى سبيل الله تعالى جعل الله عز وجل الرحمة والمودة فى
قلوبهم وازال من بينهم كل اسباب التفرقة والبغض والعداوة .

ان من الوحدة يتولد البأس والقوة ومن الاختلاف والتفرقة يتولد
العجز والضعف والهوان .

ولا غرابة فى ذلك لأن المجاهدين لايهمهم الا الجهاد فى سبيل الله
تعالى ، لأنه القاسم المشترك بين المؤمنين جميعاً على اختلاف اجناسهم
والوانهم .

٢ - والجهاد يحفظ الأمة من الذل والمهانة ويجعلها ذات مهابة
أمام خصومها .

أن الأمة التى تريد أن يسجل لها البقاء على وجه الارض ، وأن تعيش
معززا مكرّما لابد لها أن تجاهد فى سبيل عقيدتها . والأمة التى
لاتقدر أن تدافع عن عقيدتها لايحق لها حق البقاء .

والجهاد يحفظ الأمة من الضعف والعجز والذل والمهانة تحت سيطرة
الأعداء واحتلال المحتلين والغاصبين والمستعمرين .

وبالجهاد فى سبيل الله تعالى جعل المؤمنين أعزاء بعد أن كانوا
أزلاما والتاريخ الاسلامى يخبرنا عن هذه الحقيقة وهى أن المسلمين متى
قاموا بالجهاد فى سبيل الله تعالى أصبحوا أعزاء أقوياء شرفاء وأذاقوا
أعداء الاسلام كل أنواع الذل والمهانة وبمقابل ذلك متى تركوا الجهاد
وأخذوا إلى الأرض جعل الله بأسهم بينهم ، وعاشوا ذليلين تحت حكم
الأعداء .

والأمة القوية فى إيمانها وقوتها تكون مرهوبة الجوانب ولا تيجراً -

أحد على النيل منها بحال من الاحوال ، لأن القوة تكون رادعة ، ولقد شاهد هذه الحقيقة بكل وضوح فى الوقت الحاضر أن الدول المغيـرة والضعيفة كلها تدور حول فلك الدول العظمى لتنال رضاها ! . وهذا غنى عن ضرب الامثلة لمن كان له أدنى بصيرة .

٣ - الجهاد يدفع الأمة للاعداد والقوة . لأن الجهاد هو الواجب الأول لهذه الأمة وهو يحتاج للاعداد فى الرجال والوسائل . وهذا يدفع المؤمنين إلى العمل الجاد المخلص لتحقيق الأعداد الكامل من كل الجوانب . ولا يمكن الحصول على النتائج المرغوبة الا اذا أخذنا بالأسباب واتخذنا التدابير اللازمة والضرورية . والجهاد مؤسسة بكامله ، وان تشغيل هذه المؤسسة يحتاج إلى علوم شتى ومهارات عديدة ، وتخصصات مختلفة ، لأن الإعداد العسكرى أصبح اليوم أمراً متشابكاً ، وذلك بتنوع الوحدات وتشعب التخصصات . وللقيام بهذه الأعمال يتطلب جهداً متواصلاً لا ينقطع ، وعزائىم لاتفتقر من قبل الأفراد والدول .

والأمة الاسلامية فى أشد الحاجة إلى القيام بهذه المهمات لتحقيق رسالتها على أكمل وجه . ولا بد وعليها تتفوق فى هذا المجال على الآخرين .

٤ - الجهاد أقوى وسيلة لتحرير الناس من الظلم والقهر والاستبداد . وتأديب الطواغيت الجبابة . ان سلطة الظالمين وسلاح الفاسقين والمجرمين لاتسمح للناس الخروج عن سيطرتهم وحكمهم ، لأن إطلاق الناس أحراراً يهدد سلطانهم ويذهب قوتهم ويضيع مصالحهم ، ولذلك يحاولون فى كل مرة على قضاء من يخرج عليهم بكل وسيلة ولايتحرون وجهة الحق والصواب فى ذلك أبداً .

والجهاد خير وسيلة لتحرير الشعوب المستضعفة والتي تعاني أنواعاً من الظلم والقهر تحت وطأة الطواغيت والمستبدين . لأن الإسلام يدعو الناس إلى اعتناق الاسلام وان رفضوا وأبوا الخيار الثانى وهو إعلان الخضوع لحكمه ، فان أبوا أيضاً فحينئذ يقاتلون لا لإكراههم على الاسلام ولكن

ليعيشوا في ظل الاسلام وحكمه حالة كونهم أحرارا في معتقداتهم وممارسة شعائر دينهم وهل فوق ذلك عدل ورحمة ؟

إن تربية الأمة تربية جهادية تحقق هذه الأعمال الخيرية والانسانية كلها في أحسن شكل وأتم صورة ، تعود فائدتها على نفسها وعلى جميع الناس على وجه الأرض . تبقى هذه الأمة المحمدية مرهوبة الجوانب أمام خصومها ومن يتربص بها الدوائر ، وينشر دين الله عز وجل في كل بقام الأرض وتفرض التعليمات والنظم والقوانين على من تريد وكيف ماتريد ، دون الرجوع إلى حصول الاذن من الهيئات الأمم الكافرة ، ولاتقدم الشكاوى والأعذار على أعداء الله ، ولاتستنكر العدوان على الاسلام والمسلمين بشدة . ! ففى وسائلها الإعلامية ، وإنما تقدر مصيرها بنفسها .

ثم إن التربية الجهادية تؤمن لأفراد الأمة الاستقلالية والحرية في مجال الاقتصاد والسياسة ، أى توفر للأمة الاستقلال الاقتصادي والسياسي بحيث أن الجهاد يوفر موارد مالية كثيرة في خزانة الدولة ، من الغنائم والفىء ، والخراج وغيرها ... ولقد أدركنا هذه الحقيقة تمام الإدراك في عصر النبوة وعصر خلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين وفى دولة الأموية فى الأندلس ، إذ ملئت خزانة المسلمين بالأموال الطائلة التى ساعدت على تحسين ظروف المسلمين اقتصاديا وكذلك الوضع المالى للدولة الاسلامية الذى نأى بقوته على الضغوط الاقتصادية . وأما الاستقلال السياسى فليس أقل أهمية من الاستقلال الاقتصادي في حياة الدول والأمم والشعوب . إن الدولة القوية سياسيا واقتصاديا يكون لها وزن وثقل فى المجتمع الدولي ، وإن أمثال ذلك مشاهد فى الأعيان فى هذا العصر لا ينكرها أحد .

ولقد تغيرت الأحوال فى هذا العصر إذ أصبحت الحرب حربا باردة في مجال السياسة والاقتصاد والتعليم والثقافة . واليوم تحارب العقائد والأفكار والأقلام والنظم قبل أن تحارب الأسلحة .

فكم من بلد إسلامي اليوم تحرر عسكريا ولم يتحرر فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . إن التربية الجهادية ضرورية لتحرير البلاد الإسلامية تحريرا حقيقيا، وتحرير أفكار الناس وعقولهم من الاستغراب والتغريب واطلاقهم أحرارا بالمعنى الحقيقي .

ثم إن هذه الأمة مسئولة عند الله تعالى عن تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة لأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، ولم تكسب هذه الصفة إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء كان داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه . قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ . آل عمران . والجهاد أعلى فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سبق بيانه - ولا يتم هذا الأمر إلا بالجهاد في سبيل الله تعالى .

يقول ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» : " فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به " (ج ٢٨ ، ص ١٢٦) .

وان الأمة متى تركت هذه المهمة العظمى أو أهملت فيها فحينئذ لاتوصف بالخيرية، وتفقد ميزتها الأساسية وهويتها الأصلية وهي السيادة والقيادة والخيرية على وجه الأرض . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن ترك هذه التربية ومن ثم ترك فريضة الجهاد يترتب عليه العقوبات والعذاب دنيويا وأخرويا ، أما في الدنيا بظهور الاختلافات والانقسامات والفتن والحروب الداخلية والصراعات الحزبية وذلك داخل المجتمع الإسلامي بحيث تتفرق الأمة ، لا يبقى لها حول ولا قوة ، باستيلاء الكفار بلاد المسلمين عسكريا ، اقتصاديا ، ثقافيا ، سياسيا ، لاتبقى لها وزن في المجتمع الدولي ، تكون مهددة للضياع .

والله أشارت الآية الكريمة ﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التوبة ٣٩) .

ويقول أيضا ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» عند تفسير هذه الآية الكريمة : " فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بان يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو في الواقع فان الناس إذا اشتغلوا في سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض " (ج ٥ ، ص ٤٤) •

حقا أن الجهاد يوحد الصفوف ويوحد الكلمة ويجمع الشمل يجمعهم تحت راية واحدة. وهدف واحد فلا جهاد مع الفرقة والتنازع والاختلاف، والذي يستعرض تاريخ المسلمين أن الأمة الإسلامية متى رفعت راية الجهاد في سبيل الله توحدت صفوفها واتحدت قلوبها ، ومتى قعدت عن الجهاد جعل الله بأسهم بينهم بالاشتغال مع الفرعيات والجزئيات التي لاتسمن ولا تغنى من جوع •

خلاصة القول أن للتربية الجهادية أهمية بالنسبة للفرد حفاظا على عقيدته وإيمانه ، وحفاظا على بقاءه وحياته في عزة وكرامة وضمانا لكسب الآخرة •

والتربية الجهادية مهمة وضرورية لتكوين الأمة واستمراريتها ولوحدتها وتماسكها وجمع كلمتها وتبليغ الدعوة الإسلامية إلى جميع الناس •

٣ - نماذج وصور حية تطبيقية للتربية الجهادية من سيرة الصحابة
الكرام (رضى الله عنهم أجمعين) •

سعد بن الربيع رضى الله عنه

الشهيد الايثارى

وهذا الصحابى الجليل سعد بن الربيع رضى الله عنه من نقباء
بيعة العقبة الثانية الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة الحرب ، وهو من شهداء أحد^و الابرار يقدم لنا مثالا رائعا فى
الأخوة الايمانية والايتار والتضحية بالمال والنفس فى سبيل الله تعالى .

يروى البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : قدم علينا
عبد الرحمن بن عوف وأخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد
بن الربيع الانصارى ، وعند الانصارى امرأتان ، فعرض عليه أن ينامفهما
أهله وماله ، فقال : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلونى على السوق
فأتى السوق ، فربح شيئا من أقط وشيئا من سمن فرآه النبى صلى الله
بعد أيام وعليه وَضْرٌ من صُفْرَةٍ ، فقال : (مَهَيْمُ ياعبد الرحمن) فقال :
تزوجت أنصارية ، قال : (فما سقت إليها) قال : وزن نواة من ذهب
قال : (أَوْلِمَّ ولو بشاة) . (كتاب النكاح ، رقم ٤٧٨٥) .

أرأيت مثالا أروع فى التضحية فى سبيل الله تعالى من هذا المثال ؟
إن هذا الصحابى الجليل يقدم نصف ماله لأخيه فى الله ويتنازل عن إحدى
زوجتيه لأخيه إيثارا منه له فى سبيل الله تعالى .

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يرفض ذلك ويقول : " بارك الله
لك فى أهلك ومالك دلونى على سوق المدينة " . فقد كان تاجرا من أغنى
تجار قريش ، ولكن قريشا عدت على ماله حين هاجر إلى الله تعالى وإلى
رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولم يشهد التاريخ مثالا واقعا فى الإيتار والتضحية والفداء بمثل
هذا المثال . وهذا مثاله فى تضحية بالمال ، وأما مثاله فى تضحية
النفوس بمحبة الرسول ،

يروى الامام مالك فى الموطأ وابن اسحق فى السيرة وعبد الله بن المبارك فى كتاب الجهاد : لما فرغ الناس يوم أحد لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع ؟ فى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ " فقال رجل من الانصار : أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق قال : قلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما يجزى نبيا عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : إن سعد بن الربيع يقول لكم : أنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . السيرة : (ج ٢ ، ص ٥٧) ، (الموطأ : كتاب الجهاد ، رقم : ٤١ ، كتاب الجهاد ، ص ١٠٥) .

إن هذا الصحابى الجليل وهو فى آخر لحظة من عمره وهو جريح فى ساحة القتال يوصى بأمرين : الأمر الأول المتعلق بحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والثانى المتعلق بوصية قومه لنصرة دينه بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لاشك إن هذا الموقف من آثار التربية الجهادية للمؤمنين الذين تربوا فى مدرسة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتربية استقرت فى النفوس والقلوب .

ويروى ابن هشام أن رجلاً دخل على أبى بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشها ويقبلها ، فقال الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منى سعد بن الربيع ، وكان أحد النقباء

يوم العقبة ، وشهد بدرا ، واستشهد يوم أحد " (ج ٢ ، ص ٥٨) •

إن هذا الصحابي الكريم لم يجمع هذه الفضائل في نفسه إلا نتيجة جهاده في سبيل الله تعالى ، وأنه أعد إعدادا حتى وصل إلى هذه المرحلة التي سبق ذكرها في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه •

ولاشك أن الإيمان إذا استقر في القلوب يفعل المستحيل ويفعل الغرائب والأعاجيب كما فعل بسعد بن الربيع رضي الله عنه ، كان من نتائج المدرسة الجهادية ومن ثمراتها الطيبة ، لقد مضى ... مضى الشهيد الإيثاري إلى الآخرة أثرا الرسول في الحياة والمعات بعد أن أدى خدمات جليلة في درب الجهاد •

ويمكن لنا أن نستنتج من قصة هذا الصحابي الجليل :

- ١ - أن الأخوة الدينية والإيمانية أقوى من أية أخوة أخرى •
 - ٢ - فضل الإيثار بالنفس والمال وكذلك التضحية والفداء في سبيل الله تعالى •
 - ٣ - محبة الرسول صلى الله عليه وسلم عند أصحابه رضي الله عنهم أجمعين •
- وإن غرس هذه المفاهيم العالية من صميم التربية الجهادية فليس الإسلام فلا بد من غرسها في نفوس الناشئة حتى ينشئوا على هذه المعاني النبيلة الخيرة •

منافسة شباب الصحابة فى الجهاد .

يروى ابن هشام فى السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز يوم أحد سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة . وهما ابنا خمس عشرة سنة وكان قد ردهما . فقبل له : يا رسول الله . إن رافعا رام ، فأجازه فلما أجاز رافعا قيل له : يا رسول الله . فان سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . (ج ٣ ، ص ٢٩) . وقد جاء فى بعض الروايات أن الذى توسط لرافع هو أبوه أبو رافع ، ودعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمصارعة بين يديه فصرع سمرة رافعا فأجازه .

إن هذا الموقف موقف رائع من الشباب الذين نشأوا على التربية الجهادية فى المدرسة النبوية الشريفة وفى الأسرة المسلمة ، إذ بلغوا من الشجاعة ، والفداء والتضحية مبلغ الرجال وهم أبناء خمس عشرة سنة .

وكان حب الجهاد يسيل فى دماءهم وعروقهم ، تقدموا بأنفسهم متطوعين للاشتراك فى درب الجهاد ، فلما ردهم النبى صلى الله عليه وسلم حزنوا ، بكوا ، وهناك شاهد موقفا فدائيا مثاليا من الأب ، أبى رافع ، إذ يتوسط لابنه مبيّنا مميزات وخصائصه وملاحيته للحرب (لأنه كان راميا)

وحينئذ يأتى دور المنافسة بين هذين الشابين ، إذ يحتج سمرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أجاز رافعا رغم أنه يصرعه ، فهناك وقعت المصارعة بالفعل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . فكان الغالب هو سمرة ، فأجازه النبى صلى الله عليه وسلم تطبيقا لنتيجة المصارعة .

وسر بذلك سمرة رضى الله عنه وأرضاه .

ولاشك أن وصول هذين الشابين من أبناء الصحابة الكرام إلى هذه المكانة العالية من القوة البدنية والجسمية والقوة الروحية الإيمانية التى دفعتهم متطوعين إلى الجهاد والقتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار وأحبابه الأخيار يدل على تربيتهم تربية -

بطولة عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه يوم بدر

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه ،
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر قبل الالتحام : (قوموا إلى
جنة عرضها السموات والأرض) قال عمير بن الحمام الأنصاري يارسول الله ،
جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : (نعم) قال بَخْ بَخْ ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (مباحمك على قوم بخ بخ) قال : لا . والله
يارسول الله . إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : (فإنك من أهلها)
فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى
أكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، قال : فرمى بها كان معه من التمر
ثم قاتلهم حتى قتل . (كتاب الامارة ، رقم ١٩٠١) .

يتبين لنا من قصة هذا الحديث ، أن الايمان بما بعد الموت كما
جاء في العقيدة الإسلامية يشحن قلوب المؤمنين بشجاعة نادرة ، وبطولة
عجيبة تدفع المؤمن إلى ساحة الموت بانطلاق عجيب ينقطع فيه عن الدنيا
ومافيهها من السملذات والمتاع تعلقا بالنعيم الخالد الذي لا ينفد .

ولما حث النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين على القتال توقدت
في قلبه نيران الشوق إلى جنة عرضها السموات والأرض وإلى لقاء ربه ،
فلم يعبر مدة . يسيرة يأكل فيها تمرات معدودات في يده . مع ما يشعر به
من جوع ، بل ألقى بها واندفع بشجاعة نادرة يبتغى الشهادة في سبيل
الله تعالى وما زال يقاتل قتال المستميت حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه

ومن هذا نستدل على أن من أساليب تربية قلوب المؤمنين على
خلق الشجاعة أسلوب غرس اليقين بما أعده الله تعالى لهم من غرامسة
ونعيم مقيم في الآخرة للذين يقاتلون في سبيل الله تعالى فيقتلون
ويقتلون ، وذلك لما في هذا الأسلوب من تحويل مطامع النفس إلى ما هو
أجل وأعظم من الدنيا ومافيهها من نعيم فإن وهذا التحويل النفس -

عن طريق الإيمان بما هو أعظم من كل ما تتعلق به الأنفس من الدنيا ، ينبغي أن يكون في المرتبة الأولى من الإصلاح التربوي سواء أكان ذلك في ميدان الأخلاق أو في الميادين التربوية الأخرى .

ولذلك عمل الاسلام على غرس الإيمان أولا في النفوس ، ثم انتقل إلى بيان التعاليم الاسلامية الأخرى والتربية عليها ومنها الفضائل الأخلاقية .

ونستخلص من هذا الهدى النبوي الشريف :

أولا : وجوب غرس الإيمان في النفوس .

ثانيا : تخليص النفس من مطامعها وبما في ذلك حب الدنيا .

ثالثا : التشويق إلى الجهاد والدار الآخرة بأساليب محبة إلى النفوس .

رابعا : التزام الصدق فيما يعرض من وسائل التشويق ، مع الالتزام بالاعتدال وعدم المبالغة .

الفصل الثالث :
الجهاد فى سورة الانفـال

يشتمل هذا الفصل على مبحثين :

المبحث الأول : الجهاد فى سورة الأنفال .

- ١ - مكانة السورة وأغراضها فى القرآن الكريم .
 - ٢ - أسباب النزول .
 - ٣ - أنواع الجهاد المتضمنة فى سورة الأنفال .
 - ٤ - أهداف الجهاد فى السورة الكريمة .
 - ٥ - أساليب القتال فى السورة .
 - ٦ - نعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر .
 - ٧ - العلاقة بين القائد والجند كما وردت فى السورة الكريمة .
 - ٨ - آداب الجهاد فى الاسلام من خلال سورة الأنفال .
 - ٩ - الإعداد للجهاد كما جاء فى السورة الكريمة .
 - ١٠ - مفهوم الجنوح للمسلم كما جاء فى السورة الكريمة .
 - ١١ - مفهوم الهجرة كما جاء فى السورة الكريمة .
- المبحث الثانى : منهج تربية المجاهدين فى سورة الأنفال .
-

١ - مكانة السورة وأغراضها فى القرآن الكريم :

سورة الأنفال هى إحدى السور المدنية التى اهتمت بجانب بيان الأحكام التشريعية وبخاصة فيما يتعلق بالجهاد فى سبيل الله تعالى ، لقد تضمنت كثيرا من الأحكام الحربية والسلمية وأحكام الأسر والغنائم وبيّنت ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من الشجاعة والبطولة ، والفداء والتضحية والوقوف فى وجه الباطل والشرك بكل جرأة وشجاعة وممود .

إن هذه السورة الكريمة نزلت فى أعقاب غزوة بدر الكبرى وسمّاها ابن عباس رضى الله عنهما فيما يروى مسلم بسورة بدر . كتاب التفسير : رقم ٣٠٣١ ، لأنها تناولت أحداث هذه الغزوة المجيدة . بالتفصيل ، كما سميت بسورة الجهاد لتضمنها كثيرا من أحكام الجهاد والغزو والقتال .

المحور الاساسى الذى يدور عليه آيات السورة الكريمة هو موضوع الجهاد والثبات عند البأس وعدم الفرار يوم الزحف . إن هذه السورة الكريمة تحدث المؤمنين وتذكرهم عن نعم الله تبارك وتعالى التى أنعمها عليهم يوم بدر من إمداد العلائكة وتغشيتهم النعاس وإنزال المطر وتثبيت الأقدام وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء وغير ذلك من النعم التى لاتأتى إلا عن صدق وإخلاص والتوكل على الله تبارك وتعالى حق توكل .

وكما تحدث المقاتل المسلم عن عوامل النصر فى الجهاد كإخلاص النية وكثرة الذكر والتزام أحكام الشرع فى القتال وغيره وطاعة القائد واتحاد القلوب والصفوف فى المعركة .

إن هذه السورة قد بينت موقف المشركين والمنافقين من هذا الدين من حقد وحسد وكره للإسلام والمسلمين وكشفت أيضا عن نواياهم السيئة من خيانة وغدر ونقض العهود والمواثيق .

وتحدثت السورة الكريمة فى النهاية عن مفهوم الهجرة فى سبيل الله

تعالى فضلها وشمرتها ، كما تحدثت عن الولاء الحقيقي بين المؤمنين وبينت أن المؤمنين أمة واحدة، مهما اختلفت أجناسهم أو أوطانهم وان هذا الولاء قائم على أساس الدين والايمان لا على المصالح الفردية أو الأغراض الدنيوية .

كانت سورة الأنفال نشيد القتال للمسلمين في قتالهم يقروءونها أو يقرأ واحد منهم والآخرين يستمعون إلى قراءته ، وذلك قبل بدء القتال تحريضا على لقاء العدو ونبيلا على إحدى الحسينين : إما النصر وإما الشهادة. ويروى الامام الطبري في تاريخ الأمم والملوك أن الذي كان يقرأ هذه السورة الكريمة قبل معركة اليرموك هو المقداد بن عمرو ، ج ٢ ، ص ٣٤ . أن الذي يقرأ هذه السورة الكريمة أو يستمع الى قراءتها يزداد شوقا إلى لقاء العدو وذلك لما تضمنته من أحكام وعبر وعظات ومعان سامية والحث على الجهاد في سبيل الله تعالى .

إن هذه السورة الكريمة تبعث في نفس المقاتل المسلم الشجاعة والجرأة والصبر والثبات أمام العدو وكما تبعث في نفسه إدراك الغرض الأساسي والهدف الرئيسي للقتال وهو اعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ثم إن هذه السورة تحذر المؤمنين من الفرار من المعركة وتحثهم على الخوض فيها مستعذبا الموت وطالبا رضى الله عز وجل .

كما سبق وأن قلنا أن هذه السورة الكريمة نزلت في أعقاب غزوة بدر الكبرى وتناولت أحداث هذه المعركة بالتفصيل والإسهاب .

لقد كانت غزوة بدر الكبرى أول غزوة حدثت بين المؤمنين والمشركين وكانت صراعا حاسما بين عقيدتين : عقيدة التوحيد وعقيدة الشرك، فشق الله تعالى بها بين الحق والباطل ثم في هذه المعركة النصر للمؤمنين على قلة عددهم وعددهم، ورغم عدم الاستعداد للحرب . لقد تجلست فيها العناية الإلهية بالمؤمنين الأوفياء، فنصرهم الله تعالى على

على الأعداء . وجعل هذه المعركة فاصلة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

ومن المعلوم أن غزوة بدر كانت في شهر رمضان في السنة الثانية للهجرة لقد كانت فتحا مبينا ، أعز الله بها الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ، حقق الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وعده ، ونصر جنده . • يوم بدر هو يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان : جمع المجتمع المسلم وجمع الفجور والكفر فلقد جمع الله سبحانه وتعالى المؤمنين مع أعدائهم على غير ميعاد لحكمة يعلمها ثم كان الفتح المبين للمؤمنين مع عدم التهيؤ والاستعداد للقتال ، كما كان أساسا لجميع الفتوحات الإسلامية ونشر الدعوة الإسلامية في أرجاء الأرض .

٢ - أسباب النزول :

وقد جاءت روايات عديدة في سبب نزول قوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ ، قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۝ ﴾ (ولأمانع من أن تتعدد أسباب النزول والنازل واحد ، والله تعالى أعلم . نختار منها ثلاث روايات وهي كالتالي :

(١) روى الوليد في أسباب النزول (١٩٨٣ م) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان يوم بدر ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من فعل كذا وكذا فله كذا وكذا ، فذهب شباب الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنيمة جاء الشباب يطلبون نفلهم ، فقال الشيوخ لا تستأثرون علينا فإننا كنا تحت الرايات ولما انهزمتم كنا لكم ردما فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ ۖ ﴾ . فقسمها بينهما بالسواء • ص ١٦٠ .

(٢) روى ابن كثير عن سعد بن أبي وقاص عنه قال : لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة . فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم قال :

: أذهب فاطرحه فى القبض ، قال : فرجعت وبنى مالا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى ، فما جاوزت إلا قريبا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أذهب فخذ سيفك (ج ٣ ص ٣٩٥)

٣- روى الواحدى أيضا فى أسباب النزول (١٩٨٣ م) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال : (فىنا أصحاب بدر نزلت (يعنى الأنفال) حين اختلفنا فى النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فانتزع الله من أيدينا وجعله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بوائى (ص ١٦٠) .

وقد تشير هذه الروايات أن هناك مشكلة حدثت عقب غزوة بدر ، وهى اختلاف الصحابة فى الغنائم ، ولقد عالجت هذه الآية الكريمة هذه المشكلة علجا حكيما بأن جعلت هذه الغنائم لله ورسوله والحكم فيها كذلك لهما .

٣ - أنواع الجهاد المتضمنة في سورة الأنفال

- ١ - جهاد النفس في السورة الكريمة .
- ٢ - جهاد الشيطان في سورة الكريمة .
- ٣ - جهاد المنافقين في السورة الكريمة .

١ - جهاد النفس فى السورة الكريمة :

كما سبق وأن قلنا أن المسلم قبل أن ينطلق للجهاد فى المعركة يكون قد خاض معركة الجهاد فى نفسه ، مع هواه وشهوته. إن تضييع النفس والعمال والوقوف صامداً أمام الأعداء تتطلب إيماناً راسخاً فى القلوب ويقيناً صادقاً فى العصور .

كيف يجاهد المسلم فى المعركة وهو لم يجاهد نفسه ولم يتركها ولم يظهريها من الذنوب والآثام ومن كل مانع يمنع نفسه من الانطلاق إلى ساحة القتال ؟ وقد عنى القرآن الكريم عناية بالغة بتربية النفوس وتنمية نوازع الخير ، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل وتوجيهها إلى الله تعالى بصدق وإخلاص. إن النصر فى غزوة بدر ثمرة التربية الإلهية وثمره تربية نبوية استمرت خمسة عشر عاماً فى المدرسة النبوية الشريفة. تربية النفس على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

والمجاهد فى سبيل الله تعالى مطالب بتزكية نفسه فى كل وقت . تتأكد هذه فى اللقاء مع الأعداء أكثر من غيره من الأوقات . ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى فى بداية السورة الكريمة بتقوى الله عز وجل وطاعته رسوله صلى الله عليه وسلم والإصلاح ذات البين لما ظهر بين المسلمين بعد غزوة بدر من اختلاف فى تقسيم الغنائم كما سبق فى ذكر سبب النزول . ولقد أرشدهم الله تعالى على إدراك حقيقة هدف جهادهم وطاعة ربهم ونبئهم وأنهم لا يقاتلون لأجل الدنيا ونعيمها وإنما يقاتلون لإعلاء كلمة الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

(الأنفال / ١)

واصلاح ذات البين من مقتضيات الإيمان والأخوة الايمانية وأن
الاختلاف والتنازع بين المسلمين خاصة أثناء القتال يفضي إلى اختلاف
الكلمة والفشل .

ثم تتابعت الآيات الكريمة تذكرهم بصفات المؤمنين المخلصين
الذين يجاهدون في سبيل الله تعالى ويستحقون الكرامة وعلو المنزلة
عند ربهم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ
وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أَلَيْسَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٢ - ٤) .

هذه صفات المؤمنين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى ، انهم اذا
ذكرو الله تعالى خشعت وخافت قلوبهم ، واقشعرت جلودهم واذا قارأت
عليهم آيات الرحمن أو عرضت عليهم آيات قدرته وإبداعه في خلقه وصنعه
يزدادون إيماناً على إيمانهم وتعديداً على تعديقتهم ويقينا على يقينهم
ويتوكلون على ربهم في أمورهم كلها ، ويفوضون كلها إلى الله تعالى
وحده . لا شريك له ، ويقومون صلاتهم على أكمل وجه وينفقون أموالهم في مرضاة
الله تعالى ، ومن اتصف بهذه الصفات الحميدة . والمزايا الجميلة فإنه
من المؤمنين حقا وله درجات عند ربه ومغفرة ورزق كريم .

إن الاكثار من ذكر الله تعالى من عوامل النصر ، له أثر على
معنويات المقاتل يبعث فيه القوة والشجاعة والجرأة والإقدام ، ولذلك
أمر الله تعالى بذكر الله عز وجل عند اللقاء بعد الثبوت : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاشْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
(الأنفال / ٤٥)

ولاشك إن العلة من أفضل الذكر ، ولها أثر كبير في تهذيب النفوس ،
وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذلك أمر الله تعالى على

أدائها ومحافظةها في كل الأوقات حتى وقت الحرب حين اللقاء لتقوية الروح المعنوية بالالتجاء إلى الخالق الباري .

وكذلك الإنفاق في سبيل الله تعالى له أثر كبير في تزكية النفوس وتطهيرها من البخل وخشية الفقر ، فيه تعويد النفس على البذل والتضحية بالمال في سبيل الله تعالى وتحرير لها من حب الدنيا ونعيمها الفانية .

إن الثبات في المعركة يحتاج إلى الصبر ، والصبر من أعظم أسلحة النصر ، يظهر النفوس من اليأس والهلع عند المواقف المعيبة وعند المعيبة فالواجب على المسلم أن يزكي نفسه ويظهرها بأسلحة النصر قبل أن يخرج إلى ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى اقتداءً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - جهاد الشيطان في السورة الكريمة :

إن شياطين الإنس والجن يتآمرون على مد الناس عن دين الله تعالى في كل زمان ومكان . لأن غرض كل واحد منهم هو القضاء على الإسلام والمسلمين ، وحين يعجز الكفار عن مد الانبياء وأتباعهم عن تبليغ الدعوة يلجئون إلى كل وسيلة ممكنة حتى القضاء على حياة الأنبياء وأتباعهم ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ (الأنعام / ١١٢) .

وكذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نستعiez بالله تعالى من شياطين الإنس والجن معاً ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مُلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ (سورة الناس)

لقد تناولت هذه السورة الكريمة إلى جانب تفاهيل أحداث معركة بدر الكبرى أخباراً أخرى وأحداثاً شتى حدثت لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك قبل هجرته إلى المدينة المنورة للدلالة على أن دأب الكفار

والمشركين هو العد والإعراض والفساد وحتى القضاء على الدعوة الجديدة.
ورجالها ، مهما كانوا وأينما كانوا .

لقد خشى كفار قريش أن تنتشر دعوة الاسلام فى أرجاء الجزيرة العربية
فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون ويناقشون فى أمر النبى صلى الله
عليه وسلم وانتشار دعوته ماذا يفعلون ؟ وما هو الحل ؟
وقرروا فى نهاية الاجتماع أن يمكروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ،
يريدون ليطفئوا نور الله تعالى ، والله يتم نوره ولو كره الماكرون
فجعلوا يخططون ويرسمون برئاسة اللعين الأكبر إبليس الذى تعور لهم
فى صورة شيخ نجدى وحضر فى هذا الاجتماع الذى حضره مناديد الكفار
والفساد . والقرآن الكريم يقص علينا تأمر قريش على صاحب الرسالة
وموعدى الأمانة وناصح الأمة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .
﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال / ٣٠).

ولقد جاءت قصة هذا التآمر فى كتب التفسير والسيرة مفصلة
ونذكر هنا رواية ابن اسحق مختصرا :

روى عن ابن هشام عن ابن اسحق قوله :

" ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
كانت له شيعه وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا
خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا أنهم قد
نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وعرفوا أنهم
قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار الندوة
فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ نجدى للنصح والبرأى
فتشاوروا واقترحوا الحبس والنفى والقتل وكان
الذى تقدم باقتراح القتل هو اللعين أبو جهل

حيث قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا .
 ثم نعطي كل واحد منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه
 فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فإنهم إذا فعلوا
 ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، وأقر اللعينين
 إبليس هذا الاقتراح فتفرق القوم على ذلك وهم
 مجمعون له . (ج ٢ ص ١٢٢) .

فلما اجتمعوا على بابه يرمدونه خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده . فجعل يذري ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلوا هذه الآيات الكريمة ﴿ يس ، والقرآن الكريم إلى قوله تعالى .. فأغشينهم فهم لا يبصرون ﴾ (يس ١ - ٩) . ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً ثم إنصرف إلى حيث أراد أن يذهب . لم ينجح اللعين في تخطيطه ولم يصل إلى مراده . في قتل النبي صلى الله عليه وسلم بل فشل هو وأعوانه ، ولكنه اللعين لم يضيع أمله ولم يقعد بل تابع عداوته وحقده .

« »
 روى الإمام الخازن في اللباب (١٩٥٥ م) قصة أخرى في ذلك حدثت للمشركين وهي ، أن قريشاً لما اجتمعت على المسير إلى بدر ذكرت الذي بينها وبين بنى بكر بن الحرث من الحروب فحينئذ تمثل اللعين إبليس بصورة رجل من مدلج سراقه بن مالك المدلجي وكان من أشراف بنى كنانة .
 (ج ٣ ، ص ٤٠)

ويقول في ذلك ابن كثير في التفسير :

" جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رأيته في صورة سراقه بن مالك المدلجي ، فقال الشيطان للمشركين : لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها وجوه المشركين ، فولسوا مدبرين . وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس

فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع يده . ثم ولى مديرا وشيعته ، فقال الرجل : ياسراقه . أنتزعم أنك لنا جار ؟ قال : إني أرى مالاترون إني أخاف الله ، والله شديد العقاب " وذلك حين رأى الملائكة " (ج ٢ ص ٣٣) .

والقرآن الكريم يقض لنا هذا التحالف الفاشل بين إبليس والمشركون حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الأنفال / ٤٨)

وتلك عادة. عدو الله تعالى إبليس لمن أطاعه وسلك مسلكه ، حتى إذا أوصله الى الهلاك خذله وتركه وتبرأ منه .

روى الامام البيضاوي في تفسيره (١٤٠٠ هـ) :

" إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر ، فغلبوا المؤمنين عليه . فأصاب المؤمنين الظم ، لأنهم نزلوا في كتيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء ؟ وأنتم تعلمون محدثين ، مجنبيين وتزعمون أنكهم أولياء الله وفيكم رسوله ؟ فأنزل الله المطر حتى شبتت الأقدام وزالت الوسوسة . ص ٢٣٦ .

قال تعالى : ﴿ إِذْ يَغْشِيَكُمُ النَّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الأنفال / ١١) .

وبذلك طهرهم الله سبحانه وتعالى وأذهب عنهم تخذيل الشيطان وتخويفه
لِلنَّفوسِ ووسوسته للخواطر وشجع قلوبهم و ثبت أقدامهم .

ونستخلص مما سبق أن الشيطان عدو لا يفتقر ولا يقصر في محاربة العبد
المؤمن ولا يتركه في وقت من الأوقات بغية الوصول إلى هدفه ، خاصة في
أوقات التقرب إلى الله تعالى ليفسد نيته ويحبط عمله بالوسوسة والإعجاب
والكبر وحب الدنيا كما وسوس إلى المجاهدين في بدر ، فما علينا
إلا مجاهدته كما أرشدنا الله تعالى في كتابه وكما بينه النبي صلى
الله عليه وسلم في سنته . وقد سبق بعض هذه الارشادات في الفصل الماضي .

٣ - جهاد المنافقين في السورة الكريمة :

وقد كان للمنافقين في سيرتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابية الكرام مواقف تخذيلية سجلها الله تعالى عليهم في كثير من
الآيات والسورة الخاصة بهم . ففي غزوة بدر الكبرى ، عندما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم لملاقاة قريش أخذ المنافقون يشكون في قوة
المسلمين أمام قوة عدوهم وأطلقوا الكلمات والعبارات المزعجة للنفس .

ومن هذه العبارات (غر هولاء دينهم) . يقول الله تعالى :
﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غُرْ هُؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهََ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٤٩) .

واختلف في قاطبي هذه الكلمات من هم ؟ من أهل المدينة أم من
أهل مكة ؟ يروى ابن كثير رحمه الله تعالى عن مجاهد أنهم فئة من
قريش خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم ، ولما
رأوا قلة المؤمنين في بدر من حيث العدد والعدة. انطلقت السنتهم تتهم
المؤمنين بالغرور . (ج ٣ ص ٣٣١) .

« »

ويروى الواقدي في المغازي :

" أن زيد بن حارثة قدم على ناقة النبي صلى الله عليه وسلم القموءاء يبشّر أهل المدينة ، فجعل الناس لا يصدقون زيد بن حارثة ويقولون : ما جاء زيد إلا فلا ! حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا ، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد : قتل صاحبكم ومن معه ، وقال رجل لأبي لبابة بن عبد المنذر : قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون منه أبدا . قتل محمد وأصحابه ، وهذه ناقته نعرفها ، وهذا زيد لا يدري ما يقول من الرعب وجاء فلا قال أبو لبابة يكذب الله قولك " (ج ١ ، ص ١١٤) .

هذا موقف المنافقين من المسلمين سواء كانوا من أهل مكة أو المدينة ، لقد قرر القرآن الكريم خطأ نظرتهم وسخف تفكيرهم وكما قرر أن الإعتماد على الله تعالى حفظ وحماية للمؤمنين بعد الأخذ بالأسباب اللازمة ، فينبغي الحذر كل الحذر من تحركات المنافقين في المجتمع الاسلامي فإن خطرهم عظيم وضررهم جسيم - وخاصة في أوقات الشدة وأيام المحن ، وفي مواطن الجهاد وساحات القتال .

٤ - أهداف الجهاد في السورة الكريمة :

الهدف الاول : الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى :

=====

شرع الله تعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ولتكون كلمة الله هي العليا فإن إعلاء كلمة الله تعالى يشمل كل أهداف الجهاد : ﴿ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الانفال / ٣٩ .

وان هذه الآية الكريمة آية جامعة لبيان أهداف الجهاد في سبيل الله تعالى . ومعنى إعلاء كلمة الله هو أن يكون حكم الله تعالى هو

الحاكم والغالب ، وكلمته هي النافذة • ويقول في ذلك سيد قطب في

الظلال :

" لقد جاء الإسلام ليكون إعلاناً عاماً لتحرير الناس في الأرض من العبودية للعباد ، وذلك بإعلان الوهية لله وحده ، ومعنى هذا الإعلان الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها • ولابد لتحقيق هذا الهدف الضخم من أمرين أساسيين :

- ١ - دفع الأذى والفتنة عن المعتنقين هذا الدين •
- ٢ - تحطيم كل قوة في الأرض تقوم على أساس عبودية البشر للبشر ، وذلك لضمان الهدف الأول ولإعلاء الوهية لله وحدها في الأرض كلها " (ج ٣ ، ١٥٠٨) •

وهذا يقتضى أن تكون هناك فئة من المومنين تحكم بشرع الله تعالى في الأرض وكما يقتضى حماية هذه الفئة من الاعتداء ثم إيصال الدعوة الإسلامية إلى الناس جميعا •

الهدف الثانى : إحقاق الحق وإبطال الباطل وقطع دابر الكافرين ، كما

عبر عنه النص القرآنى الكريم فى هذه السورة • قال تعالى :

" وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ " (الأنفال / ٧ - ٨) •

إن إحقاق الحق وإبطال الباطل هو إعلاء كلمة الله تعالى فى الأرض وأما قطع دابر الكافرين فهو الاستئصال كما قال الامام الزمخشري في "الكشاف" (١٩٧٢ م) (ج ٢ ، ص ١٤٥) •

الهدف الثالث : ابتلاء المؤمنين لتمييز المؤمنين من المنافق والعادق
من الكاذب قال تعالى : ﴿ لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أَلَيْسَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾
(الأنفال / ٣٧)

ولاشك أن الله تعالى يعلم ذلك كله ، ولكنه جل جلاله أراد أن يرينا
في الدنيا المؤمنين الصادق من الكاذب ، والكافر من المؤمن ، وذلك
لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى .

الهدف الرابع : الحصول على المغنم وتوفير الأموال اللازمة للجهاد :
إن هدف الحصول على المال مجردا ليس من أهداف الجهاد الأساسية
كما سبق ذكره في الفصل الأول وإنما هو من الأهداف التابعة للهدف
الأصلي ، ولاشك أن الجهاد لا يتم إلا بالعمل ، وإن أعداء الله ينفقون
أموالهم ليعبدوا الناس عن سبيل الله تعالى . فالواجب على المسلمين
أن يضربوا ضربة اقتصادية على الكافرين حتى يضعفهم ماليا ، وبمقابل
ذلك يستفاد من أموالهم في نشر الدعوة الإسلامية .

إن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعير قريش أكبر دليل
على هذا . قال ابن اسحق : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأبي سفيان مقبلا من الشام ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش
فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها . (ج ٢ ، ص ٢٤٤) .

وذكر الواقدي في المغازي : " إن العير كانت ألف بعير وكانت فيها
أموال عظيمة ولم يبق في مكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث
به في العير . " (ج ١ ، ص ٢٧) .

ولم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم لقطع الطريق ونهب الأموال
كما يزعم المستشرقون وأتباعهم ، وإنما خرج لإنزال ضربة اقتصادية
وعسكرية على المشركين ، ولكن الله تعالى جمع بينهم وبين المشركين
على غير موعد .

ولا غرابة في ذلك إذ أن المشركين استولوا على أموال المسلمين وممتلكاتهم في مكة ، فكان من الطبيعي للمسلمين أن يستردّوا ببعض أموالهم . ومن المعلوم جدا أن الحرب الاقتصادية من أهم أشكال الحروب في العصر الحديث وإضافة على ذلك أن المسلمين مأمورون بإعداد القوة بجميع أنواعها وذلك لإرهاب أعداء الله تعالى ، وإن إرهاب أعداء الله من أهداف الجهاد في سبيل الله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ (الأنفال / ٦٠) .

وإذا لم يكن عند المسلمين إعداد كاف فحينئذ يطمع فيهم أعداء الله ، لأن الضعف يطمع فيه لانعدام القوة التي تحميه ، ولابد أن يكون المسلمون أقوياء مرهوبة الجانب فلا يجراً أحد على النيل منهم أو الاعتداء عليهم أو أعاقه جهدهم الدعوي . وهذه الأهداف كلها يشملها الهدف الأساسي وهو إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض لأن هذه الأهداف كلها ترمى لتحقيق الهدف الأساسي للجهاد .

ومن الجدير بالذكر أن آية واحدة في هذه السورة شملت الهدف الأساسي والنهائي للجهاد الإسلامي وهي ﴿ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ والمراد من الفتنة الشرك بكل صوره وأنواعه وأشكاله ، ويكون الدين كله لله يقتضى حاكمية الإسلام على الأرض ، وليس معنى ذلك أن الناس كلهم يجبرون على عقيدة الإسلام ، وإنما المقصود أن يكون الإسلام هو الحاكم عقيده وشريعة في الأرض ، وكلمته هي النافذة وتكون الحاكمية المطلقة لله تعالى .

هـ - أساليب القتال فى السورة الكريمة :

إن غزوة بدر الكبرى هى أول تجربة للمسلمين فى التضحية والقتال فى سبيل الله تعالى ، وإن وقع هناك بعض الغزوات والسرايا قبـسـل بدر غير أن المسلمين لم يلقوا حرباً بل عادوا إلى منازلهم دون الخوض فى المعركة .

لقد ظهرت فى هذه الغزوة المباركة عدة مهارات حربية و فنون قتالية لدى المؤمنین رغم عدم خوضهم للمعارك من قبل ، ومن هـذه المهارات الحربية والفنون القتالية :

١ - التخطيط قبل المعركة : اختيار المعسكر الملائم ومركز القيادة .

(العريش) : لاشك أن اختيار المعسكر من أهم

عوامل النصر فى الغزوات ، إذ قد يكون سبباً فى النصر وقد يكون سبباً للهزيمة ولذلك استشار النبى صلى الله عليه وسلم الخبراء العسكريين من صحابته الكرام فى هذه المهمة الحساسة ، يروى ابن اسحق أن قريشاً نزلوا بالعدوة القصوى من الوادى ببدر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أدنى من مياه بدر ، فقال الحباب بن المنذر يارسول الله : أرايت هذا المنزل آمنلاً أنزلكـه الله ليس لنا أن نتقدم ولا أن نتأخر عنه ، أم هو البرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الحرب والرأى والمكيدة . فقال : فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزلـه ثم نخور ماوراءه من الآبار ثم نبني عليه حوضاً فنملئوه ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فانهض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحول إلى المكان آخذ بالرأى الذى اثار به الحباب رضى الله عنه وارضاه . ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأى الحباب ومشورته العسكرية لما فيه من تحقيق مصلحة المجتمع المسلم الحربية ، لأن الحباب خبير عسكرى يعرف موقع بدر معرفة جيدة ، ويفهم ذلك من قوله للنبى صلى الله

عليه وسلم (.. انطلق بنا الى أدنى ماء القوم ، فانى عالم بها ويقلبها
بها قلب قد عرفت عذوبة ماءه) كما جاء فى رواية الواقدي ج ١ ص ٩٣) .
وهذا يدل على سماعة النبي صلى الله عليه وسلم إذ أخذ برأى الخباب
بعد المشورة ، وكما يدل على وجوب الاستفادة فى الأمور الحربية الخاصة
على ذوى الخبرة والاختصاص وبعد أن استقر المسلمون فى المعسكر اقترح
سعد بن معاذ رضى الله عنه أن يبني عريشا للنبي صلى الله عليه وسلم
ليكون مقرا للقيادة . وغرفة للعمليات وليكون النبي صلى الله عليه وسلم
فى مأمن فيه رجاء أن يعود سالما إلى من تخلف من المسلمين فى المدينة .

قال ابن اسحق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أن سعد
بن معاذ قال : يابنى الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ، ثم نلقى
عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحبنا ، وان -
كانت الاخرى ، لحقت بمن وراءنا .. فأثنى عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيرا ثم بنى لرسول الله عليه الصلاة والسلام عريشا فكان فيه
فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه فى نفر من الانصار على باب العريش
يحرصون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كره العدو . ج ٢ ص ٢٦٣ .

ولعل هذا العريش هو أول غرفة عمليات الحرب ، يكون فيه القائد
الأعلى للجيش ومعه خاصة قواده . وخبراء جيشه - فى تاريخ الاسلام .

٢ - اتخاذ الشعار (كلمة السر) :

لابد من كلمة التعارف بين المسلمين حتى لا يقتلوا بعضهم بعضا دون أن
يشعروا ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعار بين المسلمين
يوم بدر : أَحَدٌ ، أَحَدٌ وهذه رواية ابن هشام فى السيرة ، (ج ٢ ، ص ٢٧٦) .

ويروى الواقدي فى المغازي أن شعار المسلمين يوم بدر كان : يامنصور
أمت . وهذا شعار المسلمين عامة ، وأما شعار المهاجرين كان : يابنى
عبد الرحمن . وشعار الخزرج من الانصار كان : يابنى عبد الله . وشعار
الاوس من الانصار أيضا : يابنى عبيد الله . (ج ١ ، ص ٧٦) .

مهما كان هناك خلاف بين أهل السيرة والمغازي في كلمات الشعار العامة بين المسلمين يوم بدر فان المهم هو أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ شعارا للتعارف بينهم وهذه من الأسرار الحربية التي طبقها النبي صلى الله عليه وسلم في أول معركة حدثت بين المسلمين والمشركين وكانت من عوامل النصر التي تساعد على التعاون والتساند بين أفراد الجيش .

٣ - وحدة القيادة، وحدة الصف :

لقد طبق النبي صلى الله عليه وسلم أسلوبا جديدا في القتال فانتصر ، وهو أسلوب الصفوف ، ان الله تبارك وتعالى أخبره في كتابه الكريم أن يحب الذين يقاتلون في سبيل أعداء كلمته صفا كأنهم بنيان مرصوص ، حيث قال جل شأنه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِنِيَّانٍ مَرْصُوصٍ ﴾ (الصف / ٤) .

«
يقول في ذلك محمود خطاب في الرسول القائد (١٩٦٠ م) :
" ان هذا الاسلوب أسلوب جديد لم تعرفه العرب من قبل ، وكان المعهود في القتال هو تطبيق أسلوب الكر والفر بدون قيادة ، ولا سيطرة بحيث كان يجرى القتال كأفراد لا كمجموعة موحدة ، ودخل المسلمون الحرب تحت قيادة موحدة : قيادة القائد الأعلى للمسلمين هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وطبق المشركون أسلوب الكر والفر بدون قيادة ولا سيطرة " (ص ٧٧) .

لاشك أن تطبيق هذا الأسلوب الجديد من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والقتال تحت قيادته الحكيمة كان من أهم عوامل النصر للمسلمين في بدر ، إذ ان أسلوب الصفوف في القتال يمتاز بمزايا عديدة على أسلوب الكر والفر ، ويقول في ذلك أيضا محمود سبت خطاب في الرسول القائد (١٩٦٠ م) : -

استثنى حالتين اثنتين فقط - يجوز فيهما الفرار والهرب من ساحسة القتال ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دَبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَعِيرُ ﴾ (الانفال / ١٥ - ١٦) .

وهذه الحالات :

الاولى : التحرف لقتال والتفنن فيه .

والثانية : التحيز إلى فئة .

ويقول سيد قطب في الظلال في معنى الآية المذكورة : " يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا زحفا أى متدانيين متقاربين متواجهين ، فلا تغفروا عنهم ، إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب ، حيث تختارون موقعا أحسن ، أو تدبرون خطة أحكم ، أو أن يكون ذلك انضماما إلى فئة أخرى من المسلمين ، أو إلى قواعد المسلمين ، لتعاود القتال " (ج ٣ ، ص ١٤٨٧)

ان التحيز لقتال والتحيز إلى فئة في الحقيقة ليس بهرب ولا فرار وإنما ضرب من ضروب الخدعة في الحرب وان كانت في الظاهر فرارا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث متفق عليه عن جابر رضي الله عنه : " الحرب خدعة " البخارى : الجهاد / ٢٨٦٦ ، مسلم الجهاد / ١٧٣٩ . وهذا يدل على أن أى تفنن في الحرب أو تعديل خطة وذلك لغرض الوصول إلى النصر معدوح شرعا ولا تعتبر من الفرار يوم الزحف ، بل تعتبر من الفنون الحربية اللازمة التي لاتستغنى عنها فى أى وقت من الاوقات ، لأنها من ضروريات الحياة .

٦ - كيفية قتل الأعداء :

وقد شاركت الملائكة بالقتال فعلا يوم بدر يقاتلون - إلى جانب المؤمنين -

المشركين فيضربون رؤوسهم ويحزون رقابهم ويقطعون أطرافهم ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَنِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الانفال / ١٢ وكذلك يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الانفال / ٥٠)

إن الآيات المذكورة تشير إلى أن الملائكة بالغوا في قتل المشركين وذلك بضرب الرؤوس والأطراف والوجوه والأدبار ، إن الرأس مركز التخطيط والادارة بالنسبة للإنسان والأطراف هي الأعضاء الفعالة في القتال فيضربهما ينقطع المقاتل عن الحرب عجزاً جزئياً أو كلياً .

ثم إن ضرب الملائكة مثال على المؤمنين يمتثلون بفعلهم في قتالهم مع المشركين ويظهر مما سبق أن هناك مبالغة في القتل لأن المشركين قد استحقوا هذا كله ، فكان جزاء وفاقاً لما اقترفت أيديهم من كفر وعناد وشرك وفساد واضطهاد للمؤمنين طيلة العهد المكي .

٧ - تشريد الكفار في الحرب بعد تثقيفهم :

قال الامام فخر الدين الرازي (في مفاتيح الغيب) : «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد يهود بنى قريظة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ألا يحاربوه ولا يعاونوا عليه المشركين ، فنقضوا العهد مرة بعد مرة وأعانوا عليه كفار مكة بالسلاح يوم بدر ، كما أعانوا عليه يوم الأحزاب . (ج ١٥ ، ص ١٦٢) .

إن نقض العهود والمواثيق سمة بارزة من سمات اليهود في كل عصر ومصر ولقد جاءت آيات كريمات في بيان ما حدث من اليهود من نقض العهود والمواثيق ، وأمرنا الله سبحانه وتعالى بتشريدهم بعد أن تثقيفهم في الحرب

ليكون ذلك درسا بليغا لهم فيما عملوا من الخيانة والغدر .
 قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ عَاهَدُوا مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ
 لَا يَتَّقُونَ ، فَأَمَّا تَثْقَفْنَاهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهَم مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾
 (الانفال ، ٥٦ - ٥٧)

إن الذين يعاهدون المسلمين ثم يخلفون عهدهم ومعهم ينبغي تأديبهم
 تأديبا رادعا حتى لا يتجرأ من خلفهم على نقض العهد أو مهاجمة المسلمين ،
 ولعلمهم يتعظون ويعتبرون . ولا شك أن عهد النبي صلى الله عليه وسلم من
 اليهود كان تأمينا للجبهة الداخلية حتى يأمن مكرهم .

٨ - جواز نقض الهدنة مع الأعداء :

إن الاسلام لا يرضى لاتباعه أن يسكتوا عن عدوهم الذي بينهم عهد . إن
 أحسوا أنه يضرهم لهم الغدر والمكر والخيانة ، بل يوجب على أبتاعه
 أن يطرحوا العهد بينهم وبين عدوهم إذا كانت هناك أمارات وبينات
 ولا يجوز للمؤمنين أن يقاتلوهم بغتة دون إعلامهم بنقض العهد ، لأن عدم
 اشعارهم بذلك يعتبر خيانة وغدرا والله لا يحب الخائنين .
 قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى
 سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (الانفال / ٥٨)

إن هذه تعاليم ديننا الحنيف الأمرة بالوفاء والصدق حتى مع الأعداء
 وما أسمى هداه التعاليم وما أرفع ! لأنه دين الحق ، وصدق ووعد ووفاء .
 ومن الجدير بالذكر أن هذه الاساليب القتالية المذكورة آنفـا
 والتي طبقت في معركة بدر الكبرى ، هي الاساليب الجارية في كل زمان
 ومكان . وهي من أهم عناصر النصر والظفر في الحروب . وقد طبقها
 النبي صلى الله عليه وسلم والمصحابة الكرام عند أول معركتهم مع
 المشركين . ومن ضمن هذه الاساليب أسلوب المبارزة وهذا الأسلوب قد ضيـع
 أهميته في الوقت الحاضر وذلك لتطوير الاساليب الحربية الحديثة
 وكان أسلوبا معهودا . عند المحاربين طوال العصور قبل العصر الحديث .

٦ - نَعَمْ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ :

لقد كانت معركة بدر الكبرى بتدبير من المولى عز وجل ، حيث تجلت فيها القدرة الإلهية بنعم كثيرة على المؤمنين وتتمثل هذه النعم في :
أ - التألف والتآخي بين المسلمين :

=====

كان المسلمون مستضعفين في مكة المكرمة ، ليس لهم منعة وقوة ، يُعَذِّبُونَ وَيُفْتِنُونَ حتى يسّر لهم الله تعالى المدينة المنورة، يهاجرون إليها، فأواهم بأخوانهم الأنصار الذين فتحوا لهم قلوبهم وصدورهم وبيوتهم ، وأشركوهم في أموالهم، وآثروهم على أنفسهم، ورزقهم الله تعالى بالطيبات من الرزق . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَكَمُ النَّاسُ فَاوْكَمُوا وَايْدُكُمْ بِنِعْمِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال / ٢٦) .

ثم بين الله تعالى : كيفية نصرته وتأييده، وحمايته إياهم ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنِعْمِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال ٦٢ - ٦٣) .

قال القرطبي في الجامع : " آى جمع بين الأوس والخزرج ... وكانوا أشد خلق الله حمية ، فألف الله بالإيمان بينهم حتى قاتل الرجل أخاه وأخاه بسبب الدين " (ج ٨ ص ٤٢) .

حقا إن تأليف القلوب المتنافرة والمتباغضة من أكبر نعم الله على المؤمنين، ومن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وآياته ، فبسبب هذه الأخوة انتصر أهل الحق على أهل الباطل طوال التاريخ .

ب - تحقيق الوعد والاستجابة للدعاء :

ومن نعم الله تعالى على المؤمنين في هذه الغزوة أن وعدهم

باحدى الطائفتين أنها لهم ، إما السيطرة على العير وإما النصر على قريش ، إن وعد الله حق لا محالة له . إنهم أرادوا العير لأنهم خرجوا لأجله ، والله أراد لهم خيراً من العير ، وهو النصر المـؤزر ، عادوا منتصرين غانمين سالمين جامعا بين الحسنيين .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ (الأنفال / ٧) .

وفى رواية ابن اسحق : " ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حين استشار الصحابة لملاقاة قريش : سيروا وابشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم " ج ٢ ، ص ٢٥٤ هذه نعمة كبرى وفضل عظيم من الله تعالى على المؤمنين تحقيقاً للوعد الإلهى والبشارة النبوية .

ولقد دارت المعركة بين جند الرحمن وجند الشيطان ، قام الرسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستغيثه ويستنجده . ويطلب من الله العون والنصر على أعدائه . وينتظر من الله تعالى تحقيق وعده . إياه .

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أن النبى صلى الله عليه وسلم استقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه " اللهم أنجز لى ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لأتبعن فى الارض . . . فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ فأمده الله بالملائكة " (كتاب الجهاد : رقم ١٧٦٣ والآية : سورة الأنفال / ٩) . وهكذا تحقق وعد الله بنصر المؤمنين وأيد جنده . ورفع راية الحق انهزم المشركون شر هزيمة ، قتل صناديد الشرك والكفر .

(ج) القاء الرعب فى قلوب الأعداء :

وعد الله عز وجل بالقاء الرعب فى قلوب المشركين وهذا من أكبر النعم التى أنعم الله بها على المؤمنين فى هذه المعركة الفاصلة .
لا شك إن القاء الرعب فى قلوب الأعداء يومئذ فى معنوياتهم ولا يشبتون فى المعركة ، ماذا يمنع المقاتل بمعنوية منحة ولو كان مسلحا قويا ؟

قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنْيَّ مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَأَلَنِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأُضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأُضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ الانفال / ١٢ .

كل هذا من فضل الله تعالى على عباده المخلصين فى سبيله ، لأنهم خرجوا لاعلاء كلمته ورفع شأنه ، لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، لا يقاتلون لأجل الدنيا ، وإنما لتحقيق العبودية لله تعالى على وجه الأرض .

(د) النعاس وإنزال المطر :

ومن النعم التى أنعم الله تعالى على المؤمنين يوم بدر إلقاء النعاس عليهم ، أمانا منه عز وجل لهم ، آمنهم به من خوفهم الذى حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم وعدم تهيبهم لقتال ... ومعلوم أن الخائف لا ينام عادة من خوفه وقلقه الذى يهيئه ، ولكن الله تعالى أراد للمؤمنين خيرا ، وأراد أن يستعيدوا قوتهم وحيويتهم بعد مشاق السفر والخسوف فجعلهم ينامون كأنهم ليسوا فى مواجهة العدو بل فى بيوتهم آمنين مطمئنين .
قال تعالى / ﴿ وَإِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (الانفال / ١١) .

روى البيهقي فى الدلائل عن على رضى الله عنه قال : " ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد على فرس أبلق ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمررة يعلى ويبكى حتى أصبح " (ج ٣ ص ٤٩) .

ومعنى هذا أن النعاس أصاب جميع المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلى ، ويبكى ويدعوا ربّه ويطلب منه العون والنصر شفقة على أمته ورحمة بهم وهل انتهت نعم الله تعالى على المؤمنين ؟ هناك نعمة أخرى نعمة المطر الذى أنزله الله تعالى فى تلك الليلة لتطهير المؤمنين ويذهب عنهم وساوس الشيطان وليربط القلوب وتثبيت الأقدام .

روى الواقدى فى المغازى عن رفاعة بن مالك رضى الله عنه أنه قال : غلبنى النوم ، فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل ، ويروى أيضا عنه أن الله تعالى بعث السماء وكان الوادى دهسا - والدهس كثير الرمل - فأصاب المسلمين مالبس الأرض ولم يمنعنا من المسير ، وأصاب المشركين مالم يقدرُوا أن يرتحلوا منه ، وإنما بينهم قوز من رمل " (ج ١ ص ٥٤) .

ولقد أنزل الله تعالى المطر معتدلا فى جانب المؤمنين ، فتماسكت الأرض وأصبحت ملائمة للمسير ، فتوضأوا وغتسلوا وشربوا فأذهب الله تعالى عنهم وساوس الشيطان من نفوسهم وربط على قلوبهم وثبت أقدام المجاهدين مما أدى إلى تيسير الحركة الحربية والتحرك العسكرى فى هذه الغزوة المباركة .

ه - رؤية النبی صلى الله عليه وسلم المشركين فى المنام قلّة :

ومن حكمة الله تعالى هى تلك الرؤيا المنامية التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشر بها أصحابه قبل غزوة بدر الكبرى ، وذلك لتحقيق إرادة الله تعالى ، وليزدادوا شجاعة وهدقا ويقينا لنصرة الله تعالى .

وهى رؤية النبی صلى الله عليه وسلم المشركين فى المنام قلّة وذلك لتحقيق الوعد الربانى والتدبير الإلهى ليزداد المؤمنون شجاعة وقوة ولرفع معنوياتهم ، ولو أراهم كثيرا لفشلوا وجبنوا عن لقاء

المشركين أو ضعفت هممهم واختلفوا في نهاية الأمر ، ولكن الله سلمهم
من ذلك كله .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِذْ يَرْيَكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكُمْ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ
كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الْعُدُورِ ﴾
(الأنفال / ٤٣)

وهذه الرواية كانت قبل القتال وكانت روية منامية ، وأما في
ساحة القتال قللهم في أعين المسلمين رأى العين تثبيتاً لهم وتقوية
لقلوبهم وتمديداً لرويا النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنها وحسب
من الله تعالى . وكما قلل الله تعالى المؤمنين في أعين المشركين
قبل التحام القتال ليجتروا عليهم ثم استمرت روية المؤمنين المشركين
قلة ، ولكن الله تعالى كثر المؤمنين في أعين المشركين بعد بدء القتال
رحمة بالمؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْيَكُمُوهُمْ إِذَا التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلِلُكُمْ
فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (الأنفال/٤٤) .

وبقى حزب الايمان ضعفين مع نزول الملائكة الأبرار . قال تعالى ﴿ قَدْ
كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّائِفَاتِ فِئَةٌ تَقُتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ
مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ (آل عمران / ١٣) .

يروى الإمام البيهقي رحمه الله تعالى في الدلائل عن ابن مسعود .
رضي الله عنه أنه قال : لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل
إلى جنبي : تراهم سبعين ؟ قال : لا ، بل هم مائة حتى أخذنا رجلاً منهم
فسألناه ، فقال : كنا ألفاً (ج ٣ ص ٦٧) .

ويرى ابن اسحق أن أبا جهل قال في ذلك اليوم : إنما هم أكلة جزور
خذوهم وأربطوهم بالحبال " (ج ٢ ، ص ٢٦٣) .

وبذلك أغرى الله سبحانه وتعالى كلا من الفريقين بالآخر لتحقيق
حكيمته ، ليقضى أمراً كان مفعولاً ولتنفيذ مشيئة الله عز وجل .

لأشك أن هذه كانت معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وإكراماً للمجاهدين الأولين ولا تتحقق في كل مرة في العصور ، ولكن الحقيقة أن المؤمنين متى أخلصوا نياتهم وجاهدوا في سبيل الله حق جهاد فسوف ينتصرون على أعدائهم بإذن الله تعالى . لأن الله تعالى وعد بالنصر للمجاهدين والله لا يخلف وعده .

والتاريخ الاسلامي مليء بالحوادث الغريبة والعجيبة التي حدثت للمجاهدين في سبيل الله تعالى ، أكراماً لهم .

٦ - ربيعة الحصاة :

لقد أوحى الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتناول قبضة من الحصاة ثم يرمي بها على أعين المشركين . فأوصل الله عز وجل ذرات الرمل إلى أعين المشركين .

يقول في ذلك ابن اسحق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصاة فاستقبل بها قريشا ثم قال : " شاهدت الوجوه ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال : " شدوا " فكانت الهزيمة " (ج ٢ ص ٢٦٨) .

فما من المشركين من أحد إلا أصحاب عينيهِ ومنحريهِ وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين .

يقول الله تعالى مذكرا هذه النعمة الإلهية ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال / ١٧) .

فكانت الرمية هذه آية إعجازية قاهره من آيات الله التي جعلها من أعظم دعائم النصر إذ جعل منها أمرا هائلا وقوة قاهرة ملأت أعين المشركين وشغلتهم بأنفسهم ، فهزموا شر هزيمة .

فألله تعالى إذ وعد رسوله بالنصر لا يربط هذا الوعد بأسباب مادية فقط ، وإنما يربطه بالإيمان والتقوى ، بالعبر والتوكل على الله حق توكل يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ (آل عمران / ١٢٣) .

فالنصر إذن لا يأتي بالاعتماد على القوة وإنما يأتي بالإيمان الصادق والعمل الجاد ، والأخلاص التام . إن القوة المادية ليست مقياساً وحدها في الانتصار .

٧ - العون والممدد من الملائكة من قبل الله عز وجل :

إن الملائكة شهدت بدرا ، ممدداً من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام . لأن غزوة بدر كانت أول وأعظم غزوة قتالية بين أهل الإيمان وأهل الشرك .

لقد أنزل الله تعالى ألفاً من الملائكة المردفين ، يتبع بعضهم بعضاً استجابة لاستغاثة النبي صلى الله عليه وسلم بربه ، وكثرة دعاؤه وأخبرهم الله تعالى بذلك تبشيراً لهم بالنصر وتطميناً لقلوبهم .

قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدِّمُ بِالْأَلْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الانفال / ٩ - ١٠) .

ولقد جاءت أحاديث صحيحة في شهود الملائكة يوم بدر :

روى البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر : " هذا جبريل ، آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب " (كتاب المغازي / ٣٧٧٣) .

وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم فما زال يهتف بربه .

مَادًّا يَدِيَّهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ .. فَاَنْزَلَ اللَّهُ
 * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ رَبَّكُمْ ... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ * فَأَمَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمَلَائِكَةِ .
 (كتاب الجهاد / ١٧٦٣) .

لَقَدْ تَتَابَعَتْ نَزُولُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْفَاصِلَةِ ، نَتِيجَةً
 لِعَسْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَقْوَاهُمْ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ
 يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا
 وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشْرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ
 إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * (آل عمران / ١٢٤ - ١٢٥) .

قال القرطبي في الجامع: وقد اختلف المفسرون في قتال الملائكة يوم بدر
 هل الملائكة باشرت القتال بالفعل أو لا ؟ قال جماعة : أن الملائكة
 كانوا يقاتلون ، وقال جماعة : كانت الفائدة في كثرة الملائكة أنهم
 كانوا يدعون ويسبحون ، ويكثرون السواد يومئذ . ج ٤ ، ص ١٩٢ .

فعلى هذا أن الملائكة لم يقاتلوا وإنما حضروا للدعاء والتشبيات

ويقول القرطبي رحمه الله تعالى في هذا الصدد : " لقد تظاهرت
 الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت ، وهذا قول الأكثر . (ج ٣ ص ١٩٤) .

يقول الله تعالى في ذلك : * إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ
 فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ
 الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * (الأنفال / ١٢) .

يقول أبو السعود رحمه الله تعالى في تفسيره مؤيداً قول الجمهور
 في ذلك : " فأضربوا " الخ تفسير لقوله تعالى " فثبتوا ومبين لكيفية
 التشبيات " . (ج ٢ ص ٣٤٩) .

وأن هناك أخباراً صحيحة وردت في مباشرة الملائكة القتال ، نذكر
 منها على سبيل المثال :

قال ابن اسحق : " ولما كانوا بواد يقال له ذفران أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، واستشار لأصحابه ، فقام أبو بكر فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امضي لما أراك الله ، فنحن معك والله لا نقول لك كما قالَت بنو إسرائيل (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له ... ثم قال سعد بن معاذ : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضي يا رسول الله لما أردت فنحن معك . (ج ٢ ، ص ٢٥٤ ، والآية / المائدة / ٢٤) .

ولقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم في المسير كبار أصحاب وذوى الخبرة من المسلمين وأخذ آراءهم العسكرية والفنية .

وكما استشارهم صلى الله عليه وسلم في اختيار المعسكر في بدر ، ونزل عليه الصلاة والسلام حيث أشار إليه الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، لأنه خبير في ذلك ، يعرف الموقف معرفة جيدة . كما يروى ابن هشام في السيرة (ج ٢ ص ٢٥٩) .

وكما استشارهم صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر ، ماذا يفعل بهم ؟ لقد أبدى كل من المستشارين من الصحابة الكرام برأيه ، فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام برأى أبى بكر الصديق رضي الله عنه فعوتبوا على ذلك من المولى تبارك وتعالى : * مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ ... فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا * (الانفال : ٦٧ - ٦٨)

وفي هذه المواقف الحرجة والصعبة طلب الرسول صلى الله عليه وسلم الرأى والمشورة ، نرى المؤمنين العاملين من أهل الخبرة والاختصاص

والدراسة يتقدمون بالرأى والمشورة ، يتقدمون بها وهم يعرفون حدودهم ومسئولياتهم ، ويدفعهم إليها حرصهم الشديد على سلامة الدعوة ونصرتها في موقف يحتاج إلى الطاقات والخبرات والقدرات وخاصة في مثل هذه المواقف التي تتعلق بالمعير .

ونستخلص من ذلك أن القائد مهما كان يجب أن يشاور قواده وجنوده في أمر القتال وكيفية الإعداد . وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه وهو يوحى إليه من ربه ، غنى عن آرائهم ومشورتهم ، ولكن الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يوضح للمسلمين سنته البقولية والفعليية في أمر الحرب وفي الجهاد وفي كل أمور تتعلق بمعير الأمة والمجتمع الاسلامي ، وكما أراد صلى الله عليه وسلم أن يطيب نفوس لأصحابه بأخذ آرائهم . ولعل الهدف في ذلك إحساس الافراد بأن المسؤولية مشتركة ، وأن النصر والهزيمة ليس مسؤولية القائد وحده وإنما القائد وجنوده .

٢ - التحفيز على القتال :

=====

إن التحريض على القتال يبعث في نفس المقاتل الشجاعة والجرأة والشبابة في المعركة ، وحين يسمع المقاتل ما أعدّه الله تعالى للمجاهدين في سبيله من نعم كثيرة وثواب جزيل يزداد شوقاً إلى لقاء ربه ولا يبالي بالدنيا ونعيمها . ولقد أمر الله تعالى نبيه أن يحرض أصحابه على القتال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ (الأنفال/٦٥)

ولذلك حرض النبي صلى الله عليه وسلم على القتال يوم بدر قبيل

التحام الجيشين

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم رجل اليوم فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة " .

(مسلم كتاب الامارة / ١٩٠١)

وهذه الكلمات المؤثرة هي التي دفعت الصحابي الجليل عُمير بن الحمام رضي الله عنه إلى أن يلقي الثمرات من يده، فقاتل حتى قتل .
وقد يكون التحريض مادياً روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بسلب أبي جهل لمعاذ بن عمرو بن الجموح " كتاب الجهاد / ١٧٥٢ . لأنه قتله في المعركة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين في حديث رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أبي قتادة، رضي الله عنه : " من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سَلْبُهُ " (كتاب الجهاد / ١٧٥١) .

والمتبع الآن في الأنظمة العسكرية الحديثة إذا أراد القائد تحريض أحد أفراد جيشه أو مكافأته أعطاه رتبة عسكرية أو وساماً عسكرياً، ومن المعلوم أن الأنظمة العسكرية قد تغيرت وذلك بتغير الزمان والمجتمعات . كان المجاهدون في العصور الأولى يجهزون أنفسهم من سلاح ومركب وذلك وفق إمكانياتهم الشخصية ، وكما كان الأغنياء يجهزون المعسرين آنذاك من المجاهدين على حسب غناهم . ولكن بتغير الزمان والمجتمعات أصبحت هناك حاجة ضرورية لتأسيس جيوش منظمة، حرفتهم الأساسية حرفة العسكرية يتدربون على الحرب ، ويقسمون كل أعمالهم على التدريب العسكري . وأصبحت لهم رواتب منظمة وإمكانات مادية أخرى مثل توفير السكن والخدمات الصحية ونظام التقاعد الخ ..

وبجانب ذلك كان هناك المتطوعون من المؤمنين يشتركون في الغزوات في سبيل الله تعالى .

والحق أن الجهاد الإسلامي لا يقتصر على فئة معينة دون فئة ، ولكنه يشمل جميع أفراد الأمة على حسب الظروف والشروط وعلى حسب قدراتهم المادية والمعنوية . ولاشك أن التحريض المادي مهما كان مغرياً ولا بد من تحريض معنوي روحي ، يحرك المشاعر والعواطف والموجدانات بالقضاء الكلمات الحماسية

الموعظة والتوجيهات الإيمانية المذكرة بالله، المشوقة إلى الجنة،
المرغبة في الشهادة. •

ومن الجدير بالذكر أن مجرد التحريض بالمادة، قد يخرج المقاتل
المسلم من إدراك هدفه الأساسي - لاسمح الله تعالى - ويفسد نيته، ويكون
جهاده، للدنيا مثل سائر حروب للناس.

وكما قلنا في بداية الفصل أن سورة الأنفال كانت نشيد القتال
عند المسلمين قبل لقاء العدو، يقرءونها قبل الالتحام، يزدادون شوقا
وحبا إلى اللقاء وإلى ما أعد الله تعالى لهم من نعيم مقيم. •

٨ - آداب الجهاد في الإسلام من خلال سورة الأنفال :

إن للجهاد الإسلامي آدابا، يجب أن يتحلي بها الجيش الإسلامي يتقيد بها
لأن الجهاد كما سبق وأن قلنا لا يشبه سائر الحروب التي تخوضها الجيوش
غير الإسلامية، ولأنه في سبيل الله تعالى، لا بد وأن نتقيد فيه بأوامر
الله تعالى وفي الحقيقة أن للجهاد آدابا كثيرة، نذكر من أهمها هنا
كما جاءت في هذه السورة الكريمة :

أ - إخلاص النية : وذلك بإخلاص جهاده لله وحده، واحتساب الأجر
منه وحده، لأن الجهاد عبادة، وكل عبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لوجه
الله الكريم. وعلى المجاهد أن يحذر من أن يناله الشيطان بعجب أو غرور
أو تكبر أو رياء فيحبط عمله وعمل جهاده ويحرم من الأجر والثواب. • ولا
يخرج للجهاد مفاخرا أو مستكبرا، بل يخرج متواضعا. •

روى ابن اسحق في السيرة^١ : أن أبا جهل قال : لما قال له أبو
سفيان ارجعوا^٢ والله لا نرجع حتى نرد بدرنا، فنقيم عليه ثلاثا فننحر
الجزر ونطعم الطعام، ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا
العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا بعدها. (ج ٢ ص ٢٦١).

يقول الله تعالى : موجهها المؤمنون إلى اخلاص النية في كل الأعمال محذرا عما وقع عليه المشركون من البطر والرياء * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ ، وَيَعِدُونَ عَنْ سَيْلِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * (الأنفال / ٤٧) .

٢ - التوكل على الله تعالى والإعتماد عليه وحده في الجهاد ، دون النظر إلى كثرة عدد أو عتاد ، أو قوة أو زاد ، إنما القياس هو الإخلاص والتوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب . وكان المؤمنون في بدر قلة رغم قلة عددهم وعددهم لقد نصرهم الله تعالى بإيمانهم وتوكلهم قال تعالى : * وَلَقَدْ نَعَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ * آل عمران / ١٢٣ . ان في ذلك عبرة للمعتبرين وذكرى للذاكرين .

٣ - العبر والشبثات في المعركة والإكثار من ذكر الله تعالى فيها : العبر والشبثات من أهم أسباب النصر على الأعداء . ان ساعة اللقاء مع الأعداء وخاصة عند الالتقاء والتلاحم ساعة رهيبة لها مابعدا ، لها ثقلها العظيم وخطورتها البالغة في ميزان المعارك ، وحسابها الكبير في مقاييس الحروب . ان العبر والشبثات مع الايمان الصادق مفتاح النصر ومن أهم عناصره الأساسية ، ولاشك ان الفرار والهرب وعدم الثبوت من أهم عناصر الفشل ، ولهذا أمر الله تعالى المجاهدين أن يثبتوا عند اللقاء وأن يصبروا في القتال حتى النهاية مهما بلغت الظروف قال تعالى : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ . وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * (الأنفال / ٤٥ - ٤٦) .

ان هذه الآيات الكريمة لقد أشارت إلى عوامل النصر ، وهي الثبات والصبر والإكثار من ذكر الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، الوحدة وعدم الاختلاف والتفرق ، ومتى اجمعت هذه العناصر في جيش من الجيوش الإسلامية سيأتي النصر الإلهي باذن الله تعالى . وكما

بيّنت هذه الآيات الكريمة أن الاختلاف والتنازع سبب الفشل والهزيمة
 وذهاب القوة . ولقد حرم الله تعالى الفرار يوم الزحف ، ﴿ يا أيها
 الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَوتْهُمْ الْأَدْبَارَ ﴾ (الأنفال/١٥)
 وجعله الرسول صلى الله عليه وسلم من الموبقات المهلكات السبع إلا أن
 يكون لخطة عسكرية أو فنية فحينئذ يباح الفرار والأدبار كما مر علينا
 في أساليب القتال .

والحق أن الفرار يوم الزحف منظر في غاية القبح والبشاعة ،
 يتنافى مع الإيمان والرجولة والمروءة ، يتنافى حتى من الكافر .

إنه العميان الصريح لأوامر ربنا وتعليمات نبينا محمد صلى
 الله عليه وسلم . فكيف يفرّ المؤمن من ميدان القتال والجهاد وهو
 موعود بإحدى الحسنيتين ، أما النصر ، وأما الشهادة ؟ وهو يعرف بيقين
 أن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لقد قدّموا أكبر تضحيات
 وأسعى ضروب الفداية في سبيل الله تعالى رغم قلة عددهم وعددهم ، فما
 ضعفوا وما استكانوا فمبىروا حتى الموت .

ومن عوامل النصر الاكثار من ذكر الله تعالى . لأن الذكر يشغل
 الإنسان بربه ، وله أثر كبير على معنويات المقاتل يشعر بأنه لا يقاتل
 وحده ، ولا يقاتل لأجل الدنيا وإنما يقاتل لإعلاء كلمة الله تعالى ونشر
 دينه وذلك يوفدني إلى اخلاص نيته وعمله وإدراك غايته وهدفه .

إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يرشدنا إلى أن نشغل
 بذكر الله كثيرا في كل الأحيان ، في الرخاء والشدة ، بل الذكر وقت
 الشدة . وخاصة وقت القتال حين تقابل جيش الرحمن مع جيش الشيطان ، أكد
 من غيره من الأحيان وكان الصحابة رضي الله عنهم رهبانا بالليل وفرسانا
 بالنهار .

ومن عوامل النصر أيضا الطاعة المطلقة لله تعالى ولرسوله المصطفى

صلى الله عليه وسلم دون شرط أو قيد ، وذلك بامتنثال الأوامر واجتناب

النواهي .

والطاعة لأولى الأمر من المسلمين والقادة. المؤمنة في غير معصية

الله تعالى لأن طاعة الأمير طاعة الرسول وعصيان الأمير عصيان الرسول

صلى الله عليه وسلم .

روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال : (من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله

ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعصى الأمير فقد عصانى) (كتاب الامارة ١٨٣٥) .

إن قوة الالتزام بالطاعة والانضباط لدى أى جماعة منظمة أساساً فى

استقرار بقائها ونجاحها ، إذ لابد من قائد يقود ونظام وانتظام ومبدأ ،

والالتزام . . وبدون هذا الانضباط فإن معيها التفرق والضياع والفشل

والخسران . ولذلك نهى الله تعالى التنازع والاختلاف خاصة فى مواطن الجهاد .

لأن ذلك يوصل إلى ذهاب القوة والضعف * ولاتنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم *

فإن الشقاق والاختلاف إذا دب فى أفراد الجيش فرق الأخوة الإيمانية

والأوامر الودية ، فلا بد من الوحدة خاصة فى مثل هذه المواطن التى

يتأكد فيها أكثر من غيرها من المواطن لأنها تتعلق بمصير الأمة ومقدراتها .

٤ - اظهر الجلد بعد المعركة :

إن الاسلام عزيز ، وأهله أعزاء وأن الكفر ذليل وأهله أذلاء ، فالإسلام

لا يرضى لاتباعه أن يكونوا أذلاء والمؤمنون فى عزة مهما كانوا وأينما

كانوا قال تعالى : * وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

لَا يَعْلَمُونَ * (المنافقون / ٨) .

ولذا يجب عليهم أن يظهروا ذلك سواء انتصروا أو فشلوا أمام

أعداءهم الذين يتربصون بهم الدوائر .

يعود النبي صلى الله عليه وسلم من بدر ظافراً مظفراً كاسراً الشوك وأهله والكُفْر وأهله ، لقيه المسلمون يهتفون بهما فتح الله عليهما . ومن معه من المسلمين فقال لهم سلمة بن سلامة كما يروى ابن إسحاق " ما الذى تهتفوننا به ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : " أى ابن أخى ، أولئك الملاء . " (ج ٢ ، ص ٢٨٥) .

نشاهد هذا المنظر بعد كل غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، يظهرون الجلدة والشجاعة أمام أعدائهم الخارجية مثل الكفار والداخلية . مثل المنافقين واليهود والنصارى وغيرهم من الملحدين الذين لا يريدون للإسلام والمسلمين خيراً ولا يتحملون على نصر الإسلام وأهله .

هـ - الإحسان إلى الأسرى :

وقد أمر الإسلام بالإحسان إلى الأسرى، ترغيباً فى الإسلام ، رحمة بهم وشفقة عليهم وحفاظاً على إنسانيتهم وكرامتهم .

يروى الواقدي فى المغازى عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " استوصوا بالأسرى خيراً " فقال أبو العاص بن الربيع : كنت مع رهـبـط من الأنصار جزاهم الله خيراً ، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم، حتى أن الرجل لتقع فى يده الكسرة فيدفعها إلى وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد : وكانوا يحملوننا ويمشون . (ج ١ ، ص ١١٩)

وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً يحسنون إلى الأسرى ويطعمونهم وهم فى حاجة شديدة وظروف قاسية ، والقرآن الكريم يصفهم لنا أن عملهم هذا من أفضل القربات إلى الله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينَ وَيَتِيمًا وَآسِيرًا ﴾ (الانسان / ٨)

يروى الألوسي فى روح البيان عن الحسن البصرى رحمه الله تعالى

" كان النبي صلى الله عليه وسلم يوءى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له : " أحسن إليه فيكون عنده. اليومين والثلاثة فيوءثره على نفسه . ج ١٠ ، ص ١٩٦ .

هذه معاملة الاسلام للأسرى ، معاملة إنسانية راقية ، وان كانوا قبل الأسر يتمنون قتل الموءمنين والقضاء عليهم ، ولكن الاسلام يعصب عليهم من رحمته ولطفه ، يحترمهم على أنهم بشر ، ويعامل الواحد منهم على أنه إنسان .
كم من أسير قد أسلم وقدم خدمات جليلة للإسلام نتيجة معاملته الاسلام والمسلمين للأسرى . والتاريخ الاسلامى مليئة بأخبارهم وحوادثهم .

ولقد آكتفينابهذا القدر من ذكر بعض آداب الجهاد كما جاءت فى سورة الأنفال ، وإن كانت هناك آداب أخرى إلا أننا قد تطرقنا إلى أهمها . وهي ذات العلاقة بلب موضوعنا فى هذا البحث .

٩ - الإعداد للجهاد كما جاء فى السورة الكريمة :

ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة . بكل ما فى الكلمة من معنى - لأرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لِاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال / ٦٠) .

تعتبر هذه الآية الكريمة قاعدة الإعداد الحربى للجهاد فى الإسلام . وقد اشتملت على الأمر بإعداد القوة المستطاعة فى سبيل الله تعالى . وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم المراد من القوة فى الآية بالرسمى

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عتبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى " (كتاب الإمارة / ١٥٢٢)

ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم أنه رمى بالسهم أو النبال ، وإنما قال الرمي مطلقاً من غير تقييد لتشمل جميع القوات المادية والمعنوية . لأن الجهاد يستلزم إعداد جميع أنواع القوة ، ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . وإذا كان المقصود من الرمي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الرمي بالسهم والنبال والمنجنيق ، والمقصود في هذا العصر الرمي بالرصاص والقنبلة بجميع أنواعها واستعمال الطائرات والدبابات والصواريخ الخ وكل ما وصل إليه التقدم العلمي والتكنولوجيا في صناعة الأسلحة . لاشك أن لكل عصر ما يناسبه من القوة فالواجب على المسلمين أن يقابلوا الأعداء بمثل السلاح الذي يقابلهم الأعداء ، بل بأسلحة وأساليب غير معروفة عند الأعداء حتى يفاجئهم ويكسر من معنوياتهم ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بترتيب الصفوف في بدر ، إذ أن هذا الأسلوب كان غير معروف عند العرب وكما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم المنجنيق في غزوة الطائف فيمما يروى ابن اسحق في السيرة (ج ٢ ص ١٢١) . وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم والمصاحبة الكرام كل ما وجدوه في عصرهم من السلاح واخترعوا أسلحة جديدة واستعملوها في حروبهم مع الأعداء .

ولاشك أن أسلحة الحرب قد تطورت وتنوعت في هذا العصر ، ومن الطبيعي أنها لن تقف عند حد معين . والمسلمون بمقتضى دينهم مأمورون بالسباق في هذا السباق .

وتمشيا مع الأمر الإلهي وسياسة الواقع لقد درّب النبي صلى الله عليه وسلم رجاله على فنون الحرب ، من رمي وفروسية وسباق وصناعة آلات الحرب روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من علم الرمي ثم تركه فليس منّا " أو قد عصى " (كتاب الامارة / ١٩١٩) . هذا تهديد من النبي صلى الله عليه وسلم لمن تعلم الرمي ثم تركه ، معنى ذلك أن ترك الرمي بعد تعلّمه ترك الإعداد للجهاد في سبيل الله ، وهذا مذموم في الشرع وعصيان لأوامر الله تعالى وتعاليم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه النسائي عن عقبه بن عامر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله عز وجل يدخل ثلاثة نفر الجنة : بالسهم الواحد ، صانعه يحتسب فى صنعه الخير والرأى به ومنبله " (كتاب الجهاد / ٣١٤٦)

ويُفهم من هذا الحديث النبوى الشريف أن من اشترك فى صناعة الأسلحة من قريب أو بعيد - فإنه يثاب ثواب المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، لأنه يشترك فى الإعداد فلا جهاد بدون الإعداد . وهذا يقتضى الإعداد فى جميع أنواع القوة فى البر أو البحر أو الجو . وذلك بتأسيس المصانع الحربية ، وحشد الرجال فى كل مجال مع التدريب المستمر للحرب

ولقد جاء الإسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبيّنا نفسه أن يجاهد فكانت حياته كلّها جهادا ، فعلينا أن نقتدى به فى جهاده صلى الله عليه وسلم .

وقال الطنطاوى فى الجواهر : والجهاد يستلزم جميع العسائـوم والصناعات ، يستلزم علم الرياضيات والطبيعات ، ويستلزم علم السياسات وعلم الإقتصاد وعلوم الحروب كلّها ، واستخراج المعادن وعلم الزراعة وعلوم العالم قاطبة ، وإن العلوم كلّها والصناعات لاينفك بعضها عن بعض عرفنا أن الجهاد يكون بها كلّها " ج ١٢ ص ٢٤ .

وكما نبّه القرآن الكريم فى الآية الكريمة المذكورة إلى قوة الخيل كأداة حرب (. . ومن رباط الخيل) وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الخيل لما فيها من الأجر والغنيمة والقوة ولقد وردت أحاديث صحيحة فى فضل الخيل ورباطها فى سبيل الله تعالى - ولقد سبق ذكر بعضها - لحماية الحصون والثغور .

وكانت الخيل وسيلة نقل فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولقد تغيرت وسائل النقل فى العصر الحديث بتغيير التقدم العلمى ، فالواجب

على المسلمين اتخاذ وسائل النقل وفقا لزمانهم .

إن الأعداد المادية لا تكفى وحدها لارهاب عدو الله تعالى وعساو
المسلمين إذا لم يكن هناك أعداد روحى معنوى ، إن القوة المعنوية
هى أقوى من كل سلاح يقاتل به الأعداء .

«
وقال محمد على الصابونى فى قبس من القرآن (١٤٠٧ هـ) : " ماذا تصنع
القنابل أو المدافع فى يد الخوار الجبان ، الذى يرتعد فزعا ويموت
هلعا ؟ وكيف يثبت فى المعركة من لم يكن ثابت الجأش قوى العزيمة
عظيم الثقة بنصر الله " (ص ١٦١) .

لأبد من وجود القوتين : المادية والمعنوية حتى يتم الإعداد إعدادا .
تاما للجهاد فى سبيل الله تعالى . ولعل هذا هو السر فى التعبير الربانى
فى الآية الكريمة * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة * فقد وردت كلمة (قوة)
نكرة مطلقة غير مقيدة لتشمل جميع أنواع القوة التى تناسب كل زمان
ومكان .

الإعداد لا يتم إلا بالمال ولا يمكن الحصول على المال إلا بالإنفاق وإليه
أشارت الآية الكريمة * وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم
لا تظلمون *

تأمل هذه الآية الكريمة تجدها دالة على ضرورة وجود المال للجهاد
فى سبيل الله تعالى ، فهى تأمر بإعداد جميع أنواع القوة المستطاعة
فتبين للمؤمنين أن كل مال يبذلونه فى الجهاد لن يضيع بل أنه يعوض
فى الدنيا ويؤجر عليه فى الآخرة من غير نقص .

١٠ - مفهوم الجنوح للمسلم كما جاء فى السورة الكريمة :

قال تعالى : * وَإِنْ جُنَحُوا لِلْإِسْلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ * (الأنفال / ٦١ - ٦٢) .

إنّ هذه الآية الكريمة نصّ في جواز الصّالح الموءقت بين المسلمين وأعدائهم ، ولكن اختلف في هذه الآية الكريمة : هل هي منسوخة أم لا ؟

قال الإمام القرطبي : " قال قتادة وعكرمة : نسخها (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) وقالوا : نسخت براءة كل موادة ، حتى يقولوا لا إله إلا الله . وقال ابن عباس : النسخ لها (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) وقيل ليست بمنسوخة " ج ٢ ص ٤٨ .

وهو اختيار الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ، إذ يرى جواز الصّالح إن كان للمسلمين مصلحة في الصّالح ، لنفع يجلبونه ، أو ضرر يدفعونه ، وأما ابن العربي من المالكية فهو لا يرى جواز الصّاح إذا كان المسلمون على عزّة وقوة ومنعة ، وجماعة عديدة . وشدة شديدة مستدلاً بقوله تعالى ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾ (سورة محمد ص/٣٥)

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى : إذا كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم ، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة ، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ، فلانفاة ولانسخ ، ولا تخصيص .
(ج ص)

وعلى ذلك فإن الآية الكريمة غير منسوخة ، فهي نصّ في جواز الصّاح والمهادنة إذا كانت هناك مصلحة ظاهرة للإسلام . والمصلحة تقدرها على ولي الأمر ، قد تظهر في صورة متعددة . مثل : ضعف المسلمين أو الطمع في إسلام أعدائهم أو قبولهم حكم الجزية الخ .

قال كمال بن الهمام في شرح فتح القدير : " وقد استدل العلماء على ضرورة وجود المصلحة في الصّاح بالإجماع على تقييد آية ﴿ وأن جنحوا للسلم ﴾ برواية المصلحة للمسلمين في ذلك ، بدليل آية ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون ﴾ (ج ٤ ، ص ٩٣) .

واتفق الفقهاء على أن عقد الصّاح مع الأعداء لا بد من أن يكون

مقدّراً بعمدة. معيّنة، فلا تسمَح المهادنة مطلقاً إلى الأبد من غير تقدير بعمدة. ، لأن ذلك يفضي إلى ترك الجهاد كلياً . (ج ٤ ، ص ٢٩٣) .

« ويقول وهبه الزحيلي في آثار الحرب في الفقه الاسلامي : أن ذلك مفوض إلى ولاية الأمور لأن العبرة في العقود العامة بتوافر المصلحة . وهم أدري بما يحقق المصالح في هذا الزمان . (ص ٦٧٥) . »

بينما يروى الشيخ ابن عاشور في التحرير (١٩٨٤م) عدم جواز الملاح إذا كان غرض الأعداء من الجنوح للسلام غرض كيّد ومكر في الظاهر . ويقول في معنى : " (وأن جنحوا للسلام) إن مالوا إلى السلم ميل القاصد إليه ، كما يميل الطائر الجانح . وإنما لم يقل : وان طلبوا السلم فأجبهم إليها ، للتنبيه على أنه لا يسعفهم إلى السلم حتّى يعلم أن حالهم حال الراغب لأنهم قد يظهرون الميل إلى السلم كيدا . (ج ١٠ ، ص ٦١)

معنى ذلك أنه يجوز السلم مع الأعداء إذا كان غرضهم وميلهم للسلام ميل حق .

والحقيقة أن هذه المسألة مسألة اختلافية، وحساسة في نفس الوقت ، وهي تتعلق بسياسة ولاية الأمور الحربية والعسكرية ، وكما تتعلق بمسألة أصل علاقة المسلمين بغيرهم ، أي علاقة سلمية أم علاقة حربية ؟ وتنتج عنها عدة مسائل فرعية ذات العلاقة بهذه الآلية الكريمة . وهي خارج عن أهداف هذا البحث .

وقد أكتفى الباحث بهذا القدر لبيان مفهوم الجنوح للسلام كما جاء في السورة .

١١ - مفهوم الهجرة كما جاءت في السورة الكريمة :

إن الهجرة في الإسلام قضية إيمانية ، تعبر عن طبيعة العلاقة بين أفراد الأمة ، تلك العلاقة التي تقوم على رابطة العقيدة ، والدين ، والتضحية بكل غال ورخيص ، بالنفس والمال والدار ، والولد ، والأهل والعشيرة . وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم بذرة الدعوة الإسلامية في أرض مكة المكرمة بأمر ربه ، إلا أن هذه البذرة لم تجد أرضاً خصبة تنبت منها ، وتحمل نموها ، فتحول إلى أرض طيبة ، أرض المدينة المنورة ، فقبلت تلك البذرة المباركة ، وأنبتت نباتاً مشمراً .

لقد تعرض المسلمون في مكة للأذى والتعذيب نتيجة إيمانهم بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، فصبروا حتى يؤذن لهم بالهجرة إلى المدينة المنورة ، وهاجروا تاركين أموالهم وديارهم وعشيرتهم ابتغاء مرضاة الله تعالى ، استقبلهم إخوانهم الأنصار استقبالا حافلا ورحبوا بهم ترحيبا حاراً ، تقاسموا أموالهم وآثروهم على أنفسهم ولو كانوا في حاجة ماسة .

إن هذه حقيقة الأخوة الإيمانية والصدقة الربانية في المجتمع الإسلامي . وأن هناك ولاية حقيقية بين المهاجرين والأنصار يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أَلَيْكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَعِيرٌ ﴾ (الأنفال / ٧٢) . لقد نعت هذه الآية الكريمة على أن المقياس في الولاية هي الهجرة في سبيل الله تعالى ، والتجمع تحت راية واحدة . هي راية الإسلام وقيادة واحدة ، قيادة النبي صلى الله عليه وسلم ، حفاظاً على العقيدة ، والدين ، جهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى .

إن هاتين الفئتين من المؤمنين الصادقين في إيمانهم : المهاجرين
والأنصار ، قد اشتركوا في الجهاد في سبيل الله تعالى وفي بنـاء
المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية ، وبذلك استحقوا صفة السابقين
ورضوان الله تعالى والفوز العظيم . وأما الذين آمنوا ولم يهاجروا
مع المهاجرين الأولين ، تعلقاً بديارهم وأموالهم وكان بإمكانهم
الهجرة - فإن الله تعالى لم يجعل بينهم وبين إخوانهم المهاجرين
والأنصار حق الولاية ، لأنهم لم يضحوا من أنفسهم ولا من أموالهم ولا من
ديارهم من شيء في سبيل الله تعالى لضعف إيمانهم وعقيدتهم .

«
ويقول في ذلك الإمام الرازي رحمه الله تعالى في مفاتيح الغيب
: " وقوله تعالى ﴿ مالكم من وليتهم من شيء ﴾ يوهم أنه لما لم
يهاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سقطت ولايتهم مطلقاً ، لـ
هاجروا لعادت تلك الولاية وحصلت " (ج ١٥ ، ص ٢١٠) .

ومع ذلك إذا استنصروا المؤمنين في الدين ، فعليهم معاونتهم
ومناصرتهم ، لأنهم أخوانهم في الدين والعقيدة . مهما كانوا ضعفاء
في عقائدهم وإيمانهم ، والمقصرين في أعمالهم وفي تطبيق مستلزمات
دينهم . وفي ذلك يقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :
" إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب
عنكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم ، فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم
إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم
عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته " ج ٨ ص ٥٧ .

وبعد الحديث عن الولاية بين المهاجرين والأنصار جاءت الآيات
تذكر أن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، وأن الولاية بين المؤمنين
والكافرين مقطوعة . قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (الأنفال / ٧٣) .

ولاشك أن الكافرين على اختلاف أجناسهم وألوانهم يتناصرون فيما -

بينهم، ويجتمعون لحرب المسلمين في كل فرصة، لأن الكفر ملة واحدة. يشتركون في عداوة الإسلام والمسلمين وفي كل شيء إسلامي، فإن القاسم المشترك عندهم هو الاعتداء على الإسلام، هذا ما حدث في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من تضامن اليهود مع المشركين في عداوة الإسلام والمسلمين. ولقد اشترك الكفار طوال التاريخ في عداوة الدين الإسلامي ومايزالون يشتركون، إن في ذلك لذكرى للذاكرين ولعبرة للمعتبرين.

إن مكانة السابقين من المهاجرين والأنصار في هذا الدين مكانة عظيمة تسابقوا في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمته ورفع شأنه ببذل النفوس والأموال، بمفارقة الأهل والأوطان. وبذلك حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد، وحقق الله إيمانهم بالمغفرة ورزق كريم.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ الأنفال/ ٧٤.

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى فضل المهاجرين الأولين والأنصار، ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين الأولين في الفضل مع تفاوت الدرجة، لأنهم تأخروا في الهجرة، ولم يستحقوا ثواب الأوليين السابقين.

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال / ٧٥)

ويقول المفسرون أن هؤلاء الذين آمنوا من بعد وهاجروا من بعد الحديبية وبيعة الرضوان ؛ (القرطبي ج ٨ ، ص ٥٨ والخازن ج ٣ ، ص ٥٥)

ولقد تناولت هذه الآيات الكريمة مجموعة من الأحكام نلخصها فيما يلي :

١ - إن الهجرة في الإسلام مسألة إيمان ، والإيمان الصادق يستلزم الهجرة إذا اقتضى الأمر إلى ذلك .

- ٢ - الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام واجب على المستطيع .
 - ٣ - وجوب الولاء بين المسلمين مهما بعدت أقطارهم واختلفت أجناسهم
 - ٤ - المؤمن الذي يقدر على الهجرة من دار الكفر إلى دار الاسلام ولم يهاجر، يكون آثماً وعاصياً عند الله تعالى وتنقطع الولاية بينه وبين المسلمين .
 - ٥ - إن الكفر ملة واحدة ، غرضهم واحد ، وهو النيل من الاسلام والمسلمين
 - ٦ - إن طريق الفوز والنجاح وكسب رضوان الله تعالى لا يتحقق إلا بالإيمان والجهاد في سبيل الله تعالى بالنفس والمال وبكل ما يملك من إمكانيات .
 - ٧ - السابقون في أي عمل خير لهم أجر كبير وفضل جليل .
 - ٨ - وجوب مقاطعة الكافرين وعدم موالاتهم لانه من مستلزمات الايمان ومقتضيات الاسلام .
- وقد تبين مما سبق على أن الهجرة في سبيل الله تعالى من أصل الجهاد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو فاتح هذا الباب بأمره وفعله ، والهجرة إعلان حرب على الشرك وأهله ، ولن تنقطع الهجرة إلى يوم القيامة مادام أن هناك حق وباطل .

المبحث الثانى

منهج تربية المجاهدين فى سورة الأنفال

إن سورة الأنفال نزلت إثر غزوة بدر الكبرى التى فرّق الله تعالى بها بين الحق والباطل ، فهى أعظم انتصارات الإسلام ، وهى الفتح الأعظم الذى أعزّ الله به الإسلام والمسلمين وهى النصر الذى توجّ الله به جبين نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم . إن أهل بدر أعظم منزلة عند الله تعالى ، فقال الله تعالى فيهم : ﴿ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ البخارى كتاب الجهاد رقم ٢٨٤٥ ، لأنهم فتحوا مجال الدعوة الإسلامية إلى يوم القيامة ، لقد كسروا الشرك وأهله بقوة إيمانهم ورسوخ يقينهم بعد تأييد الله تعالى لهم بنصره فى المعركة الفاصلة معركة بدر الكبرى التى نعيش اليوم تحت ظل نتائجها . إن هؤلاء الرجال لم يوجدوا عفوا ولا مصادفة ، ولم يظهروا فجأة دون تكوين وإعداد وإنما أعدوا إعدادا وأخرجوا إخراجا فى مدرسة القرآن الكريم وفى مدرسة النبى صلى الله عليه وسلم بمنهج إلهى وبمنهج نبوى .

ولاشك أن الإعداد لا يتم إلا بالمنهج ، والمنهج له أساليبه وطرقه ، ولقد تطرقت هذه السورة الكريمة - سورة الأنفال - إلى بيان بعض محتوى هذا المنهج وأساليبه وطرقه ، لأن هذه السورة الكريمة سميت بسورة الجهاد وسميت بسورة بدر كما سبق بيانه - وهى تحدّثت عن وقائع غزوة بدر الكبرى بالتفصيل .

وعند دراستنا لوقائع هذه الغزوة بمقدماتها ونتائجها فى كتب التاريخ والسيرة النبوية الشريفة نرى أن هؤلاء الأبطال نشؤا وتربوا فى ظلّ منهج إلهى ربّانى وتحت قيادة نبوية حكيمة

ولقد تطرّق الباحث فى بداية هذا الفصل إلى بيان بعض المفاهيم -

الجهادية في السورة من أهداف ، وآداب ، وأساليب ، والآن يقوم ببيان هذا المنهج ، منهج تربية المجاهدين كما جاء في هذه السورة الكريمة .

١ - تربية النفس بالعبادات المفروضة مثل: الصلاة والزكاة..والنافلة ، لأنها أفضل القربات إلى الله تعالى، وهي الغاية التي خلق الإنسان لأجلها، والذكر باللسان والقلب في العسر واليسر ، لأن الذكر يحيي القلب الميت ويتأكد ذلك في المواقف الصعبة مثل : ساحة القتال وحين البأس ، وتلاوة القرآن الكريم لتزداد النفس إيماناً وتمديقاً وبقيناً . والاستغفار والتوبة والإنابة والرجوع إلى الخالق بكل كيانه ووجوده. وطلب العون والنصر من الله تعالى والدعاء له في السر والعلن ، لأن الدعاء مخ العبادة. ولقد رأينا في بداية الفصل - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه قبل معركة بدر الكبرى حتى سقط رداً الشريف .

٢ - تربية النفس على طاعة الله تعالى وطاعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة فيما أحبّ وكره ، في المنشط والمكسر في العسر واليسر لأن حقيقة الإيمان تقتضي ذلك ، فلا يكون المرء مؤمناً كاملاً إلا إذا استكمل الطاعة بكاملها ، فلا شك طاعة ولاية الأمور من المسلمين تعتبر من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في المعروف .

٣ - تربية النفوس على الوحدة. والاتحاد وعدم التفرق والتنازع والاختلاف. دين الاسلام دين الوحدة. والاتحاد ودين الجماعة ، ولذلك أمر بالوحدة. والإعتصام بحبل الله جميعاً، ونهى عن التفرق والتنازع والاختلاف ، لأن الاختلاف في كل وقت، وخاصة في موطن الحرب يؤدي إلى الفشل وإلى ذهاب القوة والدولة بالتعبير القرآني . قال تعالى : * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * (الأنفال / ٤٦) .

٤ - تربية النفوس على التحلى بفضائل الأخلاق : مثل الإخلاص فى الأعمال كلها ، الصبر والثبات والصدق ، والأمانة والتوكل على الله تعالى بعد الأخذ بالأسباب والإحسان والإصلاح .

إن الإخلاص رائد الدعوة الإسلامية ، فإن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً له ، والصبر مفتاح النجاح ، فهو محمود فى كل المواطن ، وخاصة عند اللقاء مع الأعداء ، إن الصدق والأمانة من أهم صفات المؤمنين والمؤمنات لا يكون إلا صادقاً وأميناً ، والإحسان فى المعاملة ، كما أحسن المؤمنون بالأسرى بعد غزوة بدر الكبرى لوصية نبيهم المعطى صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأسرى . والإصلاح بين الناس لجمع الكلمة وتوحيد الأمة الإسلامية ، وتربية النفوس بالتخلّى عن الرذائل وسوء الأخلاق مثل الكذب والخيانة ، خيانة الله تعالى وخيانة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنها من صفات المنافقين ، لاتليق للمؤمنين فى حال من الأحوال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال / ٢٦) . وأما الكسل وهو التواكل مذموم فى الشرع ومانع من موانع الجهاد فى سبيل الله تعالى .

٥ - تربية النفس على عدم كراهية الحق وعدم المجادلة فيه بعد تبينه ، لقد خرج المسلمون لهذه المعركة على غير موعد وبدون أعداد ، فإنهم خرجوا لغير قريش ولما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للقتال كره بعضهم وأخذوا يجادلون الرسول صلى الله عليه وسلم فى القتال ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرِهُونَ جُرَاجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (الأنفال / ٦٥)

والقرآن الكريم يصف لنا حالتهم النفسية بعبارة ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ وذلك خوفاً ورعباً من القتال ولعدم استعدادهم للمعركة . فكان الواجب عليهم رضى الله عنهم جميعاً عدم كراهية القتال فى سبيل الله تعالى بعد أن وعد الله تعالى لهم النصر وبشرهم نبيهم بإحدى الطائفتين .

فلا ينبغي الكراهية في الحق ولا المجادلة فيه ، لأنه الحق وإنما الكراهية في الباطل .

٦ - تربية النفس على اختيار الأفضل في أمور الخير عامة وفلسى الجهاد خاصة. لقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بإحدى الطائفتين أما العير وأما النصر على قريش ، إنهم أرادوا العير ولكن الله أراد لهم النفير ، حيث انتصروا في المعركة ورجعوا غانمين سالمين جامعين بين النصر والغنيمة . وما أراد الله تعالى للمؤمنين كان خيرا مما أرادوه لأنفسهم * وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . لِيَحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * (الأنفال/ ٧ - ٨) .

لابد للمؤمن من اختيار الأفضل في سبيل الله تعالى ولا يرضى باليسير .

٧ - تربية النفوس على الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى بكل غال ونفيس وذلك بتحبيب الشهادة والموت في سبيل الله تعالى وبعدم الخوف من الموت . وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قبل الالتحام " والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .. " .

ولهذه الكلمة المباركة كانت أثر كبير في تقوية معنويات المجاهدين لأنهم استعذبوا الموت في سبيل الله تعالى .

إن عمر الانسان مهما طال لابد له من نهاية ، فلا بد له أن يموت ، فللعقل أن يختار أشرف أنواع الموت .

«وأفضله ، ألا وهو الموت في سبيل الله تعالى فلا بد من تربية النفوس على تحبيب الشهادة في الله ، وبدون هذه التربية فلا يتوقع من المرء أن يفتدى نفسه بكل غال ونفيس لأن نفس المرء غالية ، فهي أغلى شيء للانسان ، فلا بد لفداءها وتضحياتها من مقابل أغلى منها بكثير .

٨ - تربية النفوس على الإنفاق فى سبيل الله تعالى بدون تردد .
 وذلك : بتعويدها على الإيثار والكرم وإبعادها من البخل والشح ، أن
 الانفاق مظهر من مظاهر الشكر لله تعالى على ما أنعم من النعيم فلا بد
 للمؤمن من الانفاق فى سبيل الله تعالى شكرا لله تعالى ولتطهير نفسه
 من البخل والشح وحب الدنيا وذلك بتعويدها على الكرم والإيثار والبذل
 دون خشية الفقر ، لأنه من لا يقدر أن يضحى شيئا من ماله فلا يستطيع
 أن يضحى بنفسه ، ولأجل ذلك أن الله تعالى قدّم الجهاد بالأموال على الجهاد
 بالأنفس فى كثير من الآيات القرآنية .

ولقد أمرنا الله تعالى فى هذه السورة بالإعداد الشامل للجهاد
 * وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة * والاعداد لا يتم إلا بالانفاق وفى
 الإنفاق تربية النفوس وتركيتها ، قال تعالى * خذ من أموالهم صدقة
 تطهرهم وترزقهم بها * (التوبة / ١٠٣) .

٩ - نزع حب الدنيا ومتاعها من قلوب المؤمنين والقتال لأجل
 المادة ، وتوجيه المؤمنين إلى القتال فى سبيل الله لعلهم
 ورفع شأنه جل جلاله ، وقد رأينا عند حديثنا عن أسباب النزول اختلاف
 الصحابة الكرام فى أمر الغنائم ونزول الآية الكريمة لحل هذه المشكلة
 وعلاجها علجا حكيما .

١٠ - تربية النفس المؤمنة على العزة والكرامة والشجاعة ، لأن
 العزة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين . المؤمن
 يعيش عزيزا كريما فلا يقبل الذل والهوان ولا يستسلم للأذلاء وإنما يذلهم
 بعزته وكرامته . ولأجل ذلك أمر الله تعالى تأديب الناكثين عهدهم
 من اليهود وغيرهم ، فلقد أمرهم بقتالهم وتنكيلهم بعد تثقيفهم فى الحرب
 عبرة لمن يعتبر وحتى لا يطمع غيرهم فى نقض عهد ، قال تعالى :
 * الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ فَاِمَّا
 تَتَّقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشِرْدِبِمْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّكُمْ يَذْكُرُونَ * (الأنفال / ٥٦ - ٥٧) .

١١ - تربية النفس على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :
 ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من سمات هذه الامة ، ومن
 أكبر معيَّزاتها الأساسية، فهو يتضمن الدعوة إلى الدين وتبليغه إلى الناس
 سواء كانت داخل المجتمع الاسلامي أو خارجه، والجهاد نوع منه ، بل هو
 أعلى فروع .

ان السكوت على المنكر جريمة كبرى ، فإذا عم المنكر في مجتمع
 وشاع ولم يقف الصالحون ينكرونه ويقاومونه، فان عقوبته تعم المجتمع
 كله ، لأن واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب جماعي لا فردي .
 واليه أشارت الآية الكريمة : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
 خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الانفال / ٢٥) .

ومن هنا لابد من تربية النفوس تربية جهادية جماعية ، فإذا أهمل
 بعض الناس في المجتمع الاسلامي فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى
 وقعدوا عنها فان أضرار تركها تعم المجتمع كله ، لأن الجهاد يتعلق
 بمصير الامة كلها ، إيجابا وسلبا .

١٢ - تربية النفوس تربية جهادية جماعية وذلك بالمشاورات والأخوة
 الإسلامية لسلامة الدعوة الإسلامية ونعمرتها بجميع الخبرات والطاقات
 والقدرات . ولقد رأينا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم استشار
 الصحابة الكرام في قتال القوم في بدر ، وعند اختيار المعسكر وعند
 شأن الأسرى ، والنبي صلى الله عليه وسلم غنى عن مشاوراتهم لأنهم
 موئيد بالوحي ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطيب نفوسهم
 ويعودهم على التفكير الجماعي والعمل الجماعي حتى يقتدوا به في
 أمورهم عامة وفي المواقف التي تتعلق بمصير الامة الإسلامية - مثل
 الجهاد - خاصة .

أن مسألة الأخوة الإسلامية ، أخوة إيمانية بحته ، خاصة الأخوة
 التي جعلت بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

إن هذه الروح هي التي جعلت المسلمين أمة واحدة، تحت هدف واحد تجاهد .
 في سبيل الله تعالى بعد أن كانوا في أشد التفرقة والفتنة .

إن قوة الأخوة الإيمانية هي التي دفعت المؤمنين إلى أن يتركوا
 بلادهم وأموالهم وأهليهم مهاجرين في سبيل الله تعالى ليشركوا إخوانهم
 في الجهاد وفي بناء مجتمع إسلامي ، وهي التي دفعت الأنصار إلى أن يشاركوا
 أموالهم مع إخوانهم المهاجرين في سبيل الله تعالى .

ولاشك أن موقف المهاجرين والأنصار في الأيثار والكرم والفداء والتضحية
 موقف مثالي في التربية الجهادية التي بلغت الذروة .

١٣ - تربية النفس بمجاهدة الشيطان الذي يريد أن يفسد للمجاهد نيته
 وعمله بكل الوسائل والأساليب ، ولا يتركه بحال من الأحوال. ولقد رأينا
 أن اللعين كيف اشترك مع المشركين في المعكر على النبي صلى الله عليه
 وسلم قبل الهجرة وكيف اشترك أيضا في غزوة بدر الكبرى لتقوية معنويات
 المشركين وكيف وسوس لخواطر بعض المؤمنين ليلة بدر .
 فعلى المجاهد في سبيل الله تعالى أن يجاهد هذا العدو بسلاح الإيمان
 والتقوى والاستعاذة بالله تعالى والذكر والدعاء .

١٤ - تربية النفس بمجاهدة المنافقين الذين يعيشون داخل المجتمع
 الإسلامي فالواجب على المجاهد في سبيل الله تعالى أن ينتبه إلى أحوالهم
 وأساليبهم ومكرهم لأنهم أشد خطرا على المسلمين من غيرهم، لوجودهم في قلب
 الأمة الإسلامية وكم خذلوا المسلمين في المواقف الصعبة وفي ساحات القتال ،
 وكم نشروا من الإشاعات المفسدة، بين المؤمنين وزرعوا بذور الفتنة في
 الصف المسلم .

١٥ - تربية النفس على الشعور بأهداف الجهاد في سبيل الله تعالى ،
 لأنه إذا لم يتحقق هذا الشعور لدى المسلم فلا يتوقع منه الفداء والتضحية
 فلا يسمى عمله جهادا مهما كان . لأن الجهاد في الإسلام شرع لإعلاء كلمة الله
 تعالى . ولقد رأينا في السورة الكريمة أن هدف الجهاد في الإسلام بين ظاهر
 كالشمس لا يخالطه شيء من الأغراض الخسيسة ، لأنه شرع للأغراض النبيلة والبواعث
 السامية .

الفصل الرابع

واجب المؤسسات التربوية في التربية الجهادية

- المبحث الاول : واجب الأسرة في التربية الجهادية .
- المبحث الثاني : واجب المدرسة في التربية الجهادية .
- المبحث الثالث : واجب المسجد في التربية الجهادية .
- المبحث الرابع : واجب وسائل الإعلام في التربية الجهادية .

المبحث الأول

واجب الأسرة في التربية الجهادية

ويشتمل هذا المبحث على :

- مقدمة عامة فى مكانة الأسرة فى التربية .
- الخطوات النظرية فى واجب الأسرة فى التربية الجهادية وهى :
 - ١ - ترسيخ عقيدة الإسلام فى نفوس الناشئة .
 - ٢ - تحلية نفوس الأولاد بالأخلاق الحسنة .
 - ٣ - تربية الأولاد على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة ولاة الأمر فى المعروف .
 - ٤ - تربية الناشئة على الوحدة، والاتفاق وعدم التفرق والإختلاف .
 - ٥ - تربية الناشئين على تحمل المسئولية الفردية والجماعية .
 - ٦ - تربية الناشئة على العزة والكرامة والرجولة والشجاعة .
 - ٧ - تعويد الناشئة على التقشف .
 - ٨ - تعويد الناشئة على النظام .
 - ٩ - تبصير الأولاد بحقيقة الجهاد فى الإسلام .

الخطوات العملية فى واجب الأسرة فى التربية الجهادية وهى :

- ١ - أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم فى حياتهم وسلوكهم الجهادية .
- ٢ - تحفيظ الولد سورة الانفال ، والتوبة ، والأحزاب وسورة محمد صلى الله عليه وسلم ونحوها أخرى من الكتاب والسنة والمتعلقة بالجهاد .
- ٣ - دراسة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامى للإطلاع على سيرة الحركة الجهادية وبيان المواقف الجهادية التى وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابه الكرام والمؤمنون المجاهدون من بعدهم .
- ٤ - تعويد الناشئة على الإنفاق فى سبيل الله تعالى منذ صغرهم .
- ٥ - الحفاظ على صحة الناشئة وتربيتها جسميا وعقليا ونفسيا .
- ٦ - الإهتمام بشئون المسلمين عامة وبالقضايا الإسلامية الراهنة خاصة .

مكانة الأسرة فى التربية

الأسرة هى المؤسسة الأولى التى يقع على عاتقها مسئولية تربية الناشئة ، وهى المعقل الأول الذى ينشأ فيه الطفل ، وهى مسئولة عن بناء اللبنة الأولى فى مستقبل أطفالها .

فبالأسرة توفر للطفل المأكل والمشرب والملبس ، وفيها ينمو جسمه ويتعلم فيها اللغة والتعبير ويستقى الطفل عاداته وتقاليده وأخلاقه ودينه وطباعه من الأسرة وذلك تبعاً لمستواها الدينى والاجتماعى والثقافى والاقتصادى، ولاشك أن علاقة الأبوين تؤثر تأثيراً كبيراً على الطفل ولذلك أن الطفل يحاكي والديه، لأنهما المثل الأعلى فى نظره وهما القدوة فى سلوكه وتصرفاته ، فالبيت يتولى رعاية الفرد وتنشئته فى أخرج الفترات وأعماقها آثاراً فى بناء شخصيته ، وتكوين اتجاهاته وأفكاره وأخلاقه وقيمه فى كل ميدان . إن البيت يتدارك بسرعة الانحرافات فى الفترة المبكرة من حياة الطفل قبل أن تتشعب جذورها وتتفرع أغصانها ، فان إهمال تلك الانحرافات فى الوقت المبكر يؤدى إلى بروز مشاكل عديدة فى حياة ذلك الطفل وفى أسرته، ولذلك ينبغى لأفراد الأسرة أن يكونوا على دراية ووعى بمطلبات التوجيه السديد والتربية العشرة والتهذيب المستمر ليحلوا المشكلة الواقعة أو المتوقعة فى حينها بمعالجة حكيمة وبأساليب ملائمة لطبيعة الطفل ومستواه العقلى والنفسى .

ولقد ازدادت مسئولية الأسرة فى هذه الأيام مع تعاظم تعرض الطفل للمؤثرات الخارجية الموجودة فى المجتمع وآلتى يمكن حجبها عن الناشئة بسهولة ويسر . ولكن مهما كان دور وتأثير تلك المؤثرات الخارجية كبيراً وفعالاً فإن دور الأسرة فى مكان الإدارة فى كل حال وفى كل زمان، فإن دورها ورسالتها باقية مابقى الجنس البشرى على وجه الأرض ، وهى التى تقوم بالمحافظة على الناشئة وترعاها وتعلمها

وتطبعها حسب ماتريد ، وحسب ماتشاء بعد مشيئة الله تعالى .

ولذلك حمل الاسلام الوالدين مسئولية تربية الأولاد مسئولية كاملة طول الحياة - دون النظر إلى السن أو أية اعتبارات أخرى - وأكسده على ذلك فى مرحلة الطفولة والتميز والشباب لكونها مراحل التعليم والتربية والتنشئة .

يقول الله تعالى لبيان هذه المسئولية الكبرى التى هى من أعظم المسئوليات والملقاة على عاتق الوالدين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (سورة التحريم/٦)

إن هذا الخطاب الالهى وإن كان موجها إلى كل المؤمنين الذين يتحملون المسئولية فى مجال التربية والتعليم فإنه يؤكد مسئولية الأبوين لكونهما الجذر الاساسى فى تربية الأولاد وتنشئة الأبناء .

ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل الوالدين مسئولية تربية الأولاد فى حديث جامع شامل يحدد مسئولية كل فرد فى المجتمع الاسلامي .

روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كلکم راع وكلکم مسئول عن رعیتہ الإمام راع ومسئول عن رعیتہ ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعیتہ والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى ماله سيده ومسئول عن رعيتہ ، وكلکم راع وكلکم مسئول عن رعیتہ " (متفق عليه ، البخارى : كتاب العتق ، رقم ٢٤١٦ ، ومسلم : كتاب الامارة رقم ١٨٢٩) .

إن هذا الامر النبوى قاعدة أساسية فى تحمل المسئوليات والإختصاصات بحيث لايبقى من أفراد المجتمع إلا وهو يتحمل نوعا من المسئولية : مسئولية أمام ربه ، مسئولية أمام إخوانه المسلمين ، مسئولية ، أمام -

مجتمعه وأمته . ولاشك أن مسئولية الأبوين فى تربية أولادهم فهى من أهم المسئوليات وأكبرها يحاسبون عليها فى الدنيا والآخرة . لأن الطفل يتلقى تربيته الأولى فى الأسرة التى يعيش فيها ويتشرب بسلوك الوالدين وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم وطراز حياتهم ويسلك سلوكهم فى كل شيء حتى فى الدين .

وإليه يشير قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟) . ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم : ﴿ فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لِتَبْدِيلِ لَخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البخارى : كتاب الجنائز رقم ١٢٩٣ مسلم كتاب القدر رقم ٢٦٥٨ والآية : سورة الروم : ٣٠) .

فى هذا الحديث الشريف بيان على أن الطفل حين يولد يولد على الفطرة السليمة والنشأة الطيبة والعقيدة السليمة لقبول الحق والخير كاملة ، ولكن المؤثرات الخارجية حوله متمثلة فى الأسرة والمجتمع والمدرسة هى التى تفسد فطرته ، إن البيئة التى يعيش فيها هى التى تلوث طبيعته وخلقها واستعداداته ولاسيما أبواه فهما سبب صلاحه وشقاوته .

ويفهم أيضا من هذا الهدى النبوى الكريم أن واجب الأبوين هو المحافظة على فطرة الطفل لئلا ينحرف ويضل ثم تنشئته على العقيدة الإسلامية السليمة مندفعاً نحو حياة الفضيلة والكمال .

والجدير بالذكر أن واجب الأبوين لا ينتهى فى البيت وإنما يجب عليهم أن يراعوا تربية أولادهم خارج البيت أيضا ، لأن تربية الطفل لا تتم غالباً فى البيت ، وإنما تتم فى البيت والمسجد والمدرسة والمؤسسات الأخرى التى لها تأثير قوى فى تربية الناشئة وتنشئتها ، وبعبارة أخرى أن التربية تتم فى البيئة ووسط اجتماعي ولا بد للوالدين أن يراعوا تأثير البيئة على تربية أولادهم وتعليمهم .

وسوف نركز في دراستنا هذه إن شاء الله تعالى على دور الوالدين فقط في تربية أبناءهم تربية جهادية وإن كانت في أسرة أفراد أخرى مثل: الأخوان الكبار ، والجدّ والجدّة الخ .. إلا أن الوالدين هم الأساس في هذه العملية ، وهذا لا يعنى أن الأفراد الآخرين ليس لهم دور في التربية ، وإنما لهم دور أيضا ولكنهم أقلّ تأثيرا في ذلك إذا قسناهم بدور الأبوين .

ومن خلال الصفحات التالية يمكن لنا أن نحدّد واجب الأسرة في التربية الجهادية .. وهذا وفق تصورنا الشخصي لهذه العملية الجلييلة - إن شاء الله تعالى . وبالله نستعين .

١ - ترسيخ عقيدة الإسلام فى نفوس الناشئة :

العقيدة. هى أساس الدين الاسلامي ، فمن أجلها أرسلت الرسل والأنبياء ، وأنزلت الكتب السماوية ، ومن أجلها جردت السيوف لإزاحة العقبات فى سبيل الدعوة إليها ، ومن أجلها خلق الانس والجن والجنة والنار ...

وهى الركيزة الأساسية لدخول الانسان فى حظيرة الايمان ، وهى كالقاعدة. للبناء ، فأى بناء لايقوم على أساس عميق وثابت سرعان ماينهار ، كذلك كل من ليست عنده. عقيدة. راسخة وايمان راسخ فى أعماق قلبه ومصدره فإنه معرض للشبه والشكوك ومن ثم الخروج والعياذ بالله - عن دأثرة الايمان ، ثم لاقيمة لأعمال الانسان ولا أعتبار لها فى ميزان المولى جل جلاله - مهما كانت إنسانية ونافعة - إذا لم تكن مبنية على العقيدة. الإسلامية الصحيحة .

ولذلك ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم طيلة ثلاثة عشر عاما لترسيخ عقيدة. الإسلام فى النفوس ونبذ كل ما يخالف فى الأذهان والعقول وظل النبى صلى الله عليه وسلم طوال هذه الفترة يعمل على تحرير الناس من عبودية غير الله تعالى بأساليب مختلفة ، وعلى تلقين معنى كلمة (لا إله إلا الله) وادخالها فى نفوس الناس . وهذه الكلمة لها مدلولات والتزامات ومسئوليات كبيرة ، وهى التى تميز المسلم من الكافر. وهذه الكلمة هى التى تقوم عليها بناء الإسلام ودولة الاسلام. وكذلك القرآن المدنى لم يكتف بالتشريعات فحسب بل ذكر المؤمنين بالعقيدة. من حين لآخر للتذكير والتقوية والتنبيه ليعلم المسلم أن تشريعات هذا الدين وتنظيماته كله إجمالاً وتفصيلاً منبثقة من العقيدة. الإسلامية وأنها لاتنفك منها بحال من الأحوال .

وهذا هو السبيل الذى يجب أن يسلكه الدعاة إلى الله تعالى والمربون البدء بغرس العقيدة. الإسلامية الصحيحة فى النفوس أولاً وقبل كل شيء ، وإلا فإن الجهود كلها تذهب سدى . لأن الأعمال كلها من عبادة. وأخلاق ومعاملات مبنية

على العقيدة، الإسلامية والإيمان بالله تبارك وتعالى . فلا يتوقع من المرء أن يؤدى العبادات وأن يتخلق بخلق حسن وأن يحسن معاملته مع الناس إذا لم يستقر الإيمان فى قلبه وجوارحه وكل كيانه .

ولاشك أن العقيدة، السليمة الصافية المخلصة هى التى تدفع الفرد للقيام بالأعمال الصالحة فى رسوخ ويقين وطمأنينة . وبعبارة أخرى إن العقيدة، الصحيحة يتبعها سلوك صحيح . لأن العقيدة، هى الأصل فى قبول الأعمال كما أسلفنا .

والجدير بالذكر أن الإيمان الراسخ يمنح صاحبه الثقة والصدق والوفاء ومحبة الآخرين ويمنحه البعد عن المعاصي والآثام ، كما يمنحه التضيقة والايثار والفداء . فالإنسان المؤمن يشعر أن نفسه وماله ملك لله تبارك وتعالى وقد اشتراها الله تعالى منه مقابل الجنة .

وخلاصة القول أن الإيمان بالله تعالى أكبر نعمة من الله تبارك وتعالى على عبده . ، فالإيمان نعمة لاتعدلها نعمة أخرى ، ولا يقدر بثمن ، وهو يدفع المؤمن للقيام بالأعمال الصالحة قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ سورة العصر . حكم الله تعالى بالخسارة على جميع الناس إلا من اتصف بهذه الصفات الأربعة وهى التحلى بالإيمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . أن مجرد الإيمان بلا عمل يؤدى بصاحبه إلى الهاوية ، إذ سرعان مايذول ويفزع ويترك صاحبه بلا زاد يوم يقوم الأَشهاد . كما أن الأعمال الصالحة لا اعتبار لها ولا قيمة فى قنطرة الإسلام إذا لم يتقدمه الإيمان فبى النفس واليقين الصادق فى القلوب .

وبهذا تبينت أهمية غرس العقيدة، الإسلامية والإيمان بالله تبارك وتعالى جملة وتفصيلا فى قلوب الناشئة منذ نعومة أظفارهم من قبل آبائهم وأمهاتهم ومن يلى بتربيتهم وتنشئتهم فى الأسرة .

ومن البديهي في التربية الإسلامية أنه ينبغي أن يكون الأبوان مسلمين متمسكين حتى يمكنهما تربية أبنائهما تربية إسلامية صحيحة ، ثم هذا لا يكفي وحده ، إذا لم يكن الوالدان صاحبى قضية ودعوة ورسالة ، أعنى بذلك أن يكون لديمهما العزم والقصد على تربية أبنائهما وتنشئة أفلاد أكبادهم تنشئة صالحة طيبة .

فكل مسلم يعرف أن أركان الإيمان ستة كما جاء في حديث جبريل عليه السلام فيما رواه مسلم عن عمر رضى الله عنه : وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره . (كتاب الإيمان رقم : ١٠٠٩) .

إن الإيمان بالله الواحد الأحد إذا تعمق في نفس الطفل يعتقد في أعماق قلبه ومشاعره أن الله تبارك وتعالى يسمعه ويراه حيثما كان ، يعلم سرّه ونجواه ، فبهذا الاعتقاد وبهذا الشعور يتحرر الطفل من ربقة الهوى والشيطان .. ويتحلى بالمراقبة لله ، والإخلاص له ، والاستغاشة به ، ويندفع بكيانه كله إلى الأعمال الصالحة بإتقان وأمان بعيدها عن الرّياء والسّمعة .

ولكل ركن من أركان الإيمان أثر مشرق وفائدة ، خاصة ، تنعكس على تصوّرات المؤمن وسلوكه في الحياة ، فلا بد من أركان الإيمان جميعاً وإلا كان الإيمان ناقصاً والنقص في الإيمان يؤدى إلى الخروج عن ملّة الإسلام .

وكذلك أركان الاسلام ولها أثر كبير وفائدة عظيمة تنعكس على تصوّرات الطفل وسلوكه ومشاعره وأخلاقه ومعاملته في المجتمع . وفيما يلي بعض تلك الآثار :

إن الصلاة صلة بين العبد وربّه ، وتركيزية لنفس المؤمن طهارة لروحه ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، إن هذه الآثار متعلقة بالفرد . وأما آثاره الاجتماعية كثيرة لاتحصى لأنها تقام في الجماعة . ففيها تربية للفرد والجماعة .

وكذلك الزكاة ولها أثر كبير في تركية النفوس وتطهيرها .

ويقول يوسف القرضاوى فى مشكلة الفقر (١٤٠٤ هـ) : (أن الزكاة تطهر نفس الموءدي من أنجاس الذنوب وتزكى أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والظن ، إذ النفس مجبولة على الض بالمال ، فتتعوّد السّماحة وترتاض لأداء الأمانات وإعمال الحقوق الى مستحقيها ، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ سورة التوبة من الآية ، ١٠٣) ص ٧٤ .

وكذلك أثر الصيام ، فإنه يحرر الانسان من العبودية لشهواته ويعوّده على الإخلاص وتحمل المشاق ويغرس روح الإنسانية الأخلاقية فى الأمة فيشعر الغنى معننى الفقر وهو يعتبر بحق مدرسة وحدها لتربية الفرد والأمة تربية روحية واجتماعية .

وأما الحج فإنه تجرد كامل لله تعالى يعوّد النفس على تحمل المتاعب والمشاق ، والتضحية والتعاون والعبر والبذل والإنفاق فإنه جهاد العفير والضعيف والمرأة كما سبق بيانه فى الفصل الأول من هذا البحث .

وله آثار اجتماعية عظيمة تتمثل فى :

- ١ - يشعر الموءمن بالأخوة الدينية والمساواة بين أفراد هذه الأمة الإسلامية على اختلاف بلادهم وسنتهم وألوانهم .
- ٢ - يشعر الموءمن بالتكافل والتعاون والتضامن بين عباد الله تعالى .
- ٣ - يشعر الموءمن بقوة الموءمنين معنويا وماديا .
- ٤ - كما يشعر بعالمية الدعوة الإسلامية وشموليتها .

ولاشك أن هناك آثارا أخرى ندركها أو لا ندركها لأركان الايمان والإسلام تنعكس على حياة الفرد المسلم ، ولكن اكتفينا بهذا القدر لحصول المقصود . وبقي هناك سوءال . هو : كيف يمكن للوالدين أن يغرسوا فى نفوس أولادهم هذه العقيدة . وهذا الايمان ؟ ومتى ؟

فالواجب على الوالدين أن يلقنوا أولادهم كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)
 محمد رسول الله) أولا وقبل كل شيء في مرحلة الحضنة وهي قبل مرحلة
 الإدراك والتمييز - عندما يتكلمون ويعبرون عن أنفسهم وعندما يبدأون
 بتعلم الحسن من القبيح والضر والنافع من الأقوال والأفعال . لتكون
 كلمة التوحيد شعارا في الدخول إلى الاسلام، والحق أن لهذه الكلمة
 لها تأثيرها الكبير عندما يقرع سمع الطفل ، وعندما يعبر عنها
 لسانه في أول لحظة من حياته، يتشبع بحبها ويجدها في قرارة نفسه
 وأعماق قلبه كلما ترعرع وشب .

ويتبعها تلقين الأركان الأخرى للإيمان والاسلام بما يتلاءم تدرجاً
 مع المستوى العقلي وبما يتناسب مع عمره الزمني والروحي والاجتماعي
 ودرجة نضجه وتفتح الانفعالي والعاطفي وذلك ببيان آثار وحكم تلك
 الأركان في عقيد المؤمن . ولأن الطفل سيتقبل هذه كلها عندما
 يتعرف على آثارها وحكمها وفوائدها في حياته الدنيوية والأخوية .

وأما الطريقة في هذه المرحلة هي طريقة التلقين من الأبوين بأسلوب
 يتلاءم مع نفسية الطفل ومزاجه لأن الطفل في هذه المرحلة غير قابل
 لفهم الحقائق والظواهر الكونية المحيطة حوله ، ولا هو قادر أن يربط
 الأسباب بالمسببات ، لأن نضجه لم يكتمل بعد، لفهم الأسرار والدقائق في
 نفسه وفي الكون حتى يومئذ ويوقن عن حجة وبيان واقتناع تام .

وأما مرحلة التمييز والإدراك - وهي المرحلة التي تلي مرحلة الحضنة
 وتسمى في مصطلح علم النفس بمرحلة الطفولة المتأخرة - والتي تمتد
 من السادسة إلى البلوغ ، تختلف فيها طريقة غرس العقيدة في نفوس الأطفال .
 فعلى الأبوين في هذه المرحلة أن يغيروا أسلوبهم وطريقتهم في التربية
 بحيث أن التلقين وحده لا يكفي لإشباع حاجات الطفل ورغباته وكما لا يتلاءم
 مع مستواه العقلي ونضجه في كل النواحي .

ي
 »
 يقول في هذا العدد مقدار يالجين في كتابه جوانب التربية الإسلامية

" وتمتاز هذه المرحلة بأن الطفل يزداد نمواً من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية أكثر من المرحلة السابقة ، ويستطيع أن يتعلم أشياء كثيرة كما يستطيع أن يقوم ببعض الأعمال والواجبات والمسئوليات . ولهذا كانت هذه المرحلة أول مرحلة تربوية تعليمية . " ص ٥٩ .

وبجانب طريقة التلقين يجب على الوالدين أن يستخدموا في تلك المرحلة طريقة المحاكاة والتقليد كأسلوب تربوي لغرس أركان الدين في قلوب أبناءهم ، لأن هذه المرحلة مرحلة التعويد .

يقول الإمام الغزالي رحمه الله في الإحياء () :

" العصب أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش ، وماثل إلى كل ما يمال إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له وموعدب . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له ، وقد قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم / ٦) ، (ج ٣ ص ٦٩)

إن التعويد على الخير والأعمال الحسنة المرغوبة ، ضرورة لصلاح الطفل ، واستقامته في الدنيا والآخرة ، وإذا عودناه على هذا يصبح ذلك عادة عنده طول عمره ، ولا يشعر بالمشقة أثناء عمله ، لأنه تعدد عليه منذ صغره .

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة مقدمة لمرحلة البلوغ التي تكلف فيها الطفل بالعبادات والمسئوليات الدينية المختلفة ، ولابد من تعويده ، وتدريبه قبل أن يعمل سن التكليف الشرعي ، وذلك يساعده على ممارسة التكالييف الشرعية في سهولة ويسر وبدون أن يشعر بـمشقة ، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتعويد الناشئين على الصلاة وهم أبناء سبع سنين والضرب عليهم إذا قصرُوا في أدائها أو تهاونوا فيها - وهم أبناء عشر .

روى أبو داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مروا أولادكم بالصلاة

وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم
 فى المضاجع (كتاب الصلاة رقم ٤٩٥ ، حديث حسن) .

ولاشك أن الطفل إذا تعود على الصلاة وقام بها منذ نعومة أظفاره ،
 فإن آثارها ستنعكس على حياته فى المستقبل ، ويتربى كذلك على طاعة الله
 تعالى وتربية نفسه وروحه وخلقه وجسمه .

فالنشء حين يرى والده يملأ فإنه يحاكيه فى صلاته ويقلده . حتى
 قبل أن يدرك حقيقة الصلاة ، فإذا ما شب وترعرع وأدرك معنى الصلاة ، وقد
 أصبحت جزءاً من حياته وسلوكه فإنه يؤدّيها عن اقتناع وإيمان .

ولذلك يجب على الوالدين أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم فى التربية
 والتعليم خاصة فى المسائل الإيمانية وتعليم العبادات وغرس الأخلاق الحسنة ،
 وطريقة أخرى لغرس الإيمان فى قلوب الناشئة فى هذه المرحلة -مرحلة التمييز
 والادراك - هى طريقة التأمل والتفكير والتدبر فى مخلوقات الله تعالى
 وأما الأسلوب فى هذه العملية كما يقول عبد الله ناصح علوان فى كتاب تربية
 الأولاد فى الإسلام (١٤٠١ هـ) هى التدرج مع الأولاد من المحسوس إلى المعقول
 ومن الجزئى إلى الكلى ، ومن البسيط إلى المركب حتى يصلوا معهم فى نهاية
 الشوط إلى قضية إيمان عن اقتناع وحجة وبرهان " (ج ١ ص ١٥٥) .

وهذه الطريقة فى الوصول إلى الحقيقة طريقة القرآن الكريم وطريقة
 النبى صلى الله عليه وسلم ، والآيات القرآنية كثيرة فى ذلك لاتعد ولا تحصى .
 ولاشك أن هذه العملية تقتضى من الوالدين أن يكونا صاحبى معرفة وخبرة
 عن مدارك أبنائهم والفروق الفردية بينهم وعن نضجهم العقلى والجسمى
 وأن يتدرجوا فى هذه العملية التى تطلب الدقة فى الأسلوب والتعبير والتصوير ،
 كما يجب على الوالدين أن يستخدموا فى تلك العملية أنواعاً مختلفة من الأدلة
 للإقناع بأسلوب مناسب .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر أن هذه المرحلة من عمر الطفل مرحلة
 تعليمية مرحلة الابتدائية والمتوسطة ، ولابد من وجود التعاون والتنسيق

بين الأسرة والمدرسة لغرس هذه المفاهيم في نفوس الناشئة ، وأما دور المدرسة في هذه العملية فسوف نفرد له دراسة تفصيلية إن شاء الله تعالى .
ونخلص مما سبق أن واجب الوالدين لغرس العقيدة الإسلامية والإيمان
تنحصر فيما يلي :

- ١ - تلقين الولد بأصول الإيمان ومبادئ الشريعة الإسلامية منذ نعومة أظفاره .
- ٢ - أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم في هذه العملية ذات الحساسية والقيمة .
- ٣ - إرشادهم عن طريق التأمل والتفكير والتدبر في مخلوقات الله تعالى في هذا الكون العجيب .

ولاشك أن واجب الوالدين إزاء تربية أبنائهم لا ينتهي عند مرحلة ، ولا عند سن معين ، وإنما يدوم طوال حياتهم ، وإنما ركزنا في هذه الفقرة من دراستنا على المرحلة الطفولة ، لأن البيت كما قلنا هو المؤثر الأول في التربية ، لقضاء الأطفال أطول فترة من طفولته فيه ، وبحكم أن البيت هو أول من يقوم بتربية الطفل ويؤثر في عقيدته وسلوكه وتشكيله .

وبهذا يتبين أن ترسيخ عقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة منذ صغرهم من قبل آبائهم هو الأمل والأساس ، وأن هذه التربية لا بد من أن تتحقق في النفوس وتستقر ، وإلا فلا يتوقع من المرء أن يضحى أي شيء في سبيلها .

والجهد في الإسلام شرع لأجل العقيدة وحفظها ، وبالعقيدة والإيمان يأت النهر ويثبت الأقدام .

٢ - تحلية نفوس الأولاد بالأخلاق الحسنة :

إن الاسلام قائم على أسس أخلاقية ، والأخلاق وشيعة العلة بالإيمان ، بل هي شجرة الإيمان والعقيدة الصحيحة . والأخلاق تشمل جميع تصرفات الإنسان ، وكل مشاعرة وكل تفكيره ، فهي ليست محدودة بمساحة معينة ولا بعمل معين ، ولا يوجد في الاسلام عمل واحد يخرج عن دائرة الأخلاق . العبادات لها أخلاق والمعاملات لها أخلاق ، والعقوبات لها أخلاق ، وكل شيء له أخلاق. والقرآن الكريم كثيرا ما يندد بالأخلاق الجاهلية منذ أول نزوله إلى نهايته مع التنديد بفساد عقائدهم وبطلان تصوراتهم ، وفي ذلك دلالة واضحة على مدى أهمية الأخلاق في الدين الاسلامي ، وتعمقه إلى الجذور العقدية ذاتها ، وارتباط التصور الاعتقادي بالسلوك الأخلاقي ، ارتباطا وثيقا في جميع تصرفات المرء وفي شتى مناحي الحياة .

ويقول في ذلك الدكتور عبد الفتاح عاشور في كتابه منهج القرآن في تربية المجتمع (١٣٩٩ هـ) :

" ومما يؤكد العلة الوثيقة بين الأخلاق والعقيدة آيات الكتاب الكريم التي ربطت بين الإيمان والعمل هذا الرباط المحكم وجعلت الفعل الصادر عن الإيمان إنفعالا للنفس بما ينبغي أن يكون فيفعل وبما لا ينبغي أن يكون فيترك ، فأصبحت تصرفات المسلم راسخة متشعبة الجذور محكومة بأخلاق إلهية سامية وأصبح الإيمان والاسلام أخوين لا ينفصلان وكلاهما يعطي صورة الاخلاق القوية لمجتمع الاسلام (ص ١٨٣) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم لم يقتصر في منهجه على تنديد العقيدة الجاهلية وعاداتها وتقاليدها فقط ، وإنما أبرز بعناية فائقة ذلك الجانب السلوكي الأخلاقي الصحيح والناجم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة وثمرتها في الجانب العملي التطبيقي . ودعا بكل الوسائل والطرق

إلى ترسيخ الأخلاق الكريمة والحسنة فى نفوس المؤمنين •

وكان النبی صلی اللہ علیہ وسلم قدوة حسنة ومثلاً يحتذى به فى ذلك ،
 إذ مدحه القرآن الكريم على عظیم خلقه وكمال أدبه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
 عَظِيمٍ ﴾ (سورة القلم / ٤) . وكان صلی اللہ علیہ وسلم فى الذروة من الخلق
 والأدب ، كما كان تجسيدا حيا للخلق الاسلامي والأدب الرباني النبيل • ولقد
 ضرب أروع الأمثلة فى الخلق الحسن والتحلّى بالأخلاق الفاضلة الكريمة •
 وكان الصحابة الكرام رضى الله عنهم جميعا يتخلقون بأخلاق القرآن ويتأسون
 بأخلاق نبيهم وامامهم محمد صلی اللہ علیہ وسلم وأدبه وفضائله ، وكانوا يتبعونه ،
 ويقتدون به فى كل معاملاتهم وأمورهم حتى أصبحوا نماذج يحتذى بهم ، وأئمة
 يقتدى بهم فى إيمانهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وفى كل شئون حياتهم •

وخلاصة القول أن الاخلاق وثيقة العلة بالإيمان ولذلك اهتم الإسلام
 اهتماما بالغاً لغرس التربية الأخلاقية فى نفوس المسلمين بعد غرس العقيدة
 الإسلامية فى قلوبهم ، بل معاً ، ومن هنا يظهر بوضوح ضرورة غرس الأخلاق فى
 نفوس الاولاد من قبل آبائهم وأمهاتهم فى مرحلة الطفولة التى تتميز
 بالفطرية والعفاء وسرعة التلقّي والاستجابة ، ولاشك أن الوالدين إذا غرسوا
 الأخلاق الحسنة والآداب الجميلة فى نفوس أبنائهم منذ الصغر ، فتصبح تلك
 الأخلاق والآداب طبيعة من طبائع الطفل وسجية من سجايه •

ولاشك أن غرس الأخلاق فى نفوس الأطفال أسهل بكثير من غرسها فى نفوس
 الكبار الذين تلبسوا بالأخلاق السيئة التى تعودوا عليها طبعاً وسجية ،
 بحيث أن نفوس الأطفال صافية ، نقية ، خالية من كل نقش •

ولذا فإن من واجب الأبوين أن يلقنوا أولادهم منذ نعومة أظفارهم
 الأخلاق الحسنة من الصدق والأخلاص والأمانة ، والإستقامة ، والإيثار والتضحية
 والاحترام للآخرين والمحبة للآخرين والإحسان إلى العديق والجار والفقير .. الخ
 من الأخلاق الفاضلة الكريمة • ولاشك أن الطفل سيتعود على ذلك فى أول
 مراحل حياته ويتشرب تلك القيم منذ صغره •

إن مجرد التلقين لا يثمر وحده ، فلا بد من وجود مثال حي يجسد تلك المعاني والقيم عملياً ، فالوالدان هما القدوة والمثال في نظر الطفل ، فإنـــــــه يقلدهم ويحاكيهم ويقتدي بسلوكهم ، فلا بد أن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم بخلقهم وسلوكهم وإلا فلا يتوقع من الطفل التخلق بخلق حسن مهما وعظتـــــــه أو لقنته .

«
»
ويقول في ذلك محمد قطب في منهج التربية الإسلامية (١٤٠٤هـ) :

" وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة في الأب المسلم والأم ذات الدين فإن كثيراً من الجهد الذي يبذل في تنشئة الطفل على الإسلام يكون جهداً ميسراً وقريب الثمرة في ذات الوقت . لأن الطفل يستشرب القيم الإسلامية من الجو المحيط به تشرباً تلقائياً، وستكون تصرفات الأب والأم أمامه في مختلف المواقف ، مع بعضها البعض ومع الآخرين نماذج يحتذيها ويتصرف على منوالها " (ج ٢ ، ص ١١٩) .

والجدير بالذكر أن مجرد التلقين والقدوة دون المراقبة والمتابعة قد يوءدى إلى نتائج غير مرغوبة في الغالب ، فلا بد للوالدين أن يراقبوا أولادهم، ويلاحظوا سلوكهم لمعرفة مدى تطابق أقوالهم مع أعمالهم ، وللاطلاع على مسيرة الأبناء الخلقية .

ومن الأساليب التربوية النبوية لغرس الأخلاق في نفوس الناشئة الممارسة والعمل، وتعتبر هذه الطريقة طريقة مباشرة في التربية والتعليم لتصحيح الأخطاء وتقويم المعوج وتعديل السلوك الخاطئ إلى السلوك القديم الصحيح .

ولقد ورد في حديث ستفق عليه عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت يدي تطيش في الصحيفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا غلام ، سم الله تعالى) وكل بيمينك ، وكل مما يليك) فمازالت طعمتي بعد . " (البخاري : كتاب الأطعمة رقم ٥٠٦١ ، مسلم : كتاب الأشربة رقم ٢٠٢٢) .

وهذا إرشاد عملي من النبي صلى الله عليه وسلم للغلام في آداب الطعام ،
إذ علمه آداب الأكل والشرب من البسطة والأكل بيمينه ومما يليه ، ولا شك
إن الطفل تأثر من ذلك تأثرا بالغا استقر في صميم قلبه ورسوخ نفسه ،
وصارت هذه الآداب النبوية الشريفة عادة عنده . كما قال : (فما زالت طعمتي
بعد) .

فالواجب على الوالدين ملاحظة سلوك أولادهم فإذا وجدوا فيهم الانحراف
فعليهم تصحيحه وتقويمه بسلوك عملي ملحوظ ، وإلا يتعود الأولاد على السلوك
الخاطئ ومن ثم يصعب تعديله وتحويله إلى سلوك حسن .

وأود أن أشير في هذا المقام إلى ضرورة تلقين الأولاد الآيات القرآنية
المتعلقة بالأخلاق الإسلامية والأحاديث الشريفة التي توجه المؤمنين إلى
مكارم الأخلاق وأحسن الآداب وأجمل الخصال . ولا شك أن هذا التلقين سيؤثر
في نفوسهم ويمنحهم القدرة على معرفة الحسن والقبيح من الأقوال والأفعال

ويجب أن لا يغيب من أذهان الوالدين أن يقدموا لأبنائهم نماذج ومُـسـوـر
أخلاقية وأدبية من حياة الصالحين في التاريخ الإسلامي المجيد ، وذلك لتقوية
عنصر المحاكاة والإقتداء والتأسي بالذين أصبحوا رمزا وعلمًا في المصدق
والأمانة والاستقامة والوفاء بالعهد الخ ... من الأخلاق الحميدة والخصال
الجميلة . ويجب علينا أن لاننسى دور محبة الأقران في هذه العملية الخطيرة ،
بحيث أن المرء يتخلق بخلق صاحبه ويتأثر منه تأثيرا إيجابيا أو سلبيا
على حسب مقاومته أو ذوبانه أو متانته في أخلاقه وثقافته الدينية والاجتماعية .
فلابد للوالدين أن يختاروا لأبنائهم أصدقاء أخيار يرشدهم إلى الخير
والاستقامة .

كما يجب عليهم أن يجنبوهم عن محبة الأشرار وقرناء السوء في كل مرحلة
من مراحل عمر الطفل حتى لا يتأثروا من أخلاقهم السيئة وانحرافاتهم الضالة
ويكتسبوا من عاداتهم وتقاليدهم التدنيئة .

وخلاصة القول أن من واجب الأبوين أن يغرسوا في نفوس أولادهم الأخلاق
الحسنة والآداب الرفيعة وذلك لتربية نفوسهم وتهذيب سلوكهم وتعريفاتهم

حتى ينشئوا النشأة الصالحة التي تؤهلهم للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية والتضحية بالنفس والمال في سبيلها ، كما سبق وأن أشرنا إلى ضرورة تربية النفس وذلك تحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل لتبقى آمنة مطمئنة تدفع صاحبه إلى الصبر وتحمل الأذى والغداة والشجاعة الخ . من الصفات التي يتطلبها الجهاد في سبيل الله تعالى .

وبذلك تبين أهمية التربية الأخلاقية في تنشئة الأولاد وخاصة في مرحلة الطفولة التي يكتسب فيها الطفل العادات والتقاليد والسلوك والاتجاهات في رعاية وتربية والديه وأسرته .

والجدير بالذكر أن الأخلاق وثيقة الصلة بالحلال والحرام في الإسلام ، وهي تمنع صاحبها من اقتراف الجرائم والإتيان بالمحرمات ، كما تدفعه إلى الأخذ بالحلال والاقتناع فيه ، ولذلك وجب على الآباء والأمهات أن يعرفوا أولادهم أحكام الحلال والحرام في الإسلام حتى يتعودوا على ذلك وهم صغار لم يبلغوا مرحلة التكليف ، ولا شك عندما بلغوا سن التكليف يكلفون بأحكام الإسلام كلها ،

وفي الختام أحب أن أقول أن الجهاد بكل مافى الكلمة من معنى يحمل في طياته أخلاقاً وأدباً لا بد من مراعاتها وتطبيعها . أن الجهاد النفس لله اخلاق وآداب ، جهاد الكفار له أخلاق وآداب ، ولا جهاد بدون أخلاق وآداب .

روى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن سليمان بن بريدة عن ابيه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمر أميراً على جيش أو سرية أمراه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله . قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ..) (كتاب الجهاد والسير: رقم ٧٣١) .

ولقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بعض أخلاقيات الجهاد في سبيل الله وهي التقوى والإخلاص في العمل وعدم الغلول ونقض العهود والتمثيل وقتل الذرية . وما أسمى هذه الآداب . وما أرفع ! ولا نجدها إطلاقاً

فى الوقت الحاضر فى القاموس العسكري لدى الشعوب الأخرى .

وتبين مما سبق أن الأخلاق تشمل تصرفات الانسان كلها ، ومن ضمنها
الجهاد فى سبيل الله بكل أنواعه وأشكاله ، ولأجل ذلك لابد من تربية
الأولاد تربية اخلاقية يوجههم للقيام بمهمتهم فى مسيرة الحركة الجهادية
فى حياتهم المستقبلية .

٣ - تربية الأولاد على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعة ولاة الأمر فى المعروف .

إن الطاعة هى الامتثال بالأوامر والاجتناب عن النواهي سواء كان فى
حق الله تبارك وتعالى أو فى حق النبى صلى الله عليه وسلم دليل الإيمان
المصدق وأمانة العقيدة الراسخة. ولا شك أن الحب دليل الطاعة والإنقياد
والإستسلام .

ولقد حض الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على طاعته وطاعة
رسوله فى آيات كثيرة . ومنها قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴾ (سورة النساء / ٥٩) . فناداهم الله تعالى بصفة الإيمان التى يقتضى
الطاعة وأمرهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مطلقا ، وكم
أمرهم بطاعة ولاة الأمر، ولكن هذا مقيد بشرط وهو أن يكون طاعتهم فى المعروف
وجاء فى حديث متفق عليه عن ابن عمر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم
أنه قال : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر
بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (البخارى كتاب الأحكام، رقم ٦٧٢٥ ،
مسلم : كتاب الامارة، رقم ١٨٣٩) .

إن مفاد هذا الحديث الشريف أن المسلم مكلف بطاعة الله تعالى
وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقا فى كل حال ، فيما أحب وكره
فى العسر واليسر . وأما طاعة الآخرين واجبة فى المعروف وفى غير معصية .

اللّٰهَ تعالى ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة لان طاعة الغير فى المعصية تنافى طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه وأمتـــــــــــــــه
على طاعة أمرائه - سواء كانت فى حياته أو بعده، - وجعل طاعه أمرائه
وعماله من طاعته ، ومعصيتهم من معصيته ، ولاشك أن معصية الرسول هى معصية
الله تعالى .

كما جاء في حديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني) .

(البخاري : كتاب الجهاد رقم ٧١٣٧ ، ومسلم : كتاب الامارة رقم ١٨٣٥)

ولقد استجاب الصحابة رضى الله عنهم لهذه الأوامر العادلة وامتثلوا
فى الطاعة ولم يعملوا إلى ماوصلوا من النصر والتمكن إلا بإيمانهم الصادق
وطاعتهم الكاملة وانقيادهم التامة، وأصبحوا نعاذج فى السمع والطاعة وقدموا
أروع الأمثلة فى ذلك .

ولاشك أن الطاعة لا تتحقق ولا تجني ثمرة إلا بالمحبة ، المحبة التي
استقرت في النفوس وتيقنت في الصدور وترسخت في أعماق القلوب. والمحبة
هي التي تدفع الفرد إلى طاعة محبوبه ، وإذا انعدمت المحبة ، انعدمت
الطاعة ، ولذلك كانت محبة الصحابة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
كانت في القمة ، وكان رسولهم أول شيء في حياتهم ، وأعلى من كل شيء في
الوجود ، كما كان صلى الله عليه وسلم أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم
وأبائهم وأموالهم .

وكان حب الصحابة رضى الله عنهم لا يقتصر على محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقط ، انما كانوا يتحابون فيما بينهم تلك المحبة التي لم يشهدوا التاريخ مثلاً ، ولن يشهد إلى الأبد . فما كانت هذه

إلا نتيجة الإيمان الصادق والعقيدة الراسخة التي استقرت في نفوس هذا الجيل المشالي الفريد .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغرس محبة الله تعالى ومحبة نبيّه في نفوس من أسلم من أصحابه، وكما كان يرشدهم إلى ما يتم به إيمانهم ويكمل به دينهم وهو حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على غرس هذا الحب في نفوس أبناءهم كما غرس رسولهم في نفوسهم ، لأنهم ذاقوا حلاوة الإيمان وطلاقة القرآن . وأول ما ينبغي على الوالد فعله بعد تلقين الشهادة أن يعود طفله على طاعة الله تعالى ومحبة ، وأن يغرس في نفسه حب الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته وأن يقدم حبهما في نفسه على كل شيء ، وذلك ببيان أن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبتهما واجب ، وأنها من الإيمان والعقيدة ، ومن مدلولات كلمة الشهادة ، ولا يتم إيمان المرء إلا بها .

ولاشك إذا تعمق حب أحد في نفس الطفل وتأصل في قلبه ، فإن ذلك الحب سيدفعه في المستقبل إلى قبول كل ما يأتي من محبوبة ، ويكره نفسه مخالفتها وعصيانها ، ويطيعه في كل شيء دون النظر إلى أية اعتبار . ان الحب يعمى ويصم كما جاء في المثل ، وهذا في الحب عامة .

وأما محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم مربوطة بالإيمان والعقيدة والدين ، وإنها وثيقة الصلة بالإسلام ، وأنها واجبة على كل مسلم وهي فوق كل اعتبار ، فيجب على الوالدين أن ينتبهوا إلى أهميتها وتقذروا عظيم قدرها ، ومن ثم غرسها في نفوس أولادهم بطرق محبة إلى النفوس ، فلا بد من اقتران غرس الإيمان بغرس المحبة في نفوس الأولاد إذ لا يمكن الانفصال بينهما ولو تدريجيًا .

إذاً يجب على الأبوين أولاً : أن يغرسوا هذه المحبة بكل ما في الكلمة من معنى ، كما ينبغي لجلال الله عز وجل وعظيم سلطانه بقدر الطاقة والإستطاعة وكما ينبغي لمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع تقديرهم وإجلالهم وتمجيدهم .

وشانيا : تربية أولادهم على الطاعة . ولقد رأينا كيف كان النّبي صلى الله عليه وسلم يوجه أوامره إلى الآباء بقوله الشريف : (مروا أولادكم بالعلاة وهم أبناء سبع سنين) ولشك أن العلاة وباقي العبادات من الطّاعة ، ولم يأمر النّبي صلى الله عليه وسلم بهذه الطّاعة إلا في مرحلة معيّنة ، مرحلة بلوغ الطفل سبع سنين .

ونستنتج من هذا الأمر النبوي الكريم أن غرس الإيمان وغرس محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم تتقدّم على غرس الطّاعة هذه هي - ناحية ، ومن ناحية أخرى أن الإيمان والمحبة يدفع المؤمن إلى الطّاعة - كما قلنا - وصدق من قال :

تعصى الإله وأنت تظهر حبّه . هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته . إن المحب لمن يحب مطيع
وشالشا : يجب على الآباء أثناء هذه العملية أن يشرحوا لأولادهم الآيات والأجاديث المتعلقة بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتهما وأن يذكروا لهم صورا مثالية عن الصحابة والتابعين والسلف الصالح رضي الله عنهم جميعا لتقوية عنصر المحاكاة والإقتداء لدى الطفل .

وأقول أخيرا أن الطفل الذي نشأ على هذه المحبة والطاعة ، وعلى هذه الروح لابد ستنعكس آثارها على سلوكه في حياته ، سيطيع الله تعالى ورسوله في السر والعلن وفي العسر واليسر و . سيطيع أمراءه في غير معصية الله تعالى . ولا يطيع أحدا إلا في المعروف ، وكما سيوقر كبيره ويرحم صغيره ، ويكون باراً بوالديه ووفيا بأصحابه ، وسيعطى كل ذي حق حقه في المحبة والطّاعة .

وفي جهاد النفس يرفض طاعة نفسه وشيطانه ، ويطيع الله ربّه الذي أمره بطاعته ونهى عن عصيانه ومخالفة أمره .

٤ - تربية الناشئين على الوحدة، والإتفاق وعدم التفرق والاختلاف :

إن الاسلام دين الوحدة، والاتفاق ولذلك أمر بها فى كل الملابس وفى كل المناسبات لما فيها من الفوائد العظيمة والمصالح الجمة للفرد المسلم والجماعة المسلمة . ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإعتصام بحبله المتين ، ونهاهم عن التفرق والاختلاف ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (سورة آل عمران / ١٠٣) .

إن حبل الله هو القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأن التمسك بهما جميعا هو سر الوحدة، والاتحاد ، وكما تركهما كلياً أو جزئياً سبب الاختلاف والتمزق والتباغض بين الأفراد والجماعات .

ولقد وهب الله تعالى لهذه الأمة المحمدية قواعد وأصول لوحدهم وجمع كلمتهم وجعلها ثوابت ، وإذا ما تمسكت بهذه القواعد والأصول بصدق وإخلاص توحدت وقويت إن شاء الله تعالى :
وهذه القواعد والأصول هى :

- ١ - وحدة العقيدة .
- ٢ - وحدة الهدف .
- ٣ - وحدة المصير .

إن وحدة العقيدة، هى الأصل الأول لتحقيق الوحدة، بين الأفراد والجماعات وفى نطاق الأمة . إن كلمة " لا اله إلا الله " تجمع المسلمين تحت رايتها مهما اختلفت اجناسهم وتباعدت ديارهم وتعددت لغاتهم لتحقيق العبودية لله تعالى على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى الأمم والشعوب ، أن هذا هو الهدف من خلق العباد وإنزال الكتب وبعثه الرسل والقيام بالدعوة والجهاد .

ولقد بين الله تعالى فى كتابه الكريم أن الأخوة الإيمانية هى أعظم أركان الوحدة، فهى أقوى من أخوة النسب وأية أخوة أخرى لاتقوم على أساس العقيدة، والدين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَاصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات / ١٠) . ولأجل الأخوة الإيمانية أمر الله تعالى بالإصلاح بين الإخوان إذا ظهر بينهم الشقاق والخصومة ، لأن الخلاف والتفرقة ينافى الأخوة الدينية ويؤدي إلى ضياع الهيبة وضعف الشوكسة في الصف المسلم .

ولذلك أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الآخذ بكل أسباب القوة والخير ، والوحدة والأخوة والاتحاد ، كما نهاهم عن أسباب التمزق والخلاف وسد عليهم كل أبواب الشر والفساد وغلق عليهم كل منافذ العدوان . ولقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنين بجسد واحد في المحبة والرحمة والعطف . روى مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (كتاب البر والصلة ، رقم ٢٥٨٦) .

وفي مكان آخر شبههم بالبنيان يشد بعضه بعضا ، للدلالة على أن المسلمين تجمعهم عقيدة واحدة ، وهدف واحد ومنهج واحد ومصير واحد ، فلا بد للمؤمنين أن يضعوا هذا نصب أعينهم . وأن يحققوا هذه الوحدة بتمسك أسباب القوة والعزة ويتجنب أسباب الضعف والمسكنة والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى التفرقة والاختلاف . فالواجب على جميع المسلمين السعي التام لتحقيق الأخوة الإيمانية والرابطة الدينية التي هي من أكبر الدعائم الألفة والمحبة والوحدة . بل الركن الأساسي لتحقيقها ، والحجر الأساسي لتأمينها .

ولقد تبين مما سبق أن من أكبر واجبات الابوين أن يربوا أولادهم على الوحدة والاتفاق ويجنبهم عن التفرقة والاختلافات ولذلك عليهم مراعاة الآتي :

١ - أن يغرسوا في قلوبهم أسمى معاني الألفة والمحبة والمودة والأخوة ، لأن حرمان الطفل من هذه الخصال يؤدي إلى القسوة والغلظة والشعور بالنقص ومن ثم الإنكماش والانطوائية والإنعزالية التي تنافي روح الوحدة والاتفاق .

٢ - تفهيم الناشئ أسباب القوة والوحدة. والتوحيد بأمثلة مقربة للأذهان وبأمثلة حية من المحيط الذى يحيط بالطفل ومن البيئة التى يعيش فيها الأسرة ، وكما يجب عليهم تفهيم الطفل أسباب الضعف والاختلاف بضرب الأمثلة من الواقع الحالى عن المجتمع الاسلامي .

٣ - أن يعمقوا فى قلوب الأطفال روح التعاون والتساند وحب المشاركة الجماعية وذلك بتعويدهم على الاختلاط بالجماعة ، جماعة الأقران والأصدقاء مجالس العلم والعلماء والأعمال الخيرية والانسانية ليتعرف الطفل على نفسه ومشكلاته وعلى أقرانه ومشكلاتهم ، ومن ثم مشكلات المجتمع ، والقضايا الاجتماعية . ولا شك أن هذه المشاركة ستحرك مشاعر الطفل ورغباته نحو الاهتمام لحل مشاكله ومشاكل الآخرين والاهتمام بأمورهم ، وبذلك يتكون لديه القدرة والإستعداد على العمل الجماعى والمسئولية الجماعية ، ويتخلص من الأنانية وحب الذات .

٤ - العمل على تنمية الروح الجماعية لدى الطفل والتفكير الجماعى والعمل الجماعى فى كل مناسبة من المناسبات . ومن المعلوم لدى الجميع أن كل شعائر الاسلام يقوى هذه الروح وتنميتها فى صورة عملية سلوكية ، والمثال على ذلك الصلاة مع الجماعة تقوى لدى الطفل هذه الروح وتنميتها فى كل يوم خمس مرات ، وكذلك صلاة الجمعة والعيدين وكذلك باقى العبادات من صوم وزكاة وحج ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ، كلها ترمى إلى تهذيب الروح الجماعية لدى الفرد .

إن الطفل حين ينشأ على هذه الروح فلا بد ستعكس آثارها على فـكـره وشعوره وعمله وسلوكه أثناء تعامله مع الآخرين سواء كانت فى أسرته أو مجال عمله ، يسعى دائما إلى تحقيق الوحدة والأخوة فى كل مكان ويبذل فى ذلك قصارى جهده. وطاقته وامكانياته المادية منها والمعنوية يتقدم بالنفس والارشاد لإخوانه وأصحابه بروح إيجابية نافعة يعتز بوحدة أمته ويحزن على تمزقها واختلافها ويبحث عن أسباب وحدتها وحل قضاياها .

وفى ميدان المعركة يحافظ على وحدة الصف المسلم وتماسكه وترابطه وتآلفه ويتجنب من الأقوال والأعمال التى تميمت هذه الروح وتضعفها ويتقدم بالرأى والمشورة إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، ولا يلتفت إلى الاشاعات والأكاذيب التى يشيعها أهل الميرة والنفاق والحاقدون للإسلام وأهله، والحاقدون لنصرة

المؤمنين • ولا يفر عند الزحف • يسمع إلى أوامر قائده. ويطيعه ولا يعصيه
في المعروف •

• تربية الناشئين على تحمل المسؤولية ، الفردية والجماعية :
إن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، فإن العبث على الله محسب ،
وإنما خلقهم للغاية العليا والهدف الأعلى ألا وهو تحقيق العبودية لله
عز وجل . ولذلك كلف الله تعالى الإنسان بتكاليف شاقة ومسئوليات عظمى لا يسد
من أدائها على أكمل وجه •

والمسؤولية لها أبعاد متعددة. ومجالات مختلفة وهي تعنى الالتزام : التزام
الفرد بواجبه في الحياة نحو نفسه وأهله وجماعته وأُمَّته. وكل بنى آدم. لم ينج
أحد من هذا الواجب مهما كان وحيثما كان • كل على حسب موقعه أو عمله •

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا الواجب في كلمة جامعة
شاملة وهي : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) . وهذه قاعدة أساسية فـسـى
توزيع الوظائف والاختصاصات ، تحدد وظيفة كل فرد في المجتمع على حسب طاقته
ووسعه ، إنها وظيفة تترتب عليها الثواب والعقاب يسئل عنها صاحبها يوم يقوم
الأشهاد أحفظ أم ضيع ، إنها أمانة على عنق الأفراد •

إن الصحابة الكرام لم يعملوا إلى ما وصلوا إليه من النصر والتمكين ، إلا
بتحمل كل واحد منهم المسؤولية الملقاة على عاتقه في ذلك المجتمع الجديد
الذى بدأ تكوينه ونشأته في مكة المكرمة على يد موعده وإمامه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم •

ولقد أدت كل واحد من هؤلاء الأبطال رسالته وواجبه في هذا الحقل خيسر
أداءً ، أن كل واحد منهم لما أسلم وأقر بالشهادة. أمام النبي صلى الله عليه
وسلم اعتبر نفسه جندياً من جنود الإسلام وبطلاً من أبطال الإيمان ، يخرج من عند
مرشده صلى الله عليه وسلم معلوئاً بالحماسة الدينية والشحنة الإيمانية يندفع
بسرعة إلى تنفيذ مقتضيات مسؤوليته ومستلزمات دينه ويصبح صاحب دعوة ورسالة
بمجرد قبوله للإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالنبي صلى الله عليه وسلم رسولاً

ونبيًا . لو لم يكن هؤلاء الأخيار أصحاب رسالة ودعوة ، ولم يستشعروا
بالمسئولية لما انتشرت الدعوة في وقت وجيز من الزمان إلى العالم .

والرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يترك من أسلم من أصحابه دون أن
يكلّفه بالمسئولية - بعد أن يلقّنه كلمة الشهادة - بل كان يأمره وينهاه
ويكلّفه بتكاليف عديده. لأن مجرد الدخول في الإسلام هو الاستسلام الكامل .

ولقد روى ابن اسحق في السيرة عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه
أنه قال : (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى
على أن لا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا ننزى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى
ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعلمه في معروف) (ج ٢ ص ٨١) .

إن النبي صلى الله عليه وسلم حملهم ببعض المسئوليات لينمى سلوكهم
بالعبادة الإسلامية عن طريق التمسك بأخلاقه ونظمه وعامة مبادئه . ولقد
استشعر هؤلاء المؤمنون بمسئوليتهم هذه وغيروا سلوكهم وعاداتهم التي
تخالف هذه الأوامر والتوجيهات النبوية وأصبحوا نماذج في قومهم إذا رجعوا
إليهم يبدعونهم إلى دين الله تعالى في كل الظروف والمناسبات حتى فشى
أمر الإسلام في المدينة المنورة وأسلم الكثيرون على أيديهم ، وما ذلك إلا بسبب
تمسكهم بعقيدتهم باتّباعهم لأوامر نبيهم واستشعارهم بمسئوليتهم .

ولاشك أن أكبر المسئوليات هي مسئولية الدعوة الإسلامية وذلك بنشرها
والجهاد في سبيلها وبذل الجهود والطاقات في توطيد أركانها ومبادئها .
وتلك مسئولية عامة المؤمنين وكافة المسلمين رجالا ونساء ، شبابا وكهولا
في العسر واليسر في المنشط والمكره في كل زمان وفي كل مكان في جميع الظروف
وفي شتى المناسبات .

ومن هنا لقد تبينت أهمية غرس هذه الروح روح الإستشعار بالمسئولية
في نفوس الأولاد من قبل آباءهم وأسرته ومن يلي بتربيتهم وتنشئتهم منذ
السنوات الأولى من عمرهم . وإذا تعود الطفل على هذه المسئولية منذ
أن يعقل يقوم بها على أحسن الوجه عندما يكبر دون أن يعتريه ضعف أو يناله

عجز أو تقصير ، ولا يشق عليه تحمّل هذه الواجبات طول عمره ، لأنه تعسّد عليه في صغره وأصبح عنده عادة سلوكية طبعاً وسجية . ولتنمية هذه الروح لدى الناشئين فعلى الأبوين مراعاة مايلي :

أولاً : تعويدهم منذ الصغر على تحمّل بعض المسؤوليات في البيت ، مثل الحفاظ على حقائبهم المدرسية وكتبهم الدراسية ، والأدوات المنزلية ، وعلى نقودهم وعلى ملابسهم ، وهكذا حتى يتدربوا على تحمّل الواجب وهم صغار .

ثانياً : تعويدهم على ممارسة بعض الأعمال التي تناسب فطرتهم وخلقهم مثل تعليم البنات الخياطة والطبخ وتدبير المنزل ورعاية الأطفال . الخ من الأعمال التي تساعد على نمو البنات نفسياً واجتماعياً وفكرياً وثقافياً وكتعليم البنين بعض الممارسات البيع والشراء والتصرف في النفقات .

ولاشك أن تطبيق هذه الممارسات ينمّي في نفوس البنات روح الانوثة وفي نفوس البنين روح الرجولة .

ثالثاً : عدم تلبية جميع طلباتهم والعناية بأمورهم عناية فائقة زيادة عن الحاجة ، ومن الأخطاء الكبيرة التي يقع فيها الكثير من الآباء والأمهات عن جهل وعن غير قصد الإفراط في تدليل الأطفال والشغف بهم والتلف عليهم وتلبية جميع طلباتهم وحاجاتهم . وإذا نشأ الطفل في هذا الجو الأسري الذي يحيطه بالعناية والرعاية الكاملة وتلبية جميع احتياجاته ويحل له جميع مشاكله فإنه يعتاد على ذلك ويتوقع نفس المعاملة في جميع الأماكن التي يذهب إليها ، وفي كل جماعة ينضم إليها ، فإذا لم يتحقق له ما يريد - وهذا ما يحدث في الغالب الأعم - ينزعج الطفل فيدب الخوف في نفسه ويفقد ثقته بنفسه ويطراً عليه اضطرابات مختلفة .

وإذا كبر هذا الطفل ودخل في الحياة العملية فإنه يعطدم بمشاكل الحياة التي لم يألّفها ولم يتعود عليها في حياته الأسرية . وكثيراً ما يؤدي صدامه هذا إلى فشله في الحياة العملية ، لأنه يعتد تحمّل المسؤولية ولم يألّف الكفاح في الحياة ولا يقوى على مواجهة الصعاب .

هذه هي الآثار السلبية الناتجة عن قصور هذه التربية. فهي لا تربي على
 في نفوسهم صفات الاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية والشجاعة والإقدام .
 ولا يفهم مما قلت أنه لا يجب تلبية جميع طلبات الطفل واحتياجاته وحل
 جميع مشاكله بل يجب على الوالدين أن يسهموا في ذلك إسهاما كبيرا، ولكن
 بشرط تعويدهم على ذلك تدريجيا مع مستواهم العقلي وإدراكهم الحسي ونموهم
 الجسمي . . ولا شك أن فترة ما قبل سن الإدراك والتمييز يجب فيها تلبية
 ذلك كله وهذا ما يختلف فيه اثنان .

وإذا نشأ الطفل على تحمل المسؤولية والواجب ولا شك سيتحمل مسؤولية
 الدعوة الإسلامية عندما يتزرع ويشب ويتحمل الأذى في سبيلها ويقدمها على
 كل أعماله وواجباته ويدافع عنها بكل وجوده وكيانه. ولا يستسلم إلى السذال
 والهوان ولا يركن إلى الضعف والمسكنة ولا يميل إلى الكسل والخمول ولا يئس ولا
 يقنط من رحمة الله تعالى ووعده. ولا يخشى في الله لومة لائم .

وكما يعرف مسئوليته الجماعية ، مسئوليته نحو مجتمعه وأُمَّته والناس
 أجمعين، ويعرف حده وحدوده. ويدرك حقوق الآخرين ومسئولياتهم ولا يطفئ على
 أحد ويقف عند حد معين . كما لا يرضى بحال من الأحوال أن يتجرد من هذه الروح .

٦ - تربية الناشئة على العزة والكرامة والرجولة والشجاعة :

إن الإسلام دين العزة والكرامة الحقيقة وأهله أعزاء ، لا يرضى لأهله
 أن يكونوا أذلاء . ولذلك بث القرآن الكريم هذه الروح العالية في نفوس
 المسلمين في كل المناسبات لأنه منبع العزة والكرامة ، ومصدرها الأساسية .
 ومن أراد العزة في غيره لن يصل إليها بحال من الأحوال . ولا وجود للأمة
 المحمدية بدونها. فإذا فقدتها أصابها الذل والهوان واستعبادهم من قبل
 أعدائهم والتاريخ الإسلامي خير شاهد على هذا .

قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۚ ﴾ آل عمران / ١١٠ . إن هذه الآية الكريمة
 تبث العزة في نفوس المؤمنين بأن جعلهم خير الأمم والشعوب لإيمانهم
 بالله تعالى ولقيامهم بالدعوة إلى الله تعالى أمر بالمعروف ونهايا عن

عن المنكر ، ومن يريد أن يكون من هذه الأمة الخيرة فليؤد شرط الله تعالى منها وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإيمان بالله تعالى .
ومن يتصف بهذه الصفات الحميدة يستحق له أن يعتز ويفتخر بدينه وعقيدته. لأن هذه الأمة لم تستحق هذا الشرف وهذه العزة إلا بتمسكها بمنهج الله تعالى عقيدة وسلوكا ونظام وحياة .

إن الله عز وجل هو رب العزة وحده ، وله القوة والغلبة والكبرياء وله العزة ومن أعزه وأيده من أنبيائه الأخيار والمؤمنين . قال تعالى :
﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (المنافقون / ٨) ، إن العزة ليست بكثرة الأموال والاولاد والعشيرة والاتباع وإنما في اتباع الحق والسير في منهجه وشرعه والدعوة إليه .

والكرامة الانسانية من لطف الله تعالى وإحسانه على بني آدم ، وأن الإنسان مكرم كرمه الله تعالى وفضله على خلقه جميعا ، إذ جعل له مكان العدارة بين مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الاسراء / ٧٠)

كرمه الله بالعقل والعلم وسخر له الكون كله ورزقه من الطيبات وألهم الله تعالى النفس البشرية فجورها وتقواها وجعل عنده الإرادة القابلة لاختيار وزوده بأدوات المعرفة والقدرة على التعليم .. الخ ، ومن المميزات والخصائص التي تميزه عن سائر المخلوقات . وبمقابل ذلك لقد كلف الله سبحانه وتعالى الإنسان بتكاليف كثيرة ومسئوليات عظيمة ورتب عليها الثواب والعقاب والجزاء .

ولقد تبين مما سبق أن واجب التربية الإسلامية هو إشعار الناشئة بعزته وكرامته على أفضل الأساليب والوسائل اللائقة وتنمية هذا الشعور وهذه الروح في نفوسهم. ومن هنا يأتى دور الأسرة في المقام الأول ، لأن الطفل في حاجة ماسة أن يعرف قيمة دينه ومكانته عند ربه ومنزلته بين الناس

ودوره فى المجتمع والامة. وذلك عند ادراكه للأمور وتمييزه بين الأشياء
ولذلك يجب على الوالدين أن يربّوا أولادهم على العزة والكرامة مع نعومة
أظفارهم بالأسلوب الآتى والطريقة الآتية :

١ - أن يلقّنوا أولادهم أن مصدر العزة والكرامة الحقيقية هو القرآن
الكريم . وذلك ببيان أن المسلمين لم ينالوا العزة والكرامة إلا باتّباع
أوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ويتمسك كتاب الله
تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة وشرعة ، وأن مقياس العزة
والكرامة هو الاتّباع الكامل لمنهج الله تعالى ، والبحث عن العزة والكرامة
فى غير منهج الله تعالى فإن مصيره الذل والهوان والانقياد للطاغوت .

٢ - أن يشعروا بكرامتهم الإنسانية وذلك بالمقارنة بين مميزات الإنسان
وخصائصه الفردية وبين سائر المخلوقات ، ليطلع الطفل على قيمته الإنسانية
وسبب خلقه بهذه المميزات والصفات ، ولأشك أن هذه المقارنة بين الإنسان
وسائر المخلوقات تؤدى إلى التساؤل والاستفهام لدى الطفل عن الأسباب
والمسببات ، مثل : لما تميز الإنسان بهذه الصفات ؟ ومن الذى زوده بهذه
القدرات ؟ وهذا الأسلوب يعتمد على تربية عقل الطفل ويدفعه دائماً إلى حسن
التفكير والتدبر والتأمل فى تركيب نفسه وما حوله من الموجودات والكائنات
وذلك بالتدرّج كما قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ وفى السماء
رِزْقَكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ ﴾ (الذاريات / ٢١ - ٢٢) . لأن أقرب شيء إلى الإنسان
نفسه ثم الموجودات التى حوله .

والتدرّج فى التأمل والتفكير بهذا الشكل يؤهل الفرد إلى معرفة خالقه
وبارئه. وأن أشعره الوالدان بأن الله تعالى فضله بالإرادة. والتميّز
وأدوات المعرفة ، وجعل له الشرع وكلّفه بتكاليف ومسئوليات ورتّب عليها الثواب
والعقاب ، أصبح لديه الشعور بالمسئولية يخشى ربه ويلتزم أمره ويستقيم
فى سلوكه فى هذه الحياة .

٣ - إشعارهم بمكانتهم عند ربهم إذا استقاموا في الطريق والتزموا شرعه ، ويقول في ذلك عبد الرحمن النحلاوي في كتابه التريية الإسلامية والمشكلات المعاصرة^١ (١٤٠٥ هـ) : " وإذا علمناه بمكانته عند الله تعالى إن هو آمن واستقام فقد منحناه ثقته بنفسه وأعزازه بخالقه وشعوره بكرامته وبعداً عن أى خوف أو تردد أو عبث أو شعور بالضياع أو الحيرة " (ص ٧٢) .

وبذلك يثق بنفسه ويعتز بدينه وعقيدته ويفتخر بمقدساته وينال الكرامة ، يعيش عزيزاً كريماً ويموت كريماً ويبعث إن شاء الله تعالى معزواً مكرماً .

ومن أهم الصفات التى يجب تلقينها فى نفوس الأبناء من قبل آبائهم صفات الرجولة والشجاعة ولاشك أن واجب الرجال يختلف عن واجب النساء ، وذلك ناتج عن الاختلاف فى الخلقة والطباع ، والله تعالى لم يفرض الجهاد إلا على الرجال - وإن كان هناك دور كبير للنساء فى الجهاد - لأنهم أقدر على ذلك من النساء . ونعنى بالرجولة هي المحافظة على فطرة الابن خلقة وتنمية بعض الصفات التى يتصف بها الرجال عادة مثل الشجاعة والخشونة والصبر ، والاعتداد بالنفوس وشعور عميق بأداء الواجب ، والوفاء بالعهد والتحمل على الأذى والقوة الجسمية الخ . . من الصفات التى هي من مميزات الرجال عادة .

إن الإسلام أولى باهتمام بالغ بالرجولة مظهراً وباطناً ، وذلك ميانة لخلق الله تعالى وتنمية للمواهب والقدرات التى يتصف بها الرجل . ولقد حدد الإسلام تحديداً دقيقاً خصائص الرجال وخصائص النساء ، وواجبات ومسئوليات كل نوع منهما ، فأراد التمايز بين كل نوع فى المظهر والباطن .

ولذلك حرم الإسلام التشبه بين كل نوع من هذين النوعين . روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لعن النبى المخنشين من الرجال والمترجلات من النساء) (كتاب اللباس رقم ٥٥٤٧) وهذا التشبيه يشمل المظهر مثل اللباس والحركة والكلام وفى الباطن التشبه ببعض الأخلاق النسائية مثل كثرة اللعن الخ . ولذلك حرم الإسلام لباس الحرير واستعمال الذهب على الرجال ومنع من خلق اللحية . . الخ من الصفات التى تقتل الرجولة

وتتفجّع الشخصية وتتطعن فى الأخلاق والفضيلة .

وكان العصر الاسلامى الأول مظهرا للرجولة فى جميع نواحيه ، فقد امتلاء
بمن كانوا عنوانا للرجولة والمجد والشرف . كان الرسول صلى الله عليه
وسلم أكثر الناس رجولة فى جميع أدوار حياته . فحياته كلها سلسلة من مظاهر
الرجولة والبطولة . وكذلك المجاهدون طوال العصور قدّموا لنا أروع الأمثلة
فى أسمى معاني الرجولة والبطولة . إن الشجاعة صفة حميدة جميلة وهى زينة
الرجل وحمية الأبطال وتاج الفرسان . والشجاعة قوة نفسية تدفع الفرد إلى
الاقدام ، وهى ضد الجبن والخوف . ولاشك أن الفرد يولد وهو مزود بطريقة
فطرية بهذه الصفات بنسبة معينة . والتربية التى يتلقاها الطفل فى حياته
والظروف والمواقف التى يمر بها أثناء تلك العملية تجعله شجاعا أو جباناً ،
وذلك بظهور علامات كل منها على الفرد بشكل بارز . والتربية الاسلامية ترتبى
الفرد على أخلاق حسنة وخصال حميدة . وبمقابل ذلك تحارب الاخلاق السيئة
والخصال الدنيئة .

والشجاعة من أبرز الأخلاق الحسنة لدى الفرد المؤمن . لأنها صفة الانبياء
والرسل وصفة المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، وصفة كل من يريد العزة
والكرامة فى الدنيا والآخرة وهى وسيلة النصر بل لبّ النصر . وضدّها الجبن
سبب الذل والهوان .

والشجاعة - فى مفهومها الشرعى - محمودة . فى كل الأحوال وفى كل المواطن
وضرورية فى بعض المواقف مثل : الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وتتأكد ضرورتها
فى الجهاد إلى أقصى حدّها وأبعد حدودها ، لأن الموقف يستدعى ذلك .

ولقد غرس القرآن الكريم هذه الصفة الحميدة . والميزة الجميلة فى
نفوس المؤمنين وحشّمهم فى كل مرة وفى كل المناسبات إلى الاقدام . والشجاعة
والبسالة ، ان قوة الشجاعة لدى المؤمن مقياس لإيمانه ومرآة لإخلاصه ،
وميزان ليقينه . ولذلك يحث القرآن الكريم على التحلى بهذه الصفة ويعاتب
المؤمنين فى خشيتهم من أعدائهم وذلك بأسلوب الإغراء والتحريض ، فقال
تعالى : ﴿ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ
لَا يَحْزَنُونَ ﴾ .

بدعوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴿التوبة/١٣﴾ .

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أشجع الناس كما ورد في الاختصار الصحيحة . والصحابة الكرام كانوا يتقون به حين التحام الجيش كما سبق ذكره ، وكان عمره ملوات الله وسلامه عليه سلسلة من مظاهر الشجاعة والبطولة والبراعة التي بلغت الذروة . ولقد ربي أصحابه في مدرسة الجهاد على أسس معاني الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية والامثلة على ذلك تفوق الحصر والعدد ، كلهم كانوا أعلاما يهتدى بهم في النضال والكفاح .

إن واجب الأبوين أن يربوا أبناءهم على هذه المعاني الرفيعة والمفاهيم العظيمة التي هي من الصفات الأساسية والأصلية للمجاهدين في سبيل الله تعالى ، ولتحقيق هذه الصفات في نفوس أبناءهم . وأما غرس صفة الرجولة وهي تتحقق كالتالي :

١ - أن يختاروا لأنبائهم الألعاب الملائمة لفطرتهم وخلقهم ، مثل : اختيار العرائس وأدوات المطبخ للبنات والبندقية والمسدس والسيارة النخ للبنين ، إن هذا الاختيار ينمى في نفوسهم الشعور بالنوع ، ذكرا أو أنثى .

٢ - أن يختاروا لأبناءهم الملابس الملائمة لفطرتهم . لأن التشبه شامل في المظهر والباطن كما سبق بيانه ، وأن يهتموا بمظهر الطفل عناية تامة مثل : إطالة الشعر للبنات وقصره للبنين واستعمال الذهب والحبر للبنات وعدم استعماله للبنين . الخ .

٣ - تنمية بعض الصفات الخاصة والمتعلقة لكل نوع في نفوسهم ، مثل : تنمية الشجاعة والجرأة والجِد والعدل للبنين ، والرحمة والعطف والطاعة للبنات .

٤ - أن يصطحب الولد إلى المسجد ومجالس الرجال حتى يتعود الطفل على أخلاق الرجال وآدابها ، وكما يتعود على حياة الجد .

٥ - تحميل الولد بعض المسؤوليات المتعلقة بالرجال مثل : البيع والشراء والعمل .

٦ - أن يعاملوهم معاملة الرجال في كل المناسبات ، وأن يبعدوهم بكل الوسائل الممكنة عن كل مايحطم رجوليتهم وشخصيتهم وأخلاقهم مثل :
مظاهر التخث والتخون والميوعة والانحلال وأن يجنبوهم عن الوقوع في مواطنهم وأماكن التهم .

وبذلك يكتسب الولد صفة الرجولة التي تدفعه إلى الشجاعة والبسالة ، يحافظ على عزته وكرامته وشخصيته ويستقل في هويته وذاتيته .

وأما الشجاعة والفداء والتضحية فإن غرسها في نفوس الناشئة يبتغى عناية فائقة وإهتماما بالغاً من قبل آباءهم وأمهاتهم وإخوانهم في أسرهم . إن مجالات الشجاعة واسعة جداً . وهي أكثر بروزاً وظهوراً عند الرجال . وهذه متولدة من طبيعتهم وجبلتهم ومهمتهم في الحياة ، وإنها تحتاج إلى العبر والمعبرة والتحمل على الأذى والفداء والتضحية وكما أن الفداء والتضحية بحاجة ماسة إلى الشجاعة والجرأة والاقدام وكلها أعمال متسلسلة تسلسلاً لازماً .

ولغرس هذه الروح لابد من مراعاة الآتي :

١ - محاربة مظاهر الخوف عند الأطفال لأن الخوف يترك أثراً في نفس الطفل مهما كان أسبابه ينشأ على ذلك ، ويغطى على طبيعته ويؤدي إلى عدم الثقة بالنفس والشعور بالنقص وكما يؤدي إلى الإنعزالية والانطوائية والانكماش وعدم مواجهة المشكلات بعقل متزن وتفكير سليم .

ولقد حارب الاسلام كل مظاهر الخوف ، إن المؤمن لا يكون جباناً ولا خوفاً وإنما يكون شجاعاً باسلاً ، لأنه يستمد هذه الروح من عقيدته الاسلامية السمحة وإيمانه الراسخ ، ومن مصدر عزة وكرامة . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز بالله تعالى من الجبن لأن الجبان لا يستطيع أن يحافظ على دينه وعرضه ودمه وماله كما لا يقدر أن يدافع عن وطنه وأمته .

٢ - ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في نفوس أبناءهم . لأن الإيمان بالقضاء والقدر يدفع الفرد إلى الجرأة والاقدام ولا يخاف من الموت ، لأنسه

يعرف يقينا أن أجله محدود مقدّر من قبل المولى لايزيد ولاينقص ، يأخذ بالأسباب ويعتزم أمره وويتوكل على الله تعالى ويباشّر عمله دون تردد . أو ارتياب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا ﴾ (آل عمران / ١٤٥) . إذا تعمق هذا الإيمان فى قلب الولد لا يخاف فى الله لومة لائم ، ولا يقبل الذل والهوان والظلم . يدافع عن إيمانه ونفسه ودينه وأمته بشوق وإخلاص يحافظ على مقدساته ولا يرضى أبدا . الاساءة إليها والنيل منها .

٣ - التدريب العملى والتعريف ، ويقول فى ذلك الشيخ عبد الرحمن حبنكه الميدانى فى كتابه « الأخلاق الإسلامية عند كلامه عن وسائل اكتساب خلق الشجاعة : " الوسيلة الأولى : التدريب العملى بدفع الإنسان إلى المواقف المحرّجة التى لا يتخلص منها إلا بأن يتشجع ، وينبغى أن يكون ذلك بالمقدّار الذى يغذى خلق الشجاعة ولايزيد نسبة الجبن) (ج ٢ ص ٥٨٨) .

٤ - طريقة الإقناع . وللاقناع تأثير فعال فى غرس الأخلاق . فمن عرف معنى الشجاعة وفوائدها ومنافعها وخيرها ، ورذيلة الجبن ومضارها وأضرارها تكونت لديه عناصر مهمة مساعدة على تكوين خلق الشجاعة وأكتسابها . ولابد من وضع هذه وهذه فى كفتى الميزان ، ميزان الخير والشر والفضيلة والرذيلة وبذلك يقتنع الطفل اقناعا جيدا . عندما يشاهد أو يتعرف على النتائج والمحصلات .

٥ - القدوة الحسنة ، وعرض مشاهد الشجعان والابطال وذكر قصصهم وذلك لإشارة عنصر المحاكاة .

٧ - تعويد الناشئة على التقشف :

إن التقشف ليس بمعنى ترك الدنيا كلياً والسعى للآخرة ، وإنما أعني به إبعاد الناشئة عن الترف والراحة الزائدة عن الحد المعتاد . وللمسلم حق التمتع بالطيبات من الرزق ونعيم الدنيا ، بل واجب لأنه أولى الناس في ذلك لاتباع شرع الله تعالى ومنهجه والجهاد في سبيله . ثم إن الدنيا مزرعة الآخرة مهما تزرع في هذه الحياة الدنيا تحصد في الآخرة . والله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في سطح هذه الكرة الأرضية وجعل حياته ورزقه فيها وقدّر قوته عليها .

ومن المعلوم أن الجهاد يقتضى ترك الراحة وإنفاق النفقة والبذل والفداء والتضحية والبعد عن الملذات . والذي يتعود على الترف من الصعب جداً أن يترك هذه الحياة وينتقل إلى البساطة . إنها مسألة نفسية يحتاج المرء إلى جهادها وقليل من ينجح في ذلك إلا من رحم ربي .

ولا يفهم من قولنا هذا أننا ضد الغنى ، كلا ، إن الغنى شيء والترف شيء آخر . والغنى مطلوب في الشرع مستحسن فيه ، إن اليد العليا خير من اليد السفلى . والمؤمن غنيا فيعيش حياة كريمة معتدلة دون الترف والإسراف يعرف في حدود الشرع وفي المباحات دون المحرمات ينفق في سبيل الله تعالى . ثم إن الترف عادة يوءى إلى الخروج من جادة الصواب والخوض في المحرمات ، النفس البشرية تطفئ عندما استغنى .

وإذا نظرنا إلى المترفين في السابق نجدهم فاسقين ونهايتهم الهلاك ، والدمار قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الاسراء : ١٦) .

إن الترف يوءى إلى الإسراف والإسراف حرام شرعاً ومذموم طبعاً ، والأمة المجاهدة لا تكون مترفة ولا مسرفة . ولا يجتمع ترف وجهاد . بحال من الأحوال ، وإذا وجد أحدها انعدم الآخر . والترف والاسترخاء يحول بين المؤمن والجهاد .

كان النّبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام يعيشون بالبساطة بعيداً عن التكلف والتّرف والاسراف وكان الأغنياء منهم ينفقون أموالهم فى سبيل الله تعالى وكانوا رضى الله عنهم جميعاً يتسابقون فى الخيرات والإنفاق . والامثلة على ذلك كثيرة لاتحصى والمقام لايتسع لذكرها نكتفى بذكر مثال ، يعمّر حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إمام المجاهدين ، كما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها رواه الامام مسلم أنها قالت : (ماشع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام برّ ثلاث ليال تباعاً حتى قبض) (كتاب الزهد ، رقم ٢٩٧٠) .

فقد كان الصحابة الكرام رضى الله عنهم جميعاً يقاتلون وهم حفاة ، ولا يجدون الظّهر الذى يجعلهم ، وكانوا يأكلون أوراق الشجر كما جاءت فى الروايات الصحيحة . ولقد عوّدهم قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحياة البسيطة التى لاتكلف فيها بالتدريب العملى على تحمل المشاق وعلى التقشّف والبعد عن التّنعّم والتّرف استعداداً للبذل والعطاء والفداء والتضحية والجهاد .

ومن واجب الآباء المسلمين أن يربّوا أولادهم على الحياة البسيطة التى لاتكلف فيها وأن يعوّدهم على الاعتدال فى المأكل والمشرب واللباس وسائر متطلبات الحياة . ولانريد بذلك أن يحرمهم من الطيبات ولكن نريد أن لايتقلب الناشء فى النعيم الزائد ولا يسترسل فى الملهذات والطيبات ولا يسعى وراء الشهوات والمحرمات ينسى مهمته فى الحياة وهو غير قادر على تحمل مسؤولياته الملقة على عاتقه ، يفقد شخصيته وهويته وذاتيته ، وسرعان مايستسلم لمغريات الحياة الدنيا ونعيمها وتخمد فى نفسه روح الجهاد والسعى فى مناكب الارض .

وأن الواجب على الوالدين أن يسعيا دائماً جاهدين فى الحثوول ببيان أبناءهم والتّرف والتشاقل والاسترخاء حتى ينشئوا نشأة إسلامية معتدلة فى حياتهم استعداداً لتحمل أعباء الرّسالة بالمعبر والمصابرة والبذل والتضحية . وبذلك تحيا فى النفوس روح الجهاد فى سبيل الله تعالى بكل معانيها وتستقر .

٨ - تعويد الناشئة على النظام :

قبل الحديث عن النظام يجدر بنا أن نقدم كلاما موجزا عن الحرية. لان النظام نوع من تحديد الحريات ، إن الانسان بصفة عامة فى حاجة ماسة الى الحرية ، لأنه مفعور عليها ، والحرية حاجة من حاجات الطفل الأساسية يولد مزودا بها فلا بد من تهذيبها وتوجيهها. وإن إطلاقها دون قيود يفضى الى الفوضى والاعتداء على حقوق الآخرين وإحلال حريتهم ، والاسلام دين الحرية الحق ، لقد حدد للحرية حدودها وربطها بالعقيدة والأخلاق وبالحلال والحرام وبالمسئولية والحقوق وكل حرية فى الاسلام منوطة بمسئولية ، وعلى سبيل المثال ، إن حرية الأكل والشرب محدودة بالمسئولية عن الاسراف والتبذير وعن الشكر. مقابل النعيم قال تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الاعراف / ٣٠).

ثم إن الانسان ليس حرا مطلقا فى تصرفاته بالكلية وعلى سبيل المثال: ولادته وموته ومرضه ، فإنه تحت سلطان الله تعالى مطلقا ، فإنه يستسلم لهذه السلطة العليا ، ثم ان الشريعة الاسلامية ترسم حدود حرية الفرد وتوجهها. فهى المصدر الحقيقى الوحيد لجميع السلطات ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الاسلام قد نظم حياة المسلم كلها تنظيما دقيقا وذلك بالعبادات والمعاملات تنظيم فى أوقات الصلاة وتسوية الصفوف فيها وتنظيم فى الزكاة : مصاريفها ومقاديرها . الخ كلها بتنظيم من المولى تبارك وتعالى ومن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإذا نظرنا الى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة نجد أن أول عمل قام به تنظيم أمور الدولة وترسيخ دعائمها وتأسيس بناءها ثم تنظيم الجيش للجهاد فى سبيل الله تعالى . وكما كان صلى الله عليه وسلم يقوم بتسوية الصفوف قبل المعركة كما مر معنا فى حديثنا عن معركة بدر الكبرى فى الفصل الثالث من هذا البحث .

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ صُفُوفًا لِأَعْلَاءِ كَلِمَتِهِ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُومٌ ﴾ (العن / ٤١) .

وخلامة القول أن الاسلام دين نظام فقد نظم الله تعالى لنا حياتنا كلها، فقسم اليوم الى ليل ونهار وجعل لنا وظيفة ومهمة في كل قسم ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ النبأ / ١٠ - ١١ . وفي كل قسم من هذه الأقسام مهمات أخرى بالتنظيم الدقيق ، بعبارة أخرى إن الاسلام نظم أوقات المسلم كلها تنظيماً دقيقاً لا يعتريها الفوضى بشكل من الاشكال إذا التزم المؤمن بتعاليم ديننا وشعر بمسئوليته في الحياة .

ويقول في ذلك الشيخ سعيد حوى في كتابه جند الله (١٣٩٩ هـ) لبيان أهمية ضرورة النظام في حياة الأمة : " لا جماعة إلا بثبات ، ولا ثبات إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بقيادة ، وطاعة وانضباط " (ص ٢٥٦) .

ولاشك أن النظام ضروري لتكوين الجماعة ، وأن هذا النظام لا يتحقق إلا بالقيادة، والطاعة والانضباط الكامل .

ومن هنا يظهر بوضوح ضرورة تعويد الناشئة على النظام منذ الصغر من قبل آباءهم وأمهاتهم ومن يلي تربيتهم، ولتحقيق ذلك فإن على الأسرة اتباع مايلي :

- ١ - تربية نفوسهم على الطاعة كما سبق بيانه في بداية هذا الفصل .
- ٢ - تعويدهم على تقسيم أوقاتهم منذ الصغر مثل : أوقات الأكل ، والنوم واللعب .
- ٣ - تعويدهم على العبادات .
- ٤ - تعويدهم على التقيد بالمواعيد والتعاليم .
- ٥ - تدريبهم على بعض الأعمال التنظيمية في المنزل مثل : تنظيم المكتبة المنزلية .

٦ - إدراك الناشئ أهمية النظام في حياة المؤمن وضروريته ، ولزومه
لزوما قطعياً .

وبذلك يتعود الناشئة على النظام ، ينظم الواحد منهم أوقاته وأعماله في
مرضاة الله تعالى ، ويرى يقينا فائدة النظام فيما يطلع على ثمراته ونتائجه
الطيبة .

إن المؤمن بحاجة ماسة إلى النظام في حياته الجهادية ، لأن الجهاد
لا يتم إلا بالجماعة ، والجماعة لا تتحقق إلا بالتنظيم والانضباط الكامل تحت
قيادة موحدة ، والمؤمن الذي تعرف على قيمة النظام وتعود عليه في حياته
اليومية لاشك يكون حريصاً على تدعيم أوامر الأخوة بين المؤمنين عامّة
وبين صفوف المجاهدين خاصة ويبذل جهده كله لتوحيد الصفوف وجمع الكلمة
ويتألم من تفرق الكلمة وافتراق الصفوف .

٩ - تبصير الأولاد بحقيقة الجهاد فى الإسلام :

ومن أهم واجبات الأسرة هى تبصير أبناءهم بحقيقة الجهاد فى الإسلام . وقبل هذه العملية فلا بد من إدراك حقيقة الإسلام والدعوة الإسلامية ، لأن الجهاد إنما شرع لتحقيق أهداف الإسلام على وجه الأرض .

عندما يبلغ الطفل مرحلة الإدراك والتمييز يجب على الوالدين أن يبينوا له لماذا خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ؟ وما الهدف من الرسل السماوية وإرسال الرسل وإنزال الكتب ، فإذا أدرك الطفل عن سر وجوده فى الحياة ومهمة الرسل والأنبياء حينئذ يأتى بيان حقيقة الجهاد فى الإسلام وأهدافه وشمراته ، وأضرار القعود عنه ، لأن أهداف الجهاد فى الإسلام هى أهداف الإسلام نفسه ، وهى تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى على مستوى الأفراد والجماعات والأمم ، أو بعبارة أخرى نشر الدين الإسلامى وتبليغه إلى العالم جميعا أو بتعبير أدق إقامة منهج الله تعالى فى الأرض .

إن بيان هذه الحقائق وتبصير الناشئين بها بالغ الأهمية ، لأن الإسلام قد تعرض فى هذه الأيام لبعض التحريف من قبل الأعداء فى الداخل والخارج ومن قبل بعض الجاهلين عن حقيقة دينهم مما أدى إلى الالتباس على بعض عامة المسلمين . ومن هذا التحريف إن الإسلام عبارة عن المعتقدات والعبادات فقط وليس له علاقة بالدولة والسياسة ، وأن الجهاد إنما شرع للدفاع عن الوطن فقط ، وإن الإسلام إنما انتشر بالسيف . الخ من التحريفات التى قد أثرت تأثيرا بالغاً فى بعض ضعفاء النفوس من المؤمنين وفى بعض عامة الناس هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن دعاة القومية الوطنية يحاولون فى كل مرة النيل من حقيقة الجهاد الإسلامى .

فواجب الأب المسلم تبصير أبنائه بهذه الحقائق وذلك ببيان حقيقة الإسلام موضحاً بأن الإسلام دين دولة ، عقيدة ، ونظام ، عقيدة ، وسلوك ، وأخلاق . وأنه مصحف وسيف وأنه دستور الحياة ، وأن الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله

تعالى ، وأنه دفاعي وهجومي في نفس الوقت بالمفهوم الاسلامي، وأن الاسلام إنما انتشر بالحجة والبيان والبرهان والأخلاق أكثر مما انتشر بالسيف مع تقديم الأمثلة والنماذج والصور من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامي المجيد مراعيًا في ذلك عمر الطفل ومداركه وثقافته .

وقد سبق القول عن بعض أهداف الجهاد في الاسلام في الفصل الأول والثاني من هذا البحث .

ان هذه الخطوات خطوات نظرية أو خطوات يغلب عليها الجانب النظري بحيث لا يمكن الفصل بين الجانب النظري والجانب العملي في العملية التربوية في غرس الروح الجهادية في نفوس الأبناء من قبل آبائهم وأمهاتهم .

وأما الخطوات العملية أو التطبيقية فيمكن لنا ترتيبها كالتالي :

(١) أن يكون الآباء والأمهات قدوة حسنة لأبنائهم في حياتهم الجهادية :

=====

ان القدوة ذات أثر كبير في سلوك الناشئين ومن المسلم به أن الفرد يميل إلى الاقتداء بالآخرين يحاكيهم فيكتسب منهم أنواعا مختلفة من السلوك ، والطفل حين يجد في أبويه ومربيه القدوة - ايجابية أو سلبية - فإنه يحاكيها ويقتدي بهما في سلوكه ، ومهما حاول الأبوان أن يقدموا لأبنائهم من معلومات ، ومهما استخدموا من الطرق والوسائل ، فإن الغاية المرجوة لا يمكن أن تتحقق على الوجه الأكمل إلا بوجود مثال حي ، يقتفون أثره ويهتدي بنهجه . ولذلك كان من أهم مسؤوليات الوالدين أن يكونا نموذجا حيا وتطبيقيا عمليا لما يقوموا بتعليمه وتلقينه وتعويده ، بحيث يجعلون من أنفسهم قدوة حسنة لأبنائهم في جميع تصرفاتهم داخل البيت وخارجه .

إن الناشئ يحتاج دائما إلى القدوة الحسنة في أسرته لكي يتشرب المبادئ الإسلامية والأخلاق الحميدة منذ نعومة أظفاره ، ولذا ينبغي أن تكون أفراد الأسرة نظيفة من الشوائب وذلك لصيانة فطرة الطفل وتوجيهها لتوجيهها إسلاميا سليما .

«

»

يقول فى ذلك محمد قطب فى كتابه منهج التربية الاسلامية (١٤٠٤ هـ) :

" وحين توجد القدوة الحسنة متمثلة فى الأب المسلم ذات الدين فإن كثيرا من الجهد الذى يبذل فى تنشئة الطفل على الاسلام يكون جهدا ميسرا وقريب الثمرة فى ذات الوقت . لأن الطفل يتشرب القيم الاسلامية من الجو المحيط به تشربا تلقائيا وستكون تصرفات الأم والأب أمامه فى مختلف المواقف ، مع بعضها البعض ومع الآخرين ، نماذج يحتذى بها ويتصرف على منوالها . " (ج ٢ ، ص ١١٩) .

إن وظيفة الانبياء والرسل عليهم السلام لم تكن مقصورة على تبليغ الرسالة فقط بل كان كل رسول أو نبي يقوم بتطبيق رسالته على نفسه قبل تبليغها إلى الناس . وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقدوة الحسنة للبشرية جمعاء ، يرون فى شخصه الكريم الترجمة الحسنة للمنهج الاسلامي ، يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الاحزاب / ٢١) .

ولقد تمثلت فيه صلى الله عليه وسلم جميع المميزات والخصائص التي جعلت منه أكبر قدوة للبشرية كافة ، وهو الأصل فى الباب ، وأنه صلى الله عليه وسلم صاحب القدوة الحقيقية ، وكان يعلم أصحابه ويربّيهم بالقدوة والعمل . يعلم ويقول : (صلوا كما رأيتموني أصلي) ويحج ويقول : (خذوا عني مناسككم) ويصوم فى السفر ثم يفطر فى الطريق ويدعو بقاء فيرفعه فى يديه ليراه الناس . ولذلك حرص الصحابة الكرام كل الحرص على التأسي بنبيه والاقتداء بسيرته العطرة ، وبذلك أصبحوا قدوة للأجيال القادمة إلى يوم القيامة ، لأنهم خير أمة أخرجت للناس رضى الله عنهم جميعا .

فليعلم الآباء والأمهات بصفة خاصة والمربين بصفة عامة أن التربية بالقدوة الحسنة هى الأساس فى ترقية الولد نحو الفضائل والمكرمات ، وبدون هذه القدوة لا ينفج مع الأولاد وعظ ولا إرشاد ولا مجرد التلقين . وقد قال :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

ولا يمكن للطفل أن يكتسب صفة الصدق وهو يرى أبويه يكذبان ، ولا يمكن أن يكتسب صفة الرحمة والرفقة والحنان ، وأبواه يعاملانه بالقسوة والغلظة والشدّة والجفاء. والولد الذى يرى والديه منغمسين فى المعاصى والمنكرات فلا يتكون فى نفسه الطاعة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم. والولد الذى يشاهد والديه وهما يتقلبان فى النعيم والتّرف ويسعيان وراء شهواتهما وملذّاتهما فلا يمكن أن يتعود على حياة التقشف والبساطة والعفة. والولد الذى يرى والديه وهما لا يتفكّسان إلا فى مصلحتهما الشخصية وجمع حطام الدنيا ، ولا يهتمّان بأمور المسلمين ولا يلتفتان من بجانبهم فلا يمكن أن يعود على الجود والكرم والانفاق والفداء والتضحية ولا الشعور بالمسئولية والأخوة الاسلامية ولا .. ولا .. إن الجهود كلها تذهب دون جدوى . فلا بد من وجود القدوة الصالحة والحسنة فى الأسرة حتى تتم عملية التّربية والتعليم بشكل صحيح .

٢ - تحفيظ الولد سورة الانفال والتوبة والاحزاب وسورة محمد صلى الله عليه وسلم ونصوصا أخرى من آيات الجهاد مع شرح معانيها وبيان أسباب نزولها ليطلع الناشئ على أحكام الجهاد ومراحل وأهدافه وفضله . ولا شك أن حفظ هذه السور يحرك مشاعر الولد عندما يتعرف على تفاصيل أحداث المعارك البطولية والحروب المجيدة. وكما يتعرف الناشئ على مسيرة الحركة الجهادية فى عهد النبوة . لأن هذه السور والآيات كلها نزلت عقب المعارك التى حدثت بين الفئة المختارة من المؤمنين وبين جموع المشركين .

ثم إن هذه الآيات والسور الجهادية تتضمن كثيرا من التشريعات الحربية والإرشادات الالهية التى يجب على المؤمنين اتباعها فى قتالهم لأعداء الله تعالى ، كما تبين ما ينبغى أن يكون عليه المسلم من الشجاعة والبطولة والشهامة والإباء والشهم ، والوقوف فى وجه الباطل بكل شجاعة وجرأة، يتعرف على صفات المجاهدين فى سبيل الله تعالى فيتوجه إلى التحلى بهذه الصفات

الحميدة ، ويطلع على عوامل النصر وعوامل الهزيمة ، والطاعة والإنقياد .
للقيادة العليا فى السلم والحرب وكما يتعرف على الأعداء الداخلية فى
قلب الأمة الإسلامية وهم المنافقون .

ويعيش الناشء فى جو هذه السور حياة جهادية بطولية ، يزداد حماسة
وشجاعة وبطولة ، وبذلك تتكون فى نفسه الروح الجهادية الأميلة تحرك مشاعره
وعواطفه ويتعرف على أسلوب الدعوة الإسلامية ومنهجه وطرقه ، وقد رأينا عند
حديثنا فى بداية الفصل الثالث ان الصحابة الكرام رضى الله عنهم كيف
اتخذوا سورة الانفال نشيد القتال يقرؤونه قبل القتال ليزدادوا شجاعة
وثباتا عند اللقاء والشوق إلى الحصول إلى إحدى الحسينيين ، اما الشهادة
واما النصر . ويتخذ الناشء هذه السور الجهادية نشيد حياته طول عمره
يقرأها فى صلاته وبذلك يبني شخصيته على الجهاد والبطولة .

٣ - دراسة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامى للاطلاع على
مسيرة الحركة الجهادية وبيان المواقف الجهادية التى وقفها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والمؤمنون البواسل من بعدهم
طوال التاريخ الإسلامى المجيد . وتذكير الناشئ بصفة مستمرة بالمواقف البطولية
التى وقفها أبناء الصحابة الكرام من الشباب .

ان السيرة النبوية الشريفة بصفة خاصة وحياة الصحابة رضى الله
عنهم مليئة بالمواقف الجهادية التى وقفها رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمجاهدون الصحابة الذين تربوا فى المدرسة النبوية الشريفة على
يد إمام المجاهدين وقائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . لقد قدموا
أروع الأمثلة فى الشجاعة والبطولة والفداء والتضحية ، الذى يقرأ سيرتهم
فى هذا المجال يكاد لا يصدق لما وصلوا إليه من البذل بالنفس والمال
والأهل والوطن ، ويقف حائرا أمام مواقفهم ، ويسأل نفسه ما هى القوة
التي دفعت بهم إلى تلك المواقف ؟ ولأشك أنها قوة الإيمان ، وحب الرسول
صلى الله عليه وسلم . وكانوا رضى الله عنهم جميعا يتسابقون فى البذل
والعطاء والفداء والتضحية وخاصة الشبان منهم كانوا يتنافسون فيها .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نقدم مثالا لبعض المواقف البطولية التي وقفها أبناء الصحابة من الشباب .

روى الامام مسلم عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه قال :
(بينما أنا واقف في الصف يوم بدر نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار - حديثه أسنانهما . تمنيت لو كنت بين أضلع منهما فغمرني أحدهما ، فقال : يا عم . هل تعرف أبا جهل ؟ قال ، قلت : نعم . وما حاجتك إليه ؟ يا ابن أخي ؟ قال : أخبرته أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده . لئن رأيته لايفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منك . قال : فتعجبت لذلك فغمرني الآخر فقال مثلهما . قال : فلم انشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس . فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه . قال : فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه . فقال : (أيكما قتله) فقال كل واحد منهما أنا قتلت . فقال : (هل مسحتما سيفيكما ؟) قالا : لا . فنظر في السيفين فقال : (كلاكما قتله) وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح (والرجلان : معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء) (كتاب الجهاد : رقم ١٧٥٢) .

إن هذا موقف مثالي لشباب الصحابة في الجهاد أن نفوسهم لا ترضى أبدا إلا بروءيتهم لاعداء الله ذليلين مقتولين وأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تجري في عروقهم ودماءهم وكل واحد منهم يتمنى أن ينال الشرف شرف قتل فرعون هذه الامة . إن هذا لشرف عظيم يستحق كل التقدير والفخر والاعتزاز .

وعندما يسمع الناشء هذه القصص البطولية من الشباب من أمثالهم فهو بلا شك يتمنى أن يكون في مكانهما ، وكما أنها تحرك مشاعره وعواطفه نحو الشجاعة والفداء والبطولة سيتخذهم أسوة وقدوة لنفسه ، ويذكرهم في كل مناسبة ، ويقيس نفسه بهؤلاء الأبطال من شباب الصحابة الكرام ، وبذلك يتعرف على موقفه من الشجاعة والبرسالة والاقدام .

وأَكْبَرُ فائدة من ذكر هذه القصص هي تقوية عنصر الاقتداء والتأسي عند الناشئ وربطه بالجيل المثالي من هذه الأمة ، ليهتدى بسلوكهم وأخلاقهم وبطولاتهم ومشاعرهم ومحبتهم لله تعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة مصدر هذه القوة الدافعة إلى تلك المواقف بكل جرأة وشجاعة ، وكيفية تربية النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تلك المعاني النبيلة .

إن كتب السيرة النبوية والمغازي فائضة الذكر بذكر هذه الأمثال والأخبار والمواقف الجهادية . وأما كتب التاريخ الاسلامي ففيها مئسسات وآلاف من أصحاب القدوة والدعوة والفداء والتضحية ماتفتخر به الأجيال على مر العصور .

إن فائدة الاطلاع على تاريخنا الحافل هي معرفة حركة الدعوة الاسلامية وسير الجهاد الاسلامي والوقوف على نقاط الضعف والاختلاف والتمزق وعلى أسباب الوحدة والاتفاق بين المسلمين بمصفة عامة . ويتعرف الناشئ على مواقف المجاهدين البطولية عبر العصور وتتكون لديه الشعور بمسئولية نشر الدعوة الاسلامية والجهاد في سبيلها ، ويتخذهم قدوة لنفسه فلا يتكاسل في مهمته نحو الجهاد في سبيل الله تعالى في الوقت الحاضر .

٤ - تعويد الناشئة على الانفاق في سبيل الله تعالى منذ صغرهم ——— وذلك بتعويدهم على الجود والكرم والايثار والبذل وإبعادهم عن البخل والشح والإسراف إن الاسلام شجع على البذل والجود والكرم والسخاء وكما ابتعد في هديه عن المن والأذى والرياء ونفر من البخل والشح والإسراف والمسلم كريم يوءثر إخوانه على نفسه ويقدم من كسبه الحلال إلى إخوانه الاتقياء العالحين وينفق ماله في مرضاة الله عز وجل ويقرض الله قرضا حسنا ، ويبذله بسخاء في سبيل الله تعالى .

إن الجود والسخاء يتمثلان فيمن اصطفى الله من عباده كالنبيين ——— والعديقيين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وقد حث

رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على الانفاق في سبيل الله -
 أحسن ما يحبون ، قال تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ
 وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران / ٩٢) .

وكان بذل الصحابة الكبرام مضرب الأمثال . والامثلة على ذلك كثيرة
 لاتحصى ، ولقد خذر الاسلام من البخل والشح ، لأنه يقطع الاوامر ويحبط الاعمال ،
 ولا يورث إلا التباعد والتباغض والتحاسد . ان النفس الشحيحة لن تعدر عنها
 خيراً والنفس المجديبة لن تستطيع التأشير والإفادة ، ولو زعم صاحبها أنه
 من كبار الدعاة الى الله تعالى .

والواجب على الوالدين أن يفرسوا خلق الكرم والسخاء والجود في نفوس
 الناشئة . فالنفس التي تعود على البذل ، ستكون باذن الله نفساً خيرة معطاءة
 مجاهدة في سبيل ربها مرتفعة على شهوات الدنيا وملذاتها ومغرياتها .

ولأجل ذلك يجب على الابوين جهر الناشئ يدرك أن هذه الدنيا دار ابتلاء
 بالنفس والعمال . ان المال مال الله تعالى وأن الموءمن يحاسب عيئته
 في الآخرة يسأل من أين اكتسبه وفيما انفق . والله تعالى أمرنا بالانفاق
 على النفس والأهل ووجوه الخير وفي سبيل الله تعالى . يجب عليهم أن لا يكتفى
 بهذا التلقين فلا بد من إدراك الناشئ فضل الكرم والسخاء والبذل ومضار
 البخل والشح والاسراف وأن يكون قدوة حسنة لابناءهم في التحلى بهذه الصفات .

هـ - الحفاظ على صحة الأبناء وتربيتهم جسمياً وعقلياً ونفسياً :

ان الطفل بحاجة ماسة الى من يقوم بعنايته ورعايته ، لانه يولد ضعيفاً
 لا يقدر بنفسه على رعايته والقيام بأمره ، فهو بحاجة الى التغذية وإلى
 الرعاية الصحية والجسمية . ومن المسؤوليات الكبرى التي حملها الإسلام على
 الوالدين مسئولية التربية الجسمية لينشأ الأولاد على سلامة الأبدان وقوة
 الأجسام وعلى مظاهر النشاط والحيوية .

وقد أوجب الاسلام على الأب مسئولية وجوب النفقة على الأهل والولد . قال
 تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة / ٢٢٣) .

وهذه النفقة تشمل الغذاء الصالح والمسكن الصالح ، لينشأ الأولاد على صحة كاملة بعيدة عن الأمراض والأسقام .

ولذلك يجب على الآباء والأمهات أن يرشدوا أبناءهم إلى التقيد بالتعليمات الصحية النبوية الكريمة مثل: الاعتدال في المأكل والمشرب وغسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والإهتمام بالنظافة في المأكل والملبس والسكن ، والأخذ بالوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد . وكما يجب عليهم أن يراعوا في ذلك التعليمات الطبية الحديثة للحفاظ على صحة الابناء حتى ينشأوا خالين من الآفات المرضية والأمراض السارية المعدية وهذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الطفل بحاجة إلى اللعب وممارسة الرياضة لتنميته جسميا وروحيا ونفسيا وعقليا ، لأن الرياضة تساعد على النمو الجسمي والذهني .

ولقد اهتم الاسلام بالتربية الرياضية اهتماما بالغاً وذلك لتحقيق هدف واحد وهو إعداد المؤمن إعداداً كاملاً للقيام بأعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى ، ويقول في ذلك محمد الغزالي في فقه السيرة () " وتمشياً مع توجيه الوحي وسياسة الواقع وحفاظاً على حق الله وحق الحياة درّب النبي صلى الله عليه وسلم رجاله على فنون الحرب واشترك معهم في الاستعداد للمعارك وعدّ السعى في هذه الميادين خطوات من أجل القرب وأقدس العبادات ، ولعله بذلك يفل شوكة الكفر ويكسر عن المسلمين أذاه " (ص ٢٢٢) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على أن يتدربوا على السباحة والفروسية والرمي ، وقد سبق في حديث عقبه بن عامر البجلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كيف فسر القوة بالرمي مجرد الرمي دون تقييد .

وروى الامام مسلم رحمه الله تعالى عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستفتح عليكم أرضون ، ويكفيكم الله ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه) : (كتاب الامارة رقم : ١٩١٨) .

وعنه أيضا انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علم الرمي ثم تركه ، فليس منا أو قد عصى) (مسلم : كتاب الامارة ، رقم ١٩١٩) .

وأخرج الامام البخارى عن مسعدة بن الاكوع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على نفر من أسلم ينتظون فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ارموا بنو اسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنسا مع بنى فلان ، قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال عليه الصلاة والسلام : مالكم لاترمون . قالوا كيف نرمى وأنت معهم فقال صلى الله عليه وسلم ارموا فأنا معكم كلكم) : كتاب الجهاد رقم ٢٧٤٣ .

والاخبار فى ذلك كثيرة لاتحصى وقد رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتناء الخيل والقيام عليها لما فيها من الأجر والغنيمة والقوة المرهبة لاعداء الله وقد وردت أحاديث كثيرة فى ذلك وسبق ذكر بعضها .

وهذا يدل على أن الإعداد الجسمي والتنميمة بالتدريب العملى أمر ضرورى فى منهج التربية الاسلامية ، ثم ان الجهاد مشتق من المجاهدة والمكابرة لشدة ما فيه من المهام والأعباء والبأس والشدائد والمعاناة والمخاطر والمخاوف . وكما يحتاج الى أجسام قوية وعزائم وهمم عالية متينة كالجبال الرأسخات الشامخات .

فلا بد إذا من إعداد الأجسام المناسبة والملائمة للجهاد ومن ثم تدريبها لتتعرض على الصعاب وتتعود على المكاره حتى لايفاجأ بها لم يكن بالحسبان . ومن الأهمية بمكان أن الرياضة فى الوقت الحاضر تمارس بعيدة عن السروج الاسلامى وعن الآداب الاسلامية بحيث توعدى الى الانتصار الزائف والتنافس غير الشريف وتبث بذور الشقاق والتنافر بين أفراد هذه الامة . تمارس الرياضة لأجل الرياضة فى كثير من المجتمعات الاسلامية دون مراعاة الآداب الاسلامية . ولاشك أن هذه من مخططات اعداء الاسلام لإبعاد الشباب المسلم عن رسالته ومهمته فى الحياة .

والواجب على الوالدين خاصة وعلى المربين وعلى المسؤولين عن تربية

الشباب عامة ان يراعوا فى الرياضة الروح الاسلامية والآداب الاسلامية الشريفة، وذلك بتشجيع الناشئة على الحماس والتنافس الشريف بروح أخوية إسلامية بعيداً عن التحاسد والتباغض والتنافر والشتائم ، مراعين فى ذلك آداب اللباس وستر العورة والابتعاد عن الاختلاط بالنساء الخ ممن الآداب الشرعية التى تجب مراعاتها ، ثم ان الرياضة فى الاسلام هدفها اعداد المسلم جسدياً للقيام بمهمته فى الحياة خير قيام وتوفير اللياقة البدنية والعسكرية للجهد فى سبيل الله تعالى .

وخلاصة القول فى واجب الأبوين نحو أبناءهم فى تربيتهم الجسمية :
أولاً : إشباع حاجاته الضرورية من التغذية والرعاية الصحية بالأساليب الوقائية. وأود أن أقول فى هذا المقام أن الأساليب الوقائية فى الرعاية الصحية تنحصر فى عدة نقاط :

١ - الاهتمام بتغذيتهم ونظافتهم وفقاً للقواعد الصحية .

٢ - تبصيرهم بطرق الوقاية من الأمراض .

٣ - تجنبهم من العادات السيئة ، مثل التدخين ، والمسكرات ، والمخدرات والشذوذ وذلك بتكوين الوعى الدينى والوعى الصحى والاجتماعى لديهم بطرق علمية .

٤ - مراقبتهم ومتابعتهم فى سلوكهم وأخلاقهم .

ثانياً : تنمية أجسامهم بالممارسات الرياضية بروح اسلامية عالية وبروح جهادية باسلة .

٦ - الاهتمام بشئون المسلمين عامة وبالقضايا الاسلامية الراهنة :

لقد سبق وان قلنا أن المسلم أخ المسلم ، والمؤمنون جميعا يجمعهم رابطة الأخوة الدينية على اختلاف سنتهم وأجناسهم وأوطانهم ، المؤمن للمؤمن كالبنيان وكمثل الجسد الواحد . فلا بد للمؤمن أن يهتم بأخيه المسلم يشترك معه في حزنه وسروره يتألم بآلامه ويؤثره على نفسه .

ان الاهتمام بالمؤمنين لايعنى التعرف على اسماءهم وصفاتهم وانما يعنى المسئولية ، وحب المشاركة الوجدانية المخلصة فى حل مشكلاتهم وقضاياهم .

يقول فى ذلك سعيد حوى فى كتابه جند الله (١٣٩٩ هـ) : " والاهتمام بأمر المسلمين يشمل معرفة بلدانهم ، وأحوالهم فى بلدانهم ، والمؤمنات عليهم والدوائر التى تكيد لهم والمصائب التى تنزل بهم ، وهذا كله لا يتم بلا معرفة مباشرة وتحسن مباشر ، وتألم مباشر وتجاوب دائم " ص ١٤١ .

وكذلك معرفة توزيع المسلمين فى العالم ومعرفة أوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحركات الاسلامية ومعرفة علاقاتهم مع أخوانهم فى العالم .

ان الاهتمام بأمور المسلمين دليل الإيمان ، ومن ثمرات الإيمان ومقتضياته قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْيَكُمْ ﴾ (الحجرات / ١٠)

والمؤمنون أمة واحدة ، هدفهم واحد ومصيرهم واحد . ومن مقتضيات هذا الإيمان فى هذا العصر الاهتمام بأمور المسلمين سواء كانت داخل المجتمع الاسلامى أو خارجه وفى كل بقعة من بقاع الأرض فيها مؤمنون .

ولعل أولى الناس بنصرتنا هذه الايام إخوان لنا تحت ظلم الاحتلال يقاسون من آلامه مايمعب وصفه ، ان نعمة اخواننا فى الاراضى المحتلة فى

فلسطين واجب مقدس على كل المسلمين . إن قضية أفغانستان هي قضية إسلامية محضة ، غزاها الشيوعيون الملحدون لطمس العقيدة الإسلامية والمعالم الإسلامية ، لقد قام ويقوم المجاهدون الأفغانيون بجهادهم منذ عشرة سنين بإمكاناتهم المادية والمعنوية . وإن دعمهم ومساندتهم واجب على كل مسلم وكذلك اخواننا في الفلبين وأرتيريا والأقليات المسلمة في روسيا وبلغاريا وأفريقيا وسائر بقاع الأرض يستمدون من إخوانهم في الدين كل العون والمساندة . والتأييد ولذلك يجب على كل مسلم الاهتمام بأمور إخوانه في كل مكان وفي كل زمان للتعرف على أحوالهم ومشكلاتهم وقضاياهم ، ودعمهم دون ملل أو كلل حتى يأتي نصر الله تعالى .

ومن الجدير بالذكر أن أعداء الله من اليهود والنصارى يبذلون جهودهم كلها لنشر عقائدهم الفاسدة . وأفكارهم الباطلة . والذي يلقي نظرة على مخططات الصهيونية العالمية والتبشير العالمي يدرك تمام الإدراك واجبه . في هذه الحياة وهم يسعون بكل جدٍ وإخلاص في سبيل الباطل ، فمما لأهل الحق لا يسعون في سبيل الحق !

ومن واجب الوالدين أن يكونا على وعى تام بمهمتهم نحو إخوانهم في الدين وأن لا يقطعوا علاقاتهم وروابطهم بحال من الأحوال عن العالم الإسلامي الذي يمثل كيانا واحداً وأمة واحدة .

والولد الذي يرى والده لا يلتفت إلى من حوله من المسلمين ولا يتألم بآلامهم بل لا يفكر إلا في مصلحته الشخصية ، لا يستطيع أن يتربى على الأخوة الإسلامية وعلى البذل والفداء والتضحية .

والولد الذي يرى والده وهو يتقلب في النعيم ويسعى وراء شهواته وملذاته ومصرف ماله فيما لا يرضى الله لا يتعلم العفة والإيثار والعطاء والانفاق في وجوه الخير ، لأنه لم يتعود عليه ولم يره في أسرته .

ومن هنا يظهر بوضوح أهمية القدوة الحسنة في التربية ، إن الطفل الذي يشاهد والديه يهتمان بأمور المسلمين ويتابعان أخبارهم ويقدمان لهم كل العون والمساعدة . لا بد يتأثر بسلوكهما وينشأ على هذا الشعور إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

(واجب المدرسة في التربية الجهادية)

ويشتمل هذا المبحث على :

* مقدمة في مكانة المدرسة في التربية عامة وفي التربية الجهادية خاصة .

* الخطوات النظرية في دور المدرسة في التربية الجهادية وهي :

- ١ - تقوية الإيمان وترسيخه في نفوس التلاميذ بالوسائل المختلفة .
- ٢ - تزكية نفوس الناشئين بالعبادات والأخلاق الحسنة .
- ٣ - غرس خلق الشجاعة والجرأة والرجولة والخشونة في نفوس التلاميذ .
- ٤ - تعويد التلاميذ على النظام .
- ٥ - غرس روح الاستشعار بالمسؤولية وتنمية الروح الجماعية لدى التلاميذ .
- ٦ - غرس روح الفداء والتضحية بالنفس والمال في أذهان التلاميذ .
- ٧ - إدراك معنى الولاء والبراء في نفوس التلاميذ .

* الخطوات العملية في دور المدرسة في التربية الجهادية وهي :

- ١ - دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم .
- دراسة أحاديث الجهاد في كتب الحديث .
- دراسة فقه الجهاد في كتب الفقه .
- دراسة شعر الجهاد في كتب الأدب .
- ٢ - دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة واعية .
- ٣ - دراسة التاريخ الاسلامي بشكل عام بصبغته الاسلامية ، وذكر
- قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين .
- ٤ - التربية البدنية للفرد .
- ٥ - حفظ التلاميذ عن أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي .
- ٦ - الاستفادة من المسرح المدرسي .
- ٧ - جمع التبرعات المالية دعماً للحركة الجهادية وتعويدهم على الانفاق في سبيل الله تعالى .

✧ مكانة المدرسة في التربية :

إن المدرسة هي المؤسسة الثانية التي تتسلم الناشئة من البيت، وتقوم على تربيتهم وتعليمهم وتنشئتهم وفق المناهج التي رُسمت من قبل المسؤولين عليها . وهي مؤسسة وتنظيم اجتماعي ، أنشأها المجتمع خاصة لتربية الأجيال وتعليمها . وهي مؤسسة متخصصة خُصصت للتربية والتعليم بطريقة علمية منظمة ومنسقة . وأنها بيئة تربوية موسعة تضم جميع أبناء المجتمع دون تفريق .

إن دور المدرسة واضح جلي في تثقيف الناشئة وتربيتهم بما تقدمه لهم من خبرات منظمة ومتنوعة وأنشطة مختلفة ، ومعلومات تغطي مختلف مجالات المعارف الإنسانية، كل ذلك في إطار حكمة تربوية تنبثق من الأطار العام لأهداف المجتمع وحياته ، وحاجات التلميذ ومتطلبات الحياة . ولاشك أن الحكمة التربوية الإسلامية منبثقة عن الغايات والأهداف التي وُجد الإنسان من أجلها في ضوء علاقاته مع خالقه ، والكون والحياة ومع أخيه الإنسان .

ولذلك تتأثر المناهج والأساليب والوسائل إلى حد ما بهذه الحكمة التربوية التي تنبثق عن الأهداف العامة للمجتمع ، وعلى سبيل المثال : إن المجتمع الإسلامي من الضروري أن يضع أهدافا عامة يسعى إلى تحقيقها من خلال العملية التربوية ، وهذه الأهداف هي نفس الأهداف من إرسال الرسل وانزال الكتب والجهاد في سبيل الله تعالى ، إذن أن هدف التربية الإسلامية هو تحقيق العبودية لله تعالى على وجه الأرض على مستوى الأفراد والجماعات والأمم وتحقيق السعادة للبشرية جمعاء . إن الإسلام دعوة ورسالة ، ولا بد من وضع الأهداف والغايات في المؤسسات التربوية لإخراج الدعاة وأصحاب رسالة ، وبعبارة أخرى أن الحكمة التربوية أو فلسفة التربية منبثقة عن عقيدة المجتمع ودينه . ونظامه السياسي ونظريته إلى الإنسان والكون والحياة ، ومن هنا أن فلسفة التربية الإسلامية منبثقة عن الإسلام .

والمجتمع الشيوعي يسعى إلى تحقيق أهداف ايدولوجية الشيوعية في العملية التربوية ، وبناءً على ذلك يضع الأهداف والغايات وينظم المناهج ويستخدم الوسائل والأساليب لإخراج مواطن شوعي موالي لنظامه وحكامه ، وكذلك المجتمعات الرأسمالية وغيرها من المجتمعات يسعون إلى تحقيق أهدافها من خلال مؤسساتها التربوية .

اذن أن المدرسة وجدت أصلاً لتحقيق أهداف المجتمع بطريقة منظّمة منسقة مبسّطة وذلك بتنشئة جيل يحقق أهداف ذلك المجتمع .

ثم إن المدرسة واسطة مــــن وسائط التربية، لها وظائف عدّة وخصائص مختلفة ، يقول في ذلك عبدالرحمن النحلاوي في أصول التربية الإسلامية^(١) (١٣٩٩ هـ) مقارناً بين وظائف المدرسة الغربية وبين أهداف التربية الإسلامية :

" إن الوظيفة الأولى للمدرسة التبسيط والتلخيص، بحيث أن الناشئ بحاجة ماسة إلى تقريب المبادئ التي بنيت عليها الحضارة المعاصرة، وتبسيطها بحيث يستطيع فهمها والتعامل معها، والوظيفة الثانية هي التصفية والتطهير ومعناها تطهير الأفكار والعلوم من الشوائب والعواطف الكاذبة . والمدرسة تقدم الأفكار أو العلوم إلى الناشئة بعد تصفيتها وتنقيتها من كل الشوائب والأكاذيب، والوظيفة الثالثة توسيع آفاق الناشئ وزيادة خبراته بنقل التراث إلى الأجيال ، والرابعة وظيفة الصهر والتوحيد وإيجاد التجانس والتأليف بين الناشئين وأما الوظيفة الخامسة هي تنسيق الجهود التربوية المختلفة وتكميل مهمة المنزل التربوية " . (ص ١٣٥ - ١٤٦) ، ثم قام بمقارنة هذه

الوظائف بأهداف التربية الإسلامية .

ومما لاشك فيه أن هذه الوظائف المنوط من المدرسة القيام بها متضمنة في التربية الإسلامية ، ومن ذلك على سبيل المثال :

إن وظيفة التبسيط والتلخيص هي قاعدة أساسية في منهج التربية الإسلامية ، ولقد جاء في حديث رواه مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدا من أصحابه في بعض أمره ، يقول : (بَشِّرُوا وَلَا تَنْفَرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تَعْسِرُوا) (كتاب الجهاد ، رقم : ٧٣٢) . فأما وظيفة التصفية والتطهير ، وهي من طبيعة التربية الإسلامية ومن أهم أهدافها ، ولذلك حارب الاسلام البدع والخرافات والأساطير ونهى عن التشائم والتطير . ولقد إهتم الاسلام إهتماما بالغا بتطهير العقل والنفس ، وهذه من أهم سمات هذا الدين الحنيف .

وكذلك نقل التراث وإيجاد التجانس والتأليف بين الناشئين وهي من أهم خصائص هذا الدين ، ومن أهم مميزات التربية الإسلامية . لا توجد أمة على وجه الأرض أشد تمسكا بتراثها من هذه الأمة الإسلامية ، وخير شاهد على هذا إهتمام الأمة بإحياء تراثها وذلك بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها وطبعها بعناية فائقة . إن هذه المبادئ من أهم خصائص المدرسة الإسلامية التي يجب على المسؤولين والمؤسسات التعليمية في البلاد الإسلامية - تنفيذًا وتخطيطًا - مراعاتها في المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم والتربية .

ثم إن المدرسة لها وظيفة أخرى وهي ترسيخ الأخلاق والقيم في نفوس الناشئين ، إن العملية التربوية تعتبر - في الأساس - عملية خُلُقِيَّة ، تقوم على القيم ، وتنمي الأفراد عليها ، ثم إن هذه القيم يجب أن تتخلل جميع المناهج الدراسية ، إذ لا بد أن تسيطر على كل ميادين الدراسة ، ومن الجدير بالذكر أن الأخلاق والقيم في الاسلام ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا تختلف من شخص إلى شخص .

إن غرس هذه القيم لا يتم إلا بإشعار التلاميذ بأهمية هذه القيم بالنسبة لهم وبالنسبة للجماعة التي ينتمون إليها ، وربطها بالقدوة الصالحة المتمثلة في المعلم الخير الكفء الذي يكون في درجة عالية من المهارة والإتقان .

والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشئ ، يحاكيه سلوكيا ويقتدى به خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر ، ولا يكفي أن يكون معلم واحد في المدرسة قدوة حسنة للناشئين ولا بد أن تتمثل هذه الصفة في جميع المعلمين لئلا يضطرب هذا المفهوم في نفوس الناشئين .

إن للأطفال حاجات نفسية وهي لاتقل أهمية عن الحاجات الجسمية ، وأن الصحة النفسية لاتنفصل عن الصحة الجسمية ، هذا ما يقرره علماء النفس المعنيون بالطفولة ولا بد من مراعاة هذه الحاجات في المناهج المدرسية وفي معاملة المعلم لتلاميذه ، وأما بعض هذه الحاجات فقد ذكرها عبد الرحمن الباني في كتابه : «مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام» (١٤٠٣هـ) ، وهي : " الحاجة إلى المغامرة والمخاطرة ، والحاجة إلى الأمن والطمأنينة والمحبة والعطف والتكريم والتقدير والحرية ، والحاجة إلى سلطة ضابطة وموجهة ، والحاجة إلى النجاح والتشجيع " (ص ٤٧)

وهذا يقتضى أن يكون المخططون للمناهج والمعلمون على إمام كاف بعلم نفس النمو وخصائص ومميزات مراحل الطفولة والشباب ، وهذه إحدى صفات المعلم الكفاء الذي يجب أن يتصف بالمهارات المهنية في مجال التربية والتعليم .

وخلاصة القول أن المدرسة مؤسسة متخصصة في التربية والتعليم ، وأوجدها المجتمع لتعليم أبنائه وتربية أجياله ، وهي تقدم للتلاميذ المعلومات والمعارف والخبرات المختلفة والمصاحبة بالأنشطة المتنوعة وكما هي ترمي إلى تنمية الناشئ من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية والجمالية والنفسية وإعداده إعدادا كاملا للحياة بالطرق والأساليب التربوية المختلفة .

✽ مكانة المدرسة في التربية الجهادية :

وقد قلنا في الصفحات الماضية من هذا البحث أن شباب الإسلام شباب دعوة و جهاد ، يتأسون بالصحابة الكرام في جهادهم في كل ميدان ومعركة ، وصراعهم الدائم مع الأعداء ، ومقاومتهم الباطل في كل مكان بوسائل الجهاد وأسلحته كلها . إن الصحابة رضي الله عنهم جميعا قد تربوا في مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم بتربية جهادية ، والمدرسة لابد لها من أهداف ، ومناهج ومحتوى ، ومعلمون . وكانت أهداف تلك المدرسة هداية العالم بنور الاسلام وكانت مناهجها الكتاب والسنة ، ومعلمها معلم البشرية كلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى يديه تخرج هؤلاء الأبطال الذين باعوا أنفسهم لله تعالى رخيصة بجنة عرضها السموات والأرض ، نشروا هذا الدين بأخلاقهم وأدبهم قبل سيوفهم إلى العالم .

وقد درج المسلمون من بعد ذلك على إنشاء المدارس لتربية الأفراد المسلمين مقتدين بالرسول صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه رضي الله عنهم ، ولقد مكّنهم ذلك من إقامة حضارات اسلامية لها شهرتها ووزنها ، وكانت لها الغلبة على كل الحضارات في حينها ✽ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون (البقرة / ١٣٤) . ولقد أدى أسلافنا رحمهم الله تعالى جميعا مهمتهم وقاموا بواجبهم نحو دينهم وأمتهم ، ولذا علينا أن نكون خير خلف لخير سلف . إننا لسنا بمسؤولين عنهم ، وإنما نسأل عن أنفسنا وعن أداء واجبنا وعن إمكانياتنا ، هذا ما يهّمننا في الدرجة الأولى في هذه الأيام . والمنهج هو المنهج موجود بين أيدينا ، كتاب الله كيوم نزل محفوظا في الصدور ومسطورا في السطور ، والأهداف منبثقة منه وهي جليلة كالشمس والمعلمون هم العلماء والأمراء وكبار المسؤولين من هذه الأمة وهم موجودون والطرق والأساليب كما هي في الكتاب والسنة ، وزيادة على ذلك أن هذه الطرق والأساليب والوسائل التربوية قد تطوّرت . إذن ماهي أسباب الضعف والفشل ؟ والجواب على هذا السؤال سهل ، يعرفه العامة والخاصة ، هو ضعف الهمم وعدم الإخلاص والتبعية للغرب والشعور بالعجز ، عدم الثقة بالنفس وعدم الشعور بالمسؤولية . ومادام كل أركان العملية التربوية موجودة فما ينقصنا ؟

وقد تأسست عدة مدارس على الطراز الاسلامي في بعض البلدان الاسلامية وتم تخريج الآلاف من الشباب على أمل إحياء الروح الجهادية وإذكاءها من جديد، ولم تثمر الجهود المبذولة كما ينبغي ، إذن أين التقصير؟ وفيمن؟ وللإجابة على ذلك ، فلا بد وأن نلفت النظر إلى نقاط الضعف في هذه العملية ، وأن نبحث عن جذور المشكلة وأصولها .

إن التقصير إما أن يكون في التخطيط ، وإما أن يكون في التنفيذ أو في كليهما معاً، وفي رأي أن أسباب فشلنا تكمن أولاً في سوء التخطيط، أخذنا مناهج الغرب بكل حذافيرها دون الانتقاء والاختيار وقد طبقناها في مدارسنا ، وقد غفلنا أن تلك المناهج متشعبة بأهداف الغرب وأخلاقه وقيمه وتقاليده وبظروفه الخاصة .

ومن الجدير بالذكر أن العلوم الاجتماعية بصفة خاصة والعلوم الإنسانية بصفة عامة وثيقة الصلة بالدين والقيم ، وحتى العلوم التجريبية والطبيعية ولها علاقة وثيقة بالباحث ، ومن المستحسن أن نضرب مثلاً للايضاح ؛ أن خالق الكائنات والكون هي الطبيعة نفسها ، وأن الطبيعة وجدت هكذا صدف في نظر الغرب ، وهذا الفكر فكر إلحادي ، تسرب إلى مقرراتنا ومناهجنا في مدارسنا بسبب بعض المترجمين الغافلين . وهو ، يخالف عقيدتنا الاسلامية ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثانياً ، في التنفيذ ، حيث تدرس جميع المناهج الدراسية في أغلب بلدان العالم الاسلامي بعيداً عن الروح الجهادية بمعنى أن المعلم لا يشعر بتلاميذه بأنهم أصحاب دعوة ورسالة وجهاد ، وأن دراسة جميع هذه المقررات ترمي في النهاية إلى اخراج جيل مسلم متمسك بدينه وعقيدته ويسعى إلى نشر دينه والدعوة اليه والفداء والتضحية في سبيله . وإنما يقدم لتلاميذه المعلومات النظرية دون العملية والتطبيقية .

إن هذا مخالف لأسلوب السلف رحمهم الله ، إذ كانوا لا يفرقون بين القول والعمل وبين النظرية والتطبيق ، كانوا رهباناً في الليل

وفرسانا بالنهار ، ولقد حملوا القرآن بأيديهم، والسيف بالأيدى الأخرى
وانطلقوا إلى مواقع العزة ومنازل الشهداء .

والمؤمن جندي من جنود الحق ، ومجاهد في سبيل الله تعالى أينما
كان وحيثما كان، دون النظر إلى عمله أو موقعه أو تخصصه ، وهو مسئول
عن الدفاع عن عقيدته ونشرها وأن يقدم تضحيات في سبيلها ، ولابد من
إعداد الأجيال على هذه الروح والشعور ، وأن النصيب الأكبر في هذا على
عاتق المسئولين عن التربية والتعليم ، ولاشك أن المدرسة هي المؤسسة
المتخصصة في ذلك كما سبق بيانه .

إذن فلا بد من إعداد الأجيال المسلمة على تربية جهادية من خلال
مدارسنا في جميع مراحلها بالأساليب المناسبة والطرق الملائمة والأنشطة
المختلفة . ومن خلال الصفحات التالية يقوم الباحث إن شاء الله تعالى
- بتحديد واجب المدرسة بشكل عام - دون النظر إلى اختلاف المراحل
الدراسية - بأمل المساهمة في تضافر الجهود نحو بناء تكامل الشخصية
للفرد المسلم . والله المستعان .

١ - تقوية الإيمان وترسيخه في نفوس التلاميذ :

ذلك بالوسائل المختلفة ، وما يترتب على الإيمان من مسئوليات والتزامات دينية وأخلاقية واجتماعية وانسانية وسياسية .

إن المدرسة مؤسسة متخصصة في التربية والتعليم كما قلنا، ولذلك فلا بد وأن تسعى إلى تقوية الإيمان وتنميته وترسيخه في نفوس التلاميذ بطرق علمية صحيحة وبالوسائل والأساليب المختلفة .

إن الإيمان يترتب عليه مسئوليات والتزامات ، منها الالتزامات الدينية في الدرجة الأولى. كما سبق وأن قلنا أن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ماوقر في القلوب وصدقته الأعمال ، والإيمان هو الانقياد بالظاهر والطمأنينة بالباطن والعمل بحسب الأمر والنهي رغبة ورهبة .

إن الإيمان يدعو إلى العمل والقيام بالعبادات على أحسن الوجه كما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وإذا قال العبد ((لا اله الا الله محمد رسول الله)) يلتزم بتعليمات الإسلام وأوامره ونواهيه كلياً . لا بد أن يؤدي الصلوات الخمس والصيام والزكاة والحج ، وذلك من مقتضيات إيمانه .

وكذلك من الإلتزامات الأخلاقية ، أن الإيمان يدعو إلى التحلي بالمكارم والفضائل والآداب الحسنة ، والتخلي عن الرذائل وسوء الأخلاق ، فلا بد للمؤمن أن يتصف بهذه التعليمات الخلقية ، وقد نفى صلى الله عليه وسلم الإيمان عن مرتكبي بعض المخالفات الدينية حال فعلها ، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن " . (كتاب الحدود ، رقم ٦٣٩٠) .

وفي هذا الحديث الشريف بيان أن الجوارح تابعة للإيمان في القلب ، فصدور الفعل المنافي للدين دليل على عدم رسوخ الإيمان وعلى عدم التصديق

بالباطن ، وأما الالتزامات الاجتماعية فكثيرة لا تحصى وعلى سبيل المثال ، إن المؤمن مطالب بأداء حقّ جاره ، وللجار حقوق كثيرة مثل : السلام ، وأن يعود في المرض ويعزيه في المصيبة ، ويشترك معه في مسراته ومضراته ، وأن يسدّ عوزه عند الحاجة .

ولقد روى الامام البخاري بسنده عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن " قيل : من يارسول الله ؟ قال : " الذي لا يأمن جاره بوائقه " (كتاب الآداب ، رقم ٥٦٧٠) .

وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم كمال الايمان عن المؤمن الذي لا يأمن جاره شروره وإن صلى وإن صام ، لأن الأحسان إلى الجار بصفة خاصة وإلى المؤمنين بصفة عامة دليل الايمان الكامل وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالمعروف .

وأما الالتزامات الإنسانية فهي من أهم سمات المؤمن ومميّزاته الأساسية ، لأن الايمان يقتضي معاملة الناس باحترام كرامتهم الإنسانية وصفتهم البشرية ، روى الامام البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة " (كتاب الأدب ، رقم ٥٦٦٦) .

نستدل من هذا الهدي النبوي الشريف أن المؤمن يسعى دائماً لإسعاد البشرية جميعاً وذلك بتقديم خدمات إنسانية لهم ، والإحسان إليهم ولا يقف إحسان المؤمن عند أخيه الإنسان بل يتعدى إلى جميع الكائنات الحية من دابة أو طير. وكذلك الالتزامات السياسية أن المؤمن ملتزم بتقديم النصيحة والإرشاد ، والمشورة إلى أولي الأمر والقادة والولاة وكل من يلي أمور المسلمين ، لأن إيمانه يدفعه إلى صيانة مجتمعه وحفظه من الإنتهاك لحرمات الله تعالى ، ولاشك أن انتهاك محارم الله تعالى يفضي إلى ضياع الايمان أو نقصه في قلوب المؤمنين .

ويتبين مما سبق أن واجب المدرسة أن تشعر بتلاميذها هذه المسؤوليات والالتزامات ، ولاتكتفي بتلقيين الإيمان في نفوسهم ، فلا بد وأن تسعى إلى إظهار دلائل الإيمان وأماراته في المجال العملي السلوكي الواقعي وربطها بالحياة اليومية للناشئة ، وبيان أن الإيمان عمل القلب والجوارح في نفس الوقت ولا يمكن الإيمان أن يثمر لدى صاحبه إلا بالممارسات العملية التي تدفعه إلى الامتثال والاستسلام الكامل لمنهج الله تعالى نصاً وروحاً وسلوكاً ، ثم إن من أهم واجبات المدرسة تعريف الناشئة العقيدة الإسلامية الصحيحة وذلك بمعرفة أنواع التوحيد من ألوهية وربوبية ومعرفة أسماء الله تعالى وصفاته بأسلوب مبسط على طريقة القرآن الكريم ، والاستدلال على وجود الله تعالى بالآيات الكونية وبطريقة العقل والنظر في مخلوقات الله تعالى وآلاءه جل جلاله .

فبالوحي من جانب ، وبمعرفة الأسماء والصفات والتأمل والتفكير والتدبر في المخلوقات من جانب آخر يعرف الناشئ ربه ويهتدي إليه ، ولا بد من تعريف التلاميذ بأهمية التلازم في التوحيد ، حيث أن كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، وشرح كل نوع منها بما يؤدي إلى فهم التلميذ له .

وأما معنى هذه الأنواع ، يقول الدكتور محمد أحمد خفاجي في كتابه «
العقيدة الإسلامية (١٣٩٩ هـ) :

" توحيد الربوبية يعني الإقرار أن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه وأنه المحيي والمميت ، النافع الضار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك . وهذا التوحيد هو الذي جبلت الفطر على الاعتراف به ، والخضوع له سبحانه وهو لا يكفي العبد في حصول الاسلام ، بل لابد أن يأتي مع ذلك يلزمه من توحيد الالهية وهي بمعنى أن يعبد الله وحده ولا يشرك بعبادته أحد من خلقه ، وأما توحيد الأسماء والصفات معناه أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله من غير تحريف أو تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل " ص ٢٠٢ - ٢٢٤ ، (نقل بتصرف) .

وإذا تأملت هذه المعاني في قرارة نفوس الناشئة وترسخت استشعروا
 بعظمة الله تعالى وتعلقت قلوبهم بمحبته ، يعتمدون عليه في أمورهم كلها
 ولا يشركون بالله تعالى في عبادتهم وحياتهم ، ويفردونه بالعبادة
 ولا ينحنون لأحد إلا الله ، ولا يخضعون إلا لله تعالى ، ولا يطلبون الرزق
 إلا من الله ، لأنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، وكذلك يتعرفون على
 أسماء الله الحسنى ويتدبرون معانيها عندما يقلبون النظر فيها بحيث
 كلها تشعر بصفات الكمال والجلال والجمال ، وبذلك يتدربون على العقيدة
 الإسلامية الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ومن الجدير بالذكر أن الاطلاع على الأسرار في المخلوقات وغرائب
 الكون الفسيح يقوي الإيمان ويزيده رسوخا ، ولذلك يجب على المدرسة
 تقوية إيمان الناشئة وذلك بدراسة الآيات الكونية وآيات الأنفس والآفاق
 في ضوء المكتشفات العلمية الحديثة ، وينبغي هنا أن ننبه إلى أن الخطر
 كل الخطر في دراسة الآيات الكونية من القرآن الكريم في ضوء النظريات
 والفرضيات التي لم تثبت صحتها علمياً ولم تصل إلى درجة القانون ، قد
 تؤدي إلى الشك والارتباك عند بعض الناشئة ، ولذلك يجب على المعلمين
 أن يتناولوا في شرحهم ودراستهم لآيات القرآن والحقائق العلمية الثابتة
 التي لا تطرأ عليها الشك بحال من الأحوال ، وبذلك يزدادون رسوخا وبقينا
 عندما يشاهدو التوافق بين آيات الرحمن والآيات الكونية ، ولا شك أن
 الحقائق العلمية لا تتعارض بحال من الأحوال أو بشكل من الأشكال مع الآيات
 القرآنية ، لأن مصدر كل منهما هو الله سبحانه وتعالى ، وإن يرى أن هناك
 تعارضاً وهذا ناتج إما عن قصور الإنسان لفهم آيات القرآن ، أو القصور
 في المادة العلمية التي تجب إعادة النظر فيها . ومن واجب المدرسة في
 هذا الصدد أن يشعر التلاميذ حدود العقل عند الإنسان ، وذلك ببيان أن
 هناك عالمين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وأن حدود العقل في نطاق
 عالم الشهادة ، الحياة الدنيا ، وإنما عالم الغيب أو ما يسمى بالغيبيات
 في الدار الآخرة ، وهذا ليس للعقل أن يتدخل فيه ، لأنه فوق طاقته
 وقدرته ، إن الوحي هو الذي يزودنا بالمعلومات عن ذلك العالم .

واذا تعرف الناشيء على هذا يعرف حدود العقل البشري ويطلع على مواضع بحثه ، فلا يبحث في الغيبيات ، وانما يؤمن كما جاءت ويستسلم كما وردت ويقول : آمنت. لأن البحث في الغيبيات كما قلنا يؤدي إلى الحيرة والشك ، لأنه فوق طاقة هذا الميزان البشري . هذا من وجهة ، ومن وجهة أخرى أن الايمان بالغيبيات اختبار من الله تعالى لعبده ، ولاشك إن هذه تربية للعقل في نفس الوقت ، وبذلك يتدرب عقل الناشيء وهو في أولى مراحل حياته على الاختبار والإمتحان ، يعرف قدراته ومكانته وذاتيته ، ويُبدي العجز وعدم القدرة أمام قدرة القادر الجبار ، وهذا يفضي إلى الاستسلام لخالق الكون والآخرة .

إن واجب المدرسة لاينتهي عند هذا الحد ، فلا بد من التصدي للتيارات الفكرية الجارية والأفكار الإلحادية الهدامة التي تقصد هذا الجوهر الإلهي في قلب المؤمن وسلوكه وعمله ، وتريد النيل من هذا النور الرباني. لأن الناشيء في هذه الفترة الدراسية لم يكن قد وصل إلى درجة النضج العقلي والكمال الشخصي بالصورة التي تمكنه من التصدي بوعي وبصورة لمثل هذه التيارات الفكرية المضادة للدين الاسلامي .

وبذلك تنحصر واجب المدرسة في ترسيخ الايمان في نفوس الناشئة في أمرين أساسيين :

- الأول : تحقيق الايمان وترسيخه وتنميته في نفوس الناشئة .
- الثاني : صيانة هذا الايمان وحفظه من مبطلاته .

إن الجهاد في الاسلام إنما شرع لأجل العقيدة ، لترسيخها في القلوب والدفاع عنها ، وللحفاظ على معتنقيها ، وإيصالها إلى كافة الناس في العالم هذا من جهة . ومن جهة أخرى أن الايمان إذا لم يكن راسخا في قلوب المسلمين ، ولم يتحقق فيها ، فلا يتوقع منهم أبدا أن يضحوا بشيء من أموالهم وأنفسهم في سبيله ، لأن الايمان الصادق الراسخ هو الذي يدفع الفرد إلى الفداء والتضحية، والعقيدة الصحيحة الثابتة هي التي تدفع صاحبها إلى الايثار والبذل في سبيل الله تبارك وتعالى .

٢ - تركية نفوس الناشئين بالعبادات والأخلاق الحسنة :

إن وظيفة المدرسة بعد ترسيخ الإيمان بالله تعالى في نفوس الناشئة هي تركية نفوس التلاميذ بالعبادات وتحليتها بالأخلاق الحسنة والخصال الجميلة والآداب الإسلامية الجميلة .

إن العبادات كلها صلة بين العبد وربّه ، تحي معاني الإيمان في قلب المؤمن ، أن الطفل يذهب إلى المدرسة وقد تعود على ممارسة بعض العبادات في أسرته ، مثل الصلاة وقراءة القرآن ، وتتلقى المدرسة هذا الطفل وتبني على ما تعلمه الطفل في أسرته وتبذل جهدها لاستكمال البناء كما يريده الله تعالى .

وفي المدرسة يتعلم الناشيء كيفية ممارسة هذه العبادات بشكل منظم ومنسق بيد المعلمين الأكفاء أصحاب القدوة الصالحة . يتعرف على أركانها وواجباتها وسننها وآدابها مدعوما بالأدلة من الكتاب والسنة وعمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

إن واجب المدرسة يختلف اختلافا جزئيا عن واجب الأسرة في هذه العملية التربوية بحيث أن المدرسة تقدم المعلومات بشكل صحيح مبني على أسس سليمة بعد الانتقاء والإختيار لما يتناسب مع طبيعة المجتمع ونبذ ما لا يتناسب ، ولأشك أن هذه العملية عملية تخصصية تنفرد بها المدرسة دون باقي المؤسسات التعليمية .

وبعد أن تعرف الناشيء على كيفية أداء العبادات بأركانها وواجباتها وآدابها ، فلا بد للمدرسة أن تنتقل إلى مرحلة أخرى وهي بيان أن تلك العبادات تطهر النفوس من الأدناس والذنوب وتنهاي الفرد عن ارتكاب المنكرات والفواحش والخوض في المعاصي ، قال تعالى : * إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * (سورة العنكبوت / ٤٥) .

وببيان أن الصلاة تمدّ المؤمن بقوة روحية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا وخاصة في الجهاد ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة / ١٥٣)

وكذلك باقي العبادات كلها تمدّ المؤمن بقوة إيمانية روحية تدفعه إلى مواجهة المصائب والمشاكل بعزم وحزم . وعلى سبيل المثال : إن الزكاة تطهّر النفس من الشح والبخل ، وتدفع المؤمن إلى الانفاق في وجوه الخير ، ومواجهة المشكلات الإقتصادية بروح سخية كريمة ، وكذلك الصوم يطهّر النفس من شهواتها ويهذبها على الصبر وتحمل الأذى . وكذلك الحج وباقي العبادات من الذكر وتلاوة القرآن ...

والواجب على المدرسة في هذه العملية عدم الاكتفاء بالتعريف والعمل ، فلا بد من بيان وجوب الإخلاص في كل الأعمال ، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ابتغاء مرضاته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (البينة / ٥) . وقال أيضا : ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون / ٢) .

وكذلك بيان الإتقان في الأعمال كلها ، وضرورة الخشوع والخضوع ، وتجنب الرياء ، لأن الرياء هو الشرك الأصغر كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فلا بد من إقامة الصلاة في المدرسة مع الجماعة ، خلف المدرسين الأتقياء ، لأن صلاة الجماعة خاصة في هذا الموقف تربط الناشئ بالجماعة ارتباطا واعيا ، وتكسبه لذة الشعور بقوة الجماعة وعواطفها المشتركة بين أفرادها ، وكما تكسبه أسى معاني العزة والكرامة والأخوة الإيمانية .

والجدير بالذكر في هذا المقام أنه لا بد للمدرسة أن تشرح للتلاميذ المقاصد العليا والأهداف الكبرى من إقامة الصلاة وصوم رمضان وإيتاء الزكاة وحج بيت الله تعالى مقترنا بأشارها الفردية والجماعية ، مثل :

الآثار السلوكية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسيّة والروحية والعقلية ، وبذلك يتعرف التلميذ على الروح الحقيقية لهذه العبادات ، ويؤديها عن طيب نفس دون المراقبة القانونية والسلطة الحاكمة ، يؤديها باخلاص في كل الظروف والمناسبات .

وأما تحلية نفوس الناشئة بمكارم الأخلاق فإن الدرجة الأولى في هذه العملية تقع على عاتق المعلمين وناظر المدرسة والإداريين بأن يكونوا أسوة حسنة للتلاميذ بأخلاقهم الحميدة وآدابهم ومعاملاتهم ، لأن قلب التلميذ وأعينهم متعلقة بهم ، والحسن عندهم ما استحس معلموهم والقبیح عندهم ما استقبح معلموهم ، يقلدونهم في سلوكهم ويحاكونهم في أعمالهم . ولذلك أن الواجب على المعلم أن يكون متخلقاً بخلق القرآن إذا أراد أن يؤثر على تلاميذه من الناحية الخلقية .

ثم ضرورة بيان أن الأخلاق والقيم في الاسلام ثابتة وليست نسبية ، ولذلك ينبغي غرس هذه الفكرة في نفوس الناشئة وإظهار محاسن الأخلاق الاسلامية والقيم ، وذلك بمقارنتها بمفهوم الأخلاق عند الغرب وعند المجتمعات الأخرى بضرب الأمثلة من الحياة الواقعية والتاريخية . ومن المشاهد اليوم أن المجتمعات الغربية تفسخت وذلك نتيجة الانحلال الخلقي الذي أصابها ، لأن الأخلاق عندهم مفهوم نسبي وليس له ضابط ديني أو اجتماعي ، وعند كل واحد منهم مقياس شخصي للأخلاق على حسب تفكيره أو هواه .

وأما الأخلاق في الاسلام فلها ضوابط ، ضابط ديني ، واجتماعي ، ولكل سلوك أخلاق ، بمعنى أن الاسلام قسّم الأخلاق إلى قسمين : أخلاق حسنة محمودة وأخلاق سيئة مذمومة ، وجعل لكل واحد منهما ضوابط ورتب عليها الثواب والمدح والعقاب والذم والكراهية ، ولقد نهى عن السيئات ورغب في الحسنات ، وعلى سبيل المثال : خلق الصدق محمود ، وبمقابله فالكذب مذموم .

روى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة "

وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " (البخاري : كتاب الأدب / ٥٧٤٣ ، مسلم : كتاب البر / ٠٢٦٠٧)

إن الصدق مصيره الجنة ، وإن الكذب مصيره النار ، ثم إن مصدر الأخلاق في الإسلام هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وإنما مصدر الأخلاق في الغرب هو الأهواء والمصالح الشخصية والقومية ، وكما أن مقياس الأخلاق هو الكتاب والسنة .

ويتبين مما سبق أن واجب المدرسة هو إشعار الناشئة بأن الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تتغير بحال من الأحوال ، وأن لها ضوابط دينية واجتماعية وكما أن مصدرها ومقياسها هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فلا بد من غرس هذه المفاهيم في أذهان الناشئة. ومن الجدير بالذكر أن هناك قواعد أخلاقية في الإسلام تنال بتطبيقها كل الفضائل الكمالية وأن هذه القواعد منبثقة عن المصدر الأساسي للأخلاق وهي تضبط سلوك الأفراد ، وتوجهها نحو الكمال .

وفي الختام أود أن أقول أنه من الضروري جداً مراقبة أخلاق التلاميذ من قبل المدرسين إذا وجدوا فيهم الانحراف فلا بد من إصلاحه وتوجيهه نحو الصواب ، وأن تلك العملية لا تتم إلا بالتعرف على أسباب المشكلة ومن ثم معالجتها بطرق علمية صحيحة . ولقد ذكرنا في الفصل الثالث أن هناك آداباً للجهاد ، فلا بد للمجاهد في سبيل الله تعالى أن يتقيد بها ، وأن يتحلى بالمكارم من الأخلاق ، لأن الأخلاق وثيقة الصلة بالإيمان ، ولا جهاد ولا عمل في الإسلام بدون أخلاق .

والمجاهدون الأوائل فتحوا قلوب الناس بأخلاقهم وآدابهم ومعاملاتهم الحسنة ، قبل أن يفتحوا البلدان بسيوفهم ، والتاريخ الإسلامي خير مثال على هذا . من الذي أشهر السيف على وجه الأنصار حتى أسلموا؟ ومن المشهور في التاريخ الإسلامي أن معظم المسلمين في دول الشرق الأقصى قد أسلموا على أيدي التجار المسلمين نتيجة أخلاقهم الحسنة ومعاملاتهم مع الناس .

٣ - غرس خلق الشجاعة والجرأة والرحولة والخشونة في نفوس التلاميذ:

ان اكتساب الشجاعة لا يتم الا بمحاربة كل مظاهر الخوف والجبن لدى الناشئة ، والخوف انفعال غريزي يستشعره جميع الناس ، وتسببه مواقف كثيرة لا حصر لها في حياة مختلف الأفراد . والخوف ليس لونا واحدا ، بل يتدرج من مجرد الحذر والحيلة الى الهلع والرعب .

وان هذه الظاهرة قد تكون طبيعية لدى الأطفال الى درجة ما ، ولكن اذا ازدادت عن الحد المعتاد ، وتسبب القلق والتوتر فعندئذ تعتبر مشكلة نفسية فلا بد من معالجتها ، والقول في ذلك لعلم النفس :

قال حامد زهران في كتابه : " علم نفس النمو " (١٩٨٢ م) " أن الخوف انفعال ضروري ، للمحافظة على الحياة في وقت الخطر ، ولكن اذا تعدى الخوف مداه الطبيعي ، أصبح مرضا يعرقل السلوك ويقيّد الحرية " . (ص ٤٤٤)

فلانهم من هذا الكلام اهمال الحذر والحيلة ، فان اتخاذ الحذر والحيلة أمر لازم لتأديب الناشئة وقيادتهم ، ولكن المطلوب أن يكون ذلك بحدود المعقول وألا يسرف في ذلك ، لأن المبالغة في ذلك تقلب حياة الناشئ الى قيود لا تطاق .

ان واجب المدرسة في هذا الصدد هو التعرف على أسباب الخوف والجبن لدى التلاميذ ومعالجتها بطرق علمية ناجحة ، ثم دفعهم الى ممارسة ومزاولة بعض الأعمال التي تكسيهم الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية ، وحب المشاركة مع الآخرين ، وحشهم على الاختلاط بأقرانهم وزملائهم والتعامل معهم حتى يعتادوا على الاقدام والشجاعة . ومن الأهمية بمكان يجب على المعلمين في المدرسة أن يوجهوا التلاميذ الى المفهوم الاسلامي للجرأة والشجاعة ومن المعلوم أن الشجاعة والجرأة في الحق وليس في الباطل ، ولا شك أن الشجاعة في الباطل : مثل السرقة والغصب والنهب والاختلاس ، وقطع الطريق ، والبطش فان الاسلام منها بريء ، وكذلك الجرأة ولها مواقف وحدود وآداب اسلامية ، فلا بد من مراعاتها .

ان محاربة مظاهر الخوف لدى التلاميذ لا تكفي وحدها ، لاكتساب الجرأة والشجاعة والاقدام ، فلا بد من تذكير التلاميذ بشكل دائم بمواقف بطولية من عصر النبوة وعهد الخلفاء الراشدين والتاريخ الاسلامي المجيد ، خاصة بمواقف بطولية لأبناء الصحابة الكرام ليتأسوا بهم ويمشوا على طريقاتهم

ونهجهم ، ولاشك أن هذا يُثير عواطفهم ، ويحرك مشاعرهم ويكسبهم العزة والكرامة والمجد والفخر بأمجاد أسلافهم ، ولا يخفى ما في ذلك من تقوية عنصر المحاكاة والافتداء في نفوسهم بحيث يتمنون أن يكونوا مثلهم طـوال حياتهم .

وأما الرجولة والخشونة وإنهما صفتان ملازمتان للرجال دون النساء ، فلا بد من إكسابها بصورة لائقة للتلاميذ حفاظا على خلقتهم وفطرتهم ، واعداداً لتحمل أعباء الحياة والصبر على الأذى في سبيل الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى .

«
ولذلك يقترح محمد قطب في كتابه منهج التربية الإسلامية (١٤٠٤هـ)

" أن يسيطر على المدرسة وعلى الدراسة جو الرجولة في مدارس الرجال ، وجو الأنوثة في مدرسة الاناث ، وأن ذلك جزء من الشخصية الإسلامية التي ينبغي على الدراسة أن تربيها . فالاسلام حريص على إعطاء الرجل المسلم شخصية الرجل الكامل الرجولة ، وإعطاء المرأة المسلمة شخصية المرأة الكاملة الأنوثة " . (ج ٢ ص ١٧٨)

ولذلك ينبغي للمعلمين أن يبتثوا في نفوس التلاميذ روح الرجولة في كل مناسبة ، وأن يعدّوهم إعداد الرجال بكل معانيها ومفاهيمها . ولاشك أن شخصية الرجل تختلف عن شخصية المرأة ، وبطبيعة الحال أن طريقة الإعداد ستختلف اختلافا جزئيا ، ولذلك ينبغي للمدرسة أن تسلك المسالك الآتية :

- ١ - تكوين جو الرجولة في المدرسة بصفة عامة .
- ٢ - إدخال بعض المواد الدراسية التي تخص الرجال دون النساء في صلب المنهج مثل مادة التربية العسكرية .
- ٣ - تعويدهم على آداب الرجولة ، مثل : الجد في الكلام والعمل ، والوفاء بالعهد ، واحترام المواعيد ، والصدق والثبات ، والإتزان في التفكير ، وقلة الضحك والمزاح ، وكذلك آداب المشي والكلام .

- ٤ - تذكيرهم بمواقف الرجولة الحقّة من أمجاد سلفنا الصالح ، ولا شك أن مواقف الشجاعة هي في نفس الوقت مواقف الرجولة .
- ٥ - تحفيظهم بعض الأناشيد التي تبعث فيهم أسمى معاني الرجولة والآباء والشمم .
- ٦ - إظهارهم بمسئولياتهم في الحياة ووظائفهم في المجتمع .
- ٧ - إبعادهم للحياة الأسرية وذلك بإبعادهم على تحمل مسؤولية الرئاسة في العائلة .
- ٨ - إبعادهم عن مظاهر التخنث وذلك بالتوعية الدينية مبيناً حرمتها ، وبالتوعية الصحية موضحاً أضرارها الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية ، ومراقبة سلوكهم في المدرسة ، وإبعادهم عن كل مؤثرات هذه الظاهرة الفتاكة والمرض الخبيث الذي ينافي الرجولة والمروءة والكرامة .
- ٩ - تدريبهم في المعسكرات التي تقام في أوقات معينة على الرجولة والرياضة .
- ١٠ - معاملتهم من قبل المدرسين والإداريين معاملة الرجال ومشاركتهم في بعض الأعمال الإدارية .

وأما صفة الخشونة ولها صلة وثيقة بصفة الرجولة ، بحيث أنها من خصائص الرجال وطبائعهم غالباً ، وأنها تعني التعمّد على ظروف الحياة القاسية والقدرة على مواجهة الصعاب بروح عالية وبعزم وحزم دون الجزع ، وأنها غير الفظاظ والغلظة ، وهي تكون في الغالب في العيش بالتقشف والبساطة ، والابتعاد عن الترف والراحة الزائدة .

ومما لا شك ولا يقبل الجدل أن طبيعة الرجولة ودور الرجل ووظيفته في الحياة ومسئوليته في المجتمع تقتضي وجود هذه الصفة عند هذا النوع من البشر ، لأن شروط الحياة قاسية ، تحتاج إلى صبر لا ينفد ، وجهد متواصل لا ينقطع ، وتحمل المسؤولية إلى أبعد الحدود ، والخوض في المخاطر والمخاوف .

وإذا كان كل مؤمن جندياً من جنود الله تعالى ومجاهداً في سبيله فلا بد من إعداده وتربيته وتنشئته على هذه الصفة الملازمة للرجال ، لأن الجهاد مشتق من المجاهدة والمكابدة ، لشدة ما فيه من المهام والأعباء والبأس والشدائد ، والمشاق والمعاناة ... من حمل سلاح وعتاد، ومشى طويلاً ، ومصادمات ومناورات ، مع معاناة التعب والإرهاق والسهر والحرمان .

ويتبين مما سبق ضرورة غرس هذه الصفة في نفوس التلاميذ ، ولذلك يظهر واجب المدرسة في تطبيق النقاط الآتية :

الأولى : غرس صفة الرجولة في نفوس التلاميذ قولاً وعملاً وسلوكاً كما

سبق بيانه .

الثانية : إبعاد التلاميذ عن الترف والاسترخاء والراحة الزائدة .

الثالثة : إبعاد التلاميذ عن الاتصاف بالأخلاق والخصائص التي تخص النساء

في الغالب ، مثل : التفكير بالعواطف ، قلة الصبر ، والضعف

في الحجة .

الرابعة : تدريبهم على بعض الأعمال والممارسات الشاقة ، قد تكون تلك

الأعمال والممارسات في الورش أو الأمور الإدارية في المدرسة

أو مزاولة بعض المسئوليات في المعسكرات .

الخامسة : تذكيرهم بحياة الصحابة الكرام ، كيف تحملوا خشونة العيش

في سبيل الله تعالى ؟ وكيف صبروا على خشونة الحياة ؟ وبضرب

الأمثلة من التاريخ الاسلامي .

السادسة : تفهيم التلاميذ فوائد الخشونة في الحياة العامة ، وفي

الحياة الجهادية ، واقناعهم بأساليب مختلفة بنتائجها ومحصلاتها

المتوقعة والمضمونة ، إن شاء الله تعالى .

٤ - تعويد التلاميذ على النظام :

إن المدرسة مؤسسة نظامية ، ولقد أسَّسها المجتمع لتنظيم العملية التربوية ، وهي كما سبق وأن قلنا مؤسسة منظّمة ، وهذه الميزة هي التي تميزها عن سائر المؤسسات التربوية وتفرّقها .

إن تعويد التلاميذ على النظام من أهم واجبات المدرسة ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يتم التعليم والتربية دون أن يكون هناك نظام متّبع من قبل الجميع . وإن طبيعة الأطفال مفطورة على الحرية ، ولكن إطلاق هذه الحرية دون قيد أو شرط أو ضابط يفضي في نهاية المطاف إلى ظهور الفوضى ، والتي تؤدي إلى الفشل كما هو المعروف من قبل الجميع ، بلا نزاع .

وإذا نظرنا حولنا في الكائنات والموجودات نرى أن هناك نظاماً عجيباً ، وتناسقاً بديعاً ، وتنظيماً رائعاً يدل على صنع الخالق بديع السموات والأرض والله الذي خلق هذا الكون بنظام دقيق ، قد جعل لنا ديناً - عقيدة وشريعة - بنظام دقيق . دين كلّ نظام ، بعده نظام ، وهو دين النظام .

لقد أنزل الله تعالى كتابه بنظام ، وقد رتب حياة المسلم على النظام ، في العبادات والمعاملات ، وفي الجهاد وفي الأمور كلها .

وقد استطاع قائد هذه الأمة وإمامها صلى الله عليه وسلم أن يبني جيلاً مثالياً فريداً منظماً بنظامه النبوي الشريف ، يرتب مراحل الدعوة ، وينظم الصفوف في الصلاة وكذلك ينظم الصفوف في المعركة ، حياة كلّها عبارة عن النظام .

إن النظام له فوائد عظيمة ومنافع جمّة ومصالح غفيرة ، يؤلّف الأبدان والقلوب ، ويقوّي العزائم ، ويوفّر الجهود والطاقات ، ويولد المحبة والعطف والإحترام ، والثقة بين الأفراد ، يجعلهم كجسد واحد ،

يدعم الروابط الاجتماعية والأواصر الأخوية ، والعلاقات التعاونية ، ويجسد الاعتزاز والفخر بالمجتمع الاسلامي والولاء له . وكما أنه يؤدي إلى النجاح وتحقق الآمال والأمنيات .

ولتعويد التلاميذ على النظام فلابد من مراعاة الآتي:

- ١ - يجب أن يكون هناك نظام بالفعل في المدرسة ، وإذا لم يكن فـ في المدرسة نظام فلا يمكن تعويد التلاميذ عليه .
- ٢ - أن يكون مدير المدرسة والمعلمون ملتزمين بالتزاما دقيقا بالنظام ، وبتعبير آخر أن يكونوا قدوة حسنة للتلاميذ في التقيد بالنظام في المدرسة .
- ٣ - تعويد التلاميذ على التقيد بالنظام وذلك في الحضور والانصراف ، والدخول إلى الفصل والخروج عنه .
- ٤ - تربيتهـم على التقيد بالتعاليم والتعميمات التي يصدرها الإداريون في المدرسة .
- ٥ - تدريبهم عملياً على النظام وذلك بإقامة الصلاة في وقتها مع الجماعة في المدرسة .
- ٦ - توجيههم من قبل المدرسين على تنظيم أوقاتهم ومذاكرة دروسهم بأساليب مقنعة موضحا أهمية هذا النظام في حياة المسلم .
- ٧ - تربية قلوبهم ونفوسهم على إجلال النظام ، واحترامه من قرارة أنفسهم ولذلك لابد من ربطه بالمسؤولية الدينية ، موضحاً لهم أن هذا النظام إنما وضع لتحقيق الأهداف الدينية وتحقيق مرضاة الله تعالى ، وبذلك يقتنع التلميذ بأهمية النظام ، ويدافع عنه ويضحى في سبيله . ولا شك أن للوسائل حكم الأهداف والغايات . ومن المعروف في أصول الفقه أنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

إن تربية الأجيال المسلمة لا تتم إلا في المدرسة في الغالب ، و أن تحقيق أهداف تلك المدرسة لا تتم إلا بالنظام . ومن هنا أصبح النظام واجباً .

وفي الختام أود أن أقول أن النظام له فوائد عظيمة في حياة المسلم سواء كانت في الأمور الدنيوية أو الآخروية ، إن المسلم الذي تعود على النظام ينظم أوقاته كلها بدقة بالغة ، يتعاون مع إخوانه في أمور الدعوة والجهاد يطيع أوامر رؤسائه وقواده في الحرب ، ويتقيد بتعليمات قيادته في السلم والحرب .

هـ - غرس روح الاستشعار بالمسئولية وتنمية الروح الجماعية لدى التلاميذ :

إن مجرد دخول الطفل إلى المدرسة يعتبر مسئولية ، وهي مسئولية الاستعداد للحياة بتربيته وتعليمه وتنميته من كل الجوانب .

وينبغي أن تعمل المدارس على تنشئة الأفراد ، العارفين بمنزلتهم المعتزين بها ، وتكوين الشخصية التي تتحمل المسئولية والتي لاتعتمد على حسب أو نسب ، والتي تتقن العمل إتقاناً دون حاجة إلى رقيب من البشر ، وبوازع من الضمير ، والإيمان الشخصي الصادق والتي تعمل حساباً ، وألف حساب للأهداف البعيدة. وتضع الخطط السليمة لبلوغها. فلكل إنسان طائره في عنقه ، وكل إنسان سيجني ثمار جهده وتعبه ، ويلقى جزاء عمله دون نقص. ولقد منح الله تعالى للإنسان العقل والقدرات ، وميزه بكثير من المميزات وفضله على سائر المخلوقات والكائنات ، وبمقابل ذلك لقد كلفه ببعض المهام والمسئوليات والواجبات ، وقد أوجده سبحانه وتعالى في الجماعة ، وجعل قوام حياته في المجتمع ، وربط مصالحه الفردية والاجتماعية بإخوانه من بني البشر ، وقد أمره سبحانه وتعالى بتكوين الجماعة على وجه الأرض لتحقيق الأهداف السامية الربانية والغايات النبيلة الإلهية ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يعيش الفرد حياة إسلامية منعزلة عن الجماعة والمجتمع ، ولا يمكن له أن يحافظ على دينه وعرضه وماله وكرامته وحياته دون حياة نظامية اجتماعية تحت قيادة موحدة ، يشعر كل فرد من الأفراد دوره ورسالته وتحمل أعباء الوظيفة الملقاة على عاتقه ، ويبذل قصارى جهده لتحقيق المصالح الجماعية قبل مصالحه الفردية الشخصية .

إن للاستشعار بالمسؤولية وتنمية الروح الجماعية مظاهر، إن توفرت في المسلمين حققوها بإذن الله تعالى ، ورسالة المدرسة اليوم العمل تحقيقها وفق الممارسات العملية ، وبعض هذه المظاهر تتمثل فيما يلي :

- ١ - تعريف التلاميذ بروح الدين الاسلامي ومن هنا إدراكهم بمهمتهم في الحياة وواجباتهم نحو أنفسهم ومجتمعهم وأمتهم ودينهم .
- ٢ - إ شعار التلاميذ بعناصر وحدة هذه الأمة ومكونات وجودها ، مبن الأخوة الدينية ، والتعاون والتكافل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي .
- ٣ - غرس مفهوم إنكار الذات في سبيل الجماعة لدى التلاميذ ، وذلك ببيان أن سعادة المؤمن في الحياة والآخرة ، وفلاحه متوقفة على سلامة المجتمع وأن المؤمن ليس له مكانة ولاكرامة إلا في ظل الجماعة المؤمنة . وكما أن المؤمن ليس له حق الحياة إلا في المجتمع الاسلامي الذي أقيم على أسس متينة ودعائم قوية .
- ٤ - تعويدهم على التفكير الجماعي والعمل الجماعي بدل التفكير الفردي والعمل الفردي .
- ٥ - إقامة الصلوات مع الجماعة في مسجد المدرسة بصفة مستمرة .
- ٦ - مشاركتهم في بعض الأعمال المدرسية والأنشطة ، وتكليفهم ببعض الواجبات خارج المدرسة ، مثل : التعرف على بعض الكتب أو المجلات أو الوسائل التعليمية .
- ٧ - تبصير التلاميذ بصفة علمية على أسباب التفرقة والاختلاف والتمزق والتنافس والتباغض ، ومن ثم بيان حرمتها في الإسلام بالأدلة المقنعة من الكتاب والسنة وبضرب الأمثلة من التاريخ والحياة اليومية .

إن الجهاد في الإسلام مسؤولية المؤمنين كافة، ولا يمكن أن يتخلى عن أدائه أحد مهما كان. ثم أنه لا يتم إلا بالجماعة، والجماعة لا تتكون إلا من الأفراد ، ولتكوين هذه الجماعة وللحفاظ على دوامها فلا بد من تنمية هذه الروح الجماعية لدى الشباب وتعريفهم بأهم عناصر الوحدة ومكوناتها الأساسية .

٦ - غرس روح الفداء والتضحية بالنفس والمال في أذهان التلاميذ:

إن غرس هذه الروح في النفوس وتنميتها إلى أن تصل إلى الذروة من أهم مميزات التربية الإسلامية ومدرسة النبوة ، وبدون غرس هذه الروح في النفوس المؤمنة لا يمكن أن نتصور أبدا الدعوة والجهاد . إن الفداء والتضحية بالنفس والمال أثقل شيء على النفس ، فهل هناك شيء أثقل من هذا على النفس ؟

وهذا اختبار من المولى لعبده بعد أن وهبه الصحة والمال، إن الفداء والتضحية بالنفس يقتضي ترك الفراش والبعد عن الراحة والترف ، والملذات والإفتراق عن الأهل والولد والوطن ، والتعرض إلى المخاطر والهلاك والتعذيب والموت في سبيل الله تعالى ، وكذلك التضحية بالمال .

إن الوصول إلى هذه المكانة العالية يقتضي تربية استقرت في أعماق القلوب ، وتركبة النفس من كل الأمراض ، وتنشئة متشعبة بالروح الإسلامي الحقيقية . ولقد تخرجت من مدرسة النبوة أسمى معالم الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى وأروع الأمثلة والنماذج في الإيثار والبطولة ، وكانت هذه من محصلة التربية القرآنية تحت تربية أكبر الفدائيين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن المدرسة القرآنية قدمت لنا آلافاً من هذه الصور طوال التاريخ ، وهي قادرة على إخراج هذه الصور المثالية في كل زمان ومكان في ضوء توجيهاتها وأوامرها وتعليماتها إذا اتبعت بإخلاص وطبقت كما ينبغي ، ولها مناهج معروفة وأهداف واضحة ، ليس فيها أية غموض أو التباس .

إن المدرسة اليوم وهي قادرة بإذن الله تعالى على إعداد هذه الصور المثالية الواقعية إذا أدت رسالتها موافقة للشرع ومرضية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ولغرس هذه الروح في نفوس التلاميذ وتنميتها نحو الكمال فلا بد من البدء من الأصل وهو غرس الإيمان في قلوب الناشئة - كما سبق بيانه قبل عدة صفحات من هذا الفصل - لأنه إذا لم يستقر الإيمان في النفوس فكيف يتوقع من المرء أن يضحى نفسه وماله في سبيله ، فلا بد من توطيد أركان الإيمان والعقيدة الإسلامية في القلوب أولا وقبل كل شيء .

ثم تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفوس التلاميذ، وهذه العملية شرط من شروط الإيمان ، وهي تدفع الفرد إلى الشجاعة والبسالة والجرأة أمام المصائب والمتاعب ، وعدم الخوف من الموت ، لأنه يعرف بيقين أن الله تبارك وتعالى قدر له أجله ورزقه وطلب منه أن يجاهد في سبيله ، وأن أجله آت لا مفر منه ، وهو ميت لا محالة أينما كان وكيفما كان ، والأفضل له أن يختار أشرف ألوان الموت حتى يصل إلى الفردوس الأعلى من الجنة ، وبذلك تتحرك مشاعره وعواطفه ويزداد شوقا إلى لقاء ربه عن طيب نفس راضية مرضية ، آمنة مطمئنة دون خوف أو ملل ، ولا يبالي ما أصابه ، إذ كان في سبيل الله تعالى وهو الذي يتقبله بقبول حسن . وهذا ثانيا .

وأما الثالث : فهو تصغير الدنيا في أعين التلاميذ . ان هذا لا يعني الابتعاد عن الدنيا أو التقليل من قيمتها ، وإنما نعني به ألا يكون همّ الناشئ وقصده هو الدنيا فقط دون الآخرة ، وألا يغفلوا بزخرفة الدنيا عن الآخرة ، ولا شك أن من مأل بركليته إلى الدنيا ينسى الآخرة ، ويصعب على نفسه فراق ملذاتها ، ولذلك يجب الإهتمام البالغ لإعطاء تصور إسلامي حقيقي للدنيا والآخرة ، وبعبارة أخرى بيان نظرة الإسلام إلى الحياة وإلى الآخرة ، حتى لا يميل التلاميذ إلى أحدهما دون الأخرى ، فيخسروا كليهما .

فأما الرابع : فحثهم على الجود والكرم والسخاوة والإيثار وإبعادهم عن البخل والشح والإسراف ، وبذلك تحي في نفوسهم أسنى معاني الفداء والتضحية بالمال . وذلك لا يتم إلا بطريقتين :

الأولى : التوعية الدينية ، حيث أن الإسلام حث على الجود والكرم والإيثار ، وجعلها من صفات المؤمنين الأخيار ، ووعد الله سبحانه وتعالى بالشواب الجزيل لأصحاب الجود والكرم والإيثار، وذلك بشرح النصوص القرآنية وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأخبار الصالحين التي تتحدث عن الجود والكرم .

كما أن الإسلام نهى عن البخل والشح والإسراف، وذكرها القرآن الكريم في مقام الذم ، ورتب عليها العقوبة، وجعل المسرفين والمبذرين من إخوان الشياطين ، وما أشبه ذلك .

الثانية : التوعية الاجتماعية والأخلاقية ، وذلك ببيان فوائد الجود والكرم والإيثار من الناحية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية، بطرق علمية وأساليب مقنعة عملية وكذلك بتوضيح مضار البخل والشح والإسراف والتبذير من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية .

وأما الخامس : عرض مشاهد الشجعان والأبطال من الصحابة الكرام، والسلف الصالح وذكر قصص الكرماء والمنفقين أموالهم في سبيل الله تعالى دون خشية الفقر، وذلك لتقوية عنصر المحاكاة والاقتداء .

إن الجهاد يقتضي الفداء والتضحية بالنفس والمال بكل غال ونفيس، ولذلك فلا بد من إعداد الشباب على هذه المعاني والمفاهيم السامية بجد وإخلاص .

٧ - إدراك معنى الولاء والبراء في نفوس التلاميذ:

إن الولاء والبراء أصلان من أصول الإيمان يقصد منهما وجوب موالة المؤمنين ونصرتهم والتعاون معهم في جميع أمور الخير وكف أنواع الأذى عنهم ، مع البعد والخلص والبراءة من الكافرين بأن لا تنتازل لهم عن شيء من الدين ، ولا تساعدهم على مسلم ، وأن لا نتخذ منهم بطانة وأعوانا وبمعنى آخر موالة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

وقد نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالة الكافرين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة المائدة / ٥١) .

هذا تحذير من المولى عز وجل فى غاية الشدة عن موالة اليهود والنصارى ، ومن يتولاها من المؤمنين يخرج من عنقه ريقة الإسلام ، لأن المرء مع من أحب ، ولا شك أن الكفر ملة واحدة ، لأن هدفهم هو العداوة للإسلام مهما اختلفوا فيما بينهم .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أولياء المؤمنين بصورة واضحة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (سورة المائدة / ٥٥ - ٥٦) .

ومن لوازم الولاء حب المسلمين في الله ، وصلتهم ، وأداء حقوقهم المشروعة في الإسلام من الصلة والزيارة وتشيع الجنازة وعيادة المريض وتشميت العاطس ، ونصرتهم والوقوف في جنبهم ، واحترام أهل الفضل منهم ، وطاعة ولاة أمرهم فيما لامعية فيه ، والبعد كل البعد عما يناقض هذا الولاء من تكفير المسلمين أو سبهم أو شتمهم ، أو استحلال دماءهم أو أعراضهم أو أموالهم ، وأن لا يهجرهم .

والبراءة هو البعد والخلص والعداوة لأعداء الله ورسله من الكافرين ومن والاهم ، يقول في ذلك الأستاذ عبد الوهاب بن لطف الديلمي في كتابه «معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم» (١٤٠٦ هـ) :

" فمعنى البراءة : البعد عما عليه الكفار وأصحاب المنكرات والفواحش والتَّزَرُّعُ عن ذلك ظاهراً وباطناً وعدم الميل إليهم أو محبتهم أو الإقرار لهم على ضلالتهم وأن يظهر عداوتهم وخلافهم ، ونبذ لما هم عليه " (١ ، ص ١١٦) .

كما تبين من الحديث السابق أن الولاء والبراء إعلان من أصول الإيمان ، وأن أمرهما خطير ، خطير على العقيدة الإسلامية والأمة الإسلامية ، وغرسهما في نفوس التلاميذ بالغ الأهمية وفي غاية الضرورة ، فإن تحقيقهما واجب على كل مؤمن. ومن واجب المدرسة أن تغرس هذه المعاني القيمة في نفوس التلاميذ لسلامة إيمانهم وتحقيق عقيدتهم وللحفاظ على شخصيتهم ، وعدم ذوبانهم في المجتمع ، وإن خطورة الموقف تظهر غالباً عند التلاميذ الذين درسوا في بلادهم حتى تخرجوا من المرحلة الثانوية ، ثم يسافرون إلى البلاد الأجنبية لمواصلة دراستهم الجامعية أو الدراسات العليا ، فلا بد من إيقاظهم ونصحهم ببيان أهمية تحقيق هذه المفاهيم في نفوسهم حتى لا يختل إيمانهم نتيجة احتكاكهم بالمجتمعات الغربية . وأما دور المدرسة في هذه العملية فيمكن أن نحدده كالتالي :

- ١ - وجوب إدراك التلاميذ حقيقة الدين الإسلامي من منبعه الأصلي صافياً خالياً من الشوائب .
- ٢ - بث معاني العزة والكرامة والفخر بعقيدتهم ونبيلهم ودينهم وكتابهم وأمتهم في نفوسهم .
- ٣ - بيان حقيقة أن الكفر ملّة واحدة مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ونظام حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .
- ٤ - بيان عدم الإغترار بمعالم الحضارة الغربية وزينتها ومظاهرها الخادعة وذلك بتوضيح أصالة الحضارة الإسلامية وزيف الحضارة الغربية .

٥ - الانتباه إلى مكاييد الأعداء من الصّهيينة والماسونية بدعائياتهم الكاذبة لدعواتهم الهدامة للإنسانية والحرية والمساواة وحقوق المرأة والإخاء .

٦ - وبعد ذلك كله الالتزام الكامل بتعاليم الإسلام بكل حذافيره .

وأود أن أشير في هذا المقام أن لا يفهم من الحديث السابق وجوب قطع علاقاتنا كلياً مع العالم الخارجي ، وهذا مخالف لطبيعة ديننا الذي غايته وهدفه إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وأن لنا معهم علاقات ، قد فصلت في كتب الفقه وكتب السياسة الشرعية ، وقبل ذلك في الكتاب والسنة . وقد بين علماءنا المجالات التي يجوز التعامل معهم فيها وحدود هذا التعامل فيما لا يصل إلى حد الموالاة، وهي بايجاز المناصرة .

وفي الختام أود أن أشير إلى ضرورة تعريف التلاميذ بحقيقة الإسلام وأهدافه السامية ، وبالعالمية الدعوة الإسلامية وشموليّتها ومن ثم إلى حقيقة الجهاد الإسلامي ، وأهدافه ، وأنواعه وثمراته المعنوية منها والمادية ومكانته من الدين .

فلا بد من تعريف هذه المفاهيم بصورتها الحقيقية مستمدة من مصادرها الأصلية والأساسية إلى التلاميذ . لأن التلميذ هو عضو فعال في المجتمع ، وله دور ورسالة في هذا المجتمع الإسلامي فلا بد من أداؤها على أكمل وجه . وإذا لم يتعرف على حقيقة هذه المفاهيم أو تعرف على صورتها المشوهة لها كيف يدعو إليها ، ويدافع عنها ويضحي في سبيلها ؟ فلا بد من معرفة الشيء قبل الدعوة إليه ، فإن واجب المدرسة مهم جداً في هذا الصدد ، لأنها مؤسسة متخصصة ، ويقضي فيها الناشئ ربيع شبابه ، من عشرات السنوات ، فلا بد من صياغة المناهج كلها بهذه الروح وبهذه المفاهيم ، صياغة إسلامية بعيدة عن التأثير الخارجي ، والواجب على المعلمين أن يتعلموا هذه الحقائق قبل تدريسها في المدرسة ، وقد تكلمنا بشيء من التفصيل عن حقيقة الجهاد في الإسلام وأهدافه ... في الفصل الأول والثالث من هذا البحث .

إن هذه الخطوات خطوات نظرية أو خطوات يغلب عليها الجانب النظري ،
وأما الخطوات العملية يمكن لنا ترتيبها كالآتي :

١ - دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم وأحاديث الجهاد في كتب
الحديث الشريف ، وفقه الجهاد في كتب الفقه وكذلك دراسة شعـر
الجهاد بما يتناسب وقدرات الطلاب في كل مرحلة دراسية :

إن دراسة هذه الآيات والأحاديث مع شرح معانيها وبيان أسباب نزولها
تبعث في نفوس التلاميذ روح الجهاد الاسلامي ، وتبعث فيهم أسمى معاني
الفداء والتضحية والشجاعة ، يتعرفون على فضله وفضل المجاهدين في
سبيل الله تعالى وما أعد الله تعالى لهم من نعيم مقيم في جنـات^١
النعيم ، وكما يتعرفون على أخلاق الجهاد وآدابه .

ومن المعروف أن كثيراً من آيات الجهاد نزلت متعلقة بالحركة الجهادية
في عصر النبوة ، كما مر معنا عند حديثنا عن سورة الأنفال التي نزلت
عقب غزوة بدر الكبرى ، وبذلك يتعرف التلميذ على مسيرة الحركة الجهادية
ويعيش في جو جهادي اسلامي ، ويتحقق في نفسه موالاة المؤمنين والبراء من
الكفر والكافرين .

وأما فقه الجهاد فإن التلميذ يتعرف من خلاله على أحكام الجهاد
وعلى مدى اهتمام الفقهاء بهذا الأصل من أصول الدين ، بحيث درسوا
أحكامه بكل تفاصيلها وبكل عناية ، ولأشك أن التلميذ بهذه المعرفة يقدر
موقفه ومسئوليته في نشر الدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى .

وأما دراسة شعر الجهاد فإنها تدعم الروح الحماسية لدى التلميذ ، ومن
المعروف أن شعر الجهاد له أثر كبير في نفوس المجاهدين ، وهو يعتبر
بمشابة الحث والتحريض على الجهاد ، وإذا نظرنا إلى كتب الحديث والتاريخ
الاسلامي فنشاهد أن هناك شعراً كثيراً أُلقي في المعارك الاسلامية والذي
يعبر عن تلك الروح الجهادية والشعور البطولية والشجاعة الاسلامية عند
المؤمنين .

وهذا ابن اسحق لقد بَوَّب في السيرة بابا مستقلا عما قيل من الشعر
في يوم بدر ، ج ٢ ، من ص ٣٥٨ الى ٣٨٧ . وقل ما نحد معركة اسلامية إلا
وقد ألقى فيها شعر لدعم الروح القتالية والروح الحماسية لدى
المجاهدين .

فمن واجب المدرسة أن تدخل هذه الدراسات في صلب المنهج الدراسي ،
ومن واجب المعلمين أن يدرسوا هذه المعاني السامية بروح حيوية
تدفع التلاميذ إلى ميادين العز والشرف وساحات البطولة والشجاعة . ولدوام
هذه الروح العالية لدى التلاميذ فلا بد من تحفيظهم بعض الآيات القرآنية
المتعلقة بالجهاد يقرؤونها في كل الأحيان وفي صلواتهم ، وكذلك تحفيظهم
بعض الأحاديث النبوية في الجهاد وبعض شعر الجهاد .

٢ - دراسة السيرة النبوية الشريفة دراسة واعية :

وذلك للوقوف على المنهج النبوي الشريف في مسيرة الحركة الجهادية .
إن هذه الدراسة بالغة الأهمية في تربية الجيل الجديد ، وبذلك يتعرف
على مراحل الدعوة الإسلامية قبل الهجرة وبعدها وخصائص تلك المراحل ،
وذلك ليتمثل بهذا الأسلوب والمنهج في حياته الجهادية . لأن دراسة السيرة
بإمعان وإتقان وبالتدبر والتفكير تبرز لنا خلاصة المنهج النبوي الشريف
في الدعوة والجهاد .

إن هذه الدراسة لا تثمر أية ثمرة بمجرد سرد الأحداث سردا تاريخيا ،
أو مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية ، وإنما باستخراج فقه السيرة
واستنباط بعض الدروس والعظات من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة
الصحابة الكرام في عصر النبوة ، ويقول في ذلك محمد رمضان البوطي في
« كتابه فقه السيرة (١٣٩٨ هـ) مشيرا إلى تلك الحقيقة من دراسة السيرة
النبوية الشريفة حيث قال :

" ان الغرض منها أن يتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة في حياته صلى الله عليه وسلم ، بعد أن فهمها مبادئ وقواعد وأحكاما مجردة في الذهن . أي أن دراسة السيرة النبوية الشريفة ، ليست سوى عمل تطبيقي يراد منه تجسيد الحقيقة الإسلامية كاملة ، في مثلها الأعلى محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أهداف دراستها :
 أولا : فهم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حياته وظروفه التي عاش فيها .
 ثانيا : أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى في كل شأن من شئون الحياة الفاضلة
 ثالثا : أن يجد الإنسان في دراسة سيرته عليه الصلاة والسلام ما يعينه على فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده .
 رابعا : أن تتجمع لدى المسلم من خلال دراسة سيرته صلى الله عليه وسلم أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة .
 خامسا : أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذج حي عن طرائق التربية والتعليم .

((ص ١٧ - ١٨ (نقل بتصرف)))

إن التعرف على حياته صلى الله عليه وسلم يقدم لنا نماذج سامية في كل مجال من مجالات الحياة ، لأن حياته صلى الله عليه وسلم شاملة لكل النواحي الإنسانية والاجتماعية والسياسية .

فلا بد من تدريس هذه المادة بهذه الصفة والكيفية ، ومن الضروري جدا أن تكون هذه المادة مادة أساسية في كل مراحل التعليم ، تدرس في كل مرحلة بطريقة تناسب مدارك تلاميذها ، وبأسلوب يلاءم ثقافة طلابها ، وأن يكون غرض المعلم من هذه الدراسة هو إشعار التلاميذ وإفهامهم بإمكانية تطبيق هذا المنهج النبوي الشريف في واقعنا المعاصر ، ووجوب تطبيقه .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنه لابد من تدريس هذه المادة من مصادرها الأصلية والأساسية ، إذ أن جميع كتابات المستشرقين في هذا المجال مليئة بالتشويه والتحريف والتبديل ، ولذلك من واجب المدرسة أن -

تختار في تدريسها أوثق المصادر في سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، مثل سيرة ابن اسحق وكتب السنة النبوية وغيرها مما هي معروفة عند أهل هذا الفن والإختصاص .

٣ - دراسة التاريخ الاسلامي بشكل عام لمعرفة المسيرة الجهادية طوال التاريخ الاسلامي المجيد من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا ، وذكر قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام مع أقوامهم ، للإطلاع على مسيرة الدعوة إلى الله تعالى ، منذ آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر :

إن التاريخ الاسلامي صورة حية للأمة الاسلامية، ترى فيها ملامح الأمة الحقيقية ، ومعالمها الخاصة المميزة لها عن سائر الأمم ، ولذلك ينبغي أن يدرس دراسة تحقيق وتمحيص لا أن يقرأ قراءة سرد للأحداث ومتابعة للوقائع. وأن التاريخ يدرس للاعتبار ، والاتعاظ وللاقتداء بالحسنات والابتعاد عن الأخطاء .

إن دراسة التاريخ الاسلامي بالغة الأهمية من ناحية ، وبانغة الخطورة من ناحية أخرى ، وأما أهميتها تكمن في كونها من مكونات هذه الأمة الاسلامية ، ومن أهم عناصر وحدتها ، لأن التاريخ من أهم روابط الأمة ، وأوثق عراها . وأما خطورة دراستها تكمن في الإعتماد على مصادرهم ومراجعتها وفي مؤلفيها ، ومن المؤسف جدا أن التاريخ الاسلامي الذي يُدرس في كثير من البلدان الاسلامية يحتوي على كثير من المفهومات المغلوطة التي تجعل التاريخ الاسلامي تاريخ الفتن والحروب والخلافات والدسائس ، مما أدى إلى تحريف بعض الحقائق التاريخية وتبديلها وتشويهها ، وهذا التشويه راجع إلى أن الذين تعرضوا لكتابة هذا التاريخ ليسوا مؤهلين له ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن كتابات المستشرقين أصبحت مرجعا أساسيا في التاريخ عند بعض المخططين والمنفذين والمشرفين والمدرسين ، الذين لا يهمهم دينهم ولا عقيدتهم ولا ثقافتهم ولا آدابهم ، وفي الحقيقة أن هؤلاء المستشرقون يشوهون كثيرا من الحقائق التاريخية باسم العلم

والاستشراق ، وكتابتهم حرب على الإسلام والمسلمين وعلى كل شيء إسلامي ، وكل ما يهمهم هو الطعنى الإسلامى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

إن مناهج التاريخ في المدارس يجب أن يكون بداية لإعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامى بيد من تتوفر فيهم الأهلية والقدرة والكفاية للقيام بهذا العمل ، وبتعبير آخر يجب صياغة التاريخ صياغة إسلامية .

« »
ولذلك يدعو أكرم ضياء العمرى في كتابه المجتمع في عصر النبوة (١٤٠٣ هـ) إلى إعادة صياغة التاريخ الإسلامى وفق التصور الإسلامى لحركة التاريخ من ناحية التفسير التاريخى وفق مناهج المحدثين من ناحية البحث في التاريخ الإسلامى ، (ص ١٧) .

وخلاصة القول أن هناك ضرورة قصوى وحاجة ملحة لإعادة صياغة التاريخ الإسلامى ، وتقديمه للأجيال خالياً من التشويه والتحريف والأكاذيب . إن ذلك مسئولية عظيمة ملقاة على عواتق أفراد هذه الأمة ، وأن ذلك جهاد فى سبيل الله تعالى ، جهاد باللسان والقلم ، جهاد التربية والتعليم .

ومن هنا تظهر بوضوح ضرورة دراسة التاريخ الإسلامى في المدارس في صياغة إسلامية بروح جهادية حيوية ، وذلك لإخراج جيل يعتز بدينه وعقيدته وأمجاد تاريخه وتراثه ، ويفتخر بأجداده البواسل الباذلين أنفسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى ، وبذلك متحرك مشاعر التلاميذ وعواطفهم ويندفعون بسرعة إلى الاقتداء بأسلافهم والتأسي بآبائهم وأجدادهم في نشر الدعوة الإسلامية والجهاد المقدس .

وأما ذكر قصص الأولين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، يتعرف التلميذ من خلالها على بعض أساليب أعداء الرسل في الصد عن الإيمان بهم واتباعهم ، بما كانوا يوجهونه من المطاعن والشكوك نحو الرسل عليهم السلام ، وكما يتعرف على الوسائل الجديدة التي يتخذها أعداء الإسلام اليوم ليصرفوا الناس عن دين الله تعالى ، ويتجلى في ذهنه أن الهدف من جميع الرسائل السماوية هو الدعوة إلى التوحيد والأخلاق الحسنة وتنظيم

حياة الناس نحو الفضيلة والكمال ، وكما يتعرف التلميذ على أساليب الدعوة طوال عصور التاريخ ومالقي الأنبياء وأتباعهم من أنواع الأذى والتعذيب ، ويستقر في ذهنه أن طريق الدعوة مملوءة بالأشواق والمتاعب ، فلا بد من التسليح بالإيمان والعمل والاخلاص والصبر والتوكل والجهاد والفداء والتضحية ، وبذلك يتخذهم التلميذ قدوة في حياته وسيره ويواجه مشكلات الحياة والدعوة بروح الصبر والمصابرة وبالعزم .

ونخلص مما سبق أن من واجب المدرسة تدريس التاريخ بصيغته الإسلامية ، وبروح جهادية وربط الحاضر بالماضي بتوثيق الروابط بين الأجيال الحالية والأجيال الماضية ، وتكوين روح الفخر والإعتزاز بأمجاد التاريخ الإسلامي العريق ، وذكر قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام للوقوف على سيرة الدعوة والجهاد طوال التاريخ .

٤ - التربية البدنية للفرد :

للإسلام توجيهاته في مجال الإعداد الجسمي والبدني . وإن هذه التوجيهات لا تقتصر على جانب في الجسم دون جانب ، بل الجسم كله من حيث صحته ووقايته وتنميته ، وأثره في جوانب الإعداد الأخرى كالإعداد العقلي والروحي ... لأن العقل السليم في الجسم السليم .

والإعداد الجسمي لا يقتصر على الرياضة التي يمارسها القلة ويفتن بها الكثرة ، إنما يشمل أيضا الجهود التي تبذلها الدولة في سبيل تقديم خدمات صحية عامة ، ورعاية الأمومة والطفولة ، والثقافة الصحية والتغذية المدرسية ، وسبل الوقاية من الأمراض .

ولذلك فلا بد من جعل الثقافة الصحية والوعي الصحي من محتويات المنهج الدراسي ، وإيجاد الوسط الصحي الذي يعيش فيه الشباب ، سواء أكان في البيت أو المدرسة وغيرها ، و الرياضة تحقق اللياقة البدنية بما يكسب التلاميذ درجة عالية من التحمل ، ويزيد من قدراتهم في تحمل مشاق العمل والتعب ، وكما يمكن دعم السلوك الأخلاقي للشباب من خلال

الرياضة التي تعمل على غرس المباديء الحسنة والقيم الرفيعة، وبناء علاقات اجتماعية على أسس إسلامية .

ولقد أصبحت الرياضة اليوم بعيدة عن الروح الإسلامية وآدابها وأخلاقيها ، فهي تمارس لأجل الرياضة لا لأهداف عليا وغايات سامية ، فهي أصبحت انتصارا زائفا وتنافسا غير شريف ، فلقد أدت إلى الانقسامات والكراهية والتباغض والتحاسد والتشاجر بين شباب المسلمين .

ولاشك أن هذا لا ينبغي للمسلمين أن يفعلوه ، لأن عمل المسلم كله تحت هدف محدود ، وتحت غاية نبيلة ، وإذا قصد المؤمن من الرياضة تقوية جسمه للعبادة وأعمال الخير والجهاد في سبيل الله تعالى فحينئذ تصبح الرياضة وسيلة للعبادة ويؤجر عليها .

وقد رأينا توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام بتعليم أبناء المسلمين السباحة والرمي وركوب الخيل ، ويقاس على ذلك أنواع الرياضة المستخدمة التي تربي أجسام الشباب ، وتزيد لها قوة ومثانة على هدي تعاليم الإسلام ، ومن الواجب أن تمارس هذه الأنواع بروح إسلامية وبآداب إسلامية ، وأن لا يتطرق اليها موانع شرعية من الخطر والحرام ، وأعني بذلك أن تكون تلك الممارسة موافقة لحكم الإسلام ومبادئه وتعليماته ، مثل أن يكون لباس الشاب ساترا للعودة وأن يكون بعيدا عن الاختلاط بالنساء ومواقع التهم ، وأن لا ترتبط الرياضة بنوع من أنواع القمار ، وأن لا تكون مانعة من أداء الفرائض والواجبات .

وخلاصة القول أن الرياضة ممدوحة ولازمة لاعداد الشباب المسلم بحدودها الشرعية وآدابها الإسلامية ولتحقيق الأهداف العليا لا الأهداف الخسيسة والهابطة .

ومن هنا يتبين بوضوح واجب المدرسة لتنمية أجسام الشباب وتقويتها ويمكن لنا تحديده في النقاط الآتية :

١ - تكوين الوعي الصحي لدى التلاميذ وذلك بجعل الثقافة الصحية من محتويات المنهج ، ويجب التركيز على توعية التلاميذ بمضار بعض الظواهر الخطيرة والمتفشية بين الشباب خاصة وبين الناس عامة والتي تضر الصحة وتوقع في المهالك ، مثل: ظاهرة التدخين والمسكرات والمخدرات والزنى والشذوذ الجنسي ...

والواجب على المدرسة كمؤسسة متخصصة أن تبين للتلاميذ مضار هذه الظواهر من الناحية الصحية والنفسية والاجتماعية والعقلية والاقتصادية بطريقة علمية تثبت الوقائع بوضوح وتكشف عن الحقائق وتضعها أمام عيون التلاميذ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب مراقبة سلوك التلاميذ من قبل المسؤولين في المدرسة ادارة ومدرسا ومتابعتهما، واتخاذ اللازم عند الاعوجاج.

ان التوعية الصحية لاتكفي وحدها للاقلاع عن مضرات الجسم فلا بد وأن تصحبها التوعية الدينية . فكثيرا ما نشاهد بعض الأطباء وهم يدخنون أو يشربون المسكرات وحتى المخدرات ، وهم يعرفون مضار هذه الظواهر صحيا بطريقة علمية متخصصة ، ثم ان طبيعة النفس البشرية تميل عادة إلى ملابسة بعض الظواهر الضارة وممارستها وهي عارفة بها ، ولكن النفس الأمارة بالسوء تأمره بدوامها والشیطان يزينها، فلا بد من توعية دينية للاقلاع عنها.

ان التوعية الدينية لاتتم الا ببيان وجوب المحافظة على الصحة ومحاربة كل ما يضرها شرعا . لان انسحة هبة من المولى لعبده ، وأن المرء مسئول عن صحته أحافظ عليها أم أضرب بها ؟ يقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۖ ﴾ (سورة البقرة / ١٩٥) ويقول أيضا جل شأنه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ سورة النساء / ٢٩ .

ولاشك أن الإضرار بالصحة هو التدرج نحو الموت ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك ، ثم يجب على المدرسة أن تبين للتلاميذ حكم

هذه الظواهر في الشريعة الإسلامية مقترنا بالأدلة المقنعة من الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء ، مع بيان العلة من التحريم أو الكراهية ... على حسب حكم الشرع فيها ، ثم ببيان جزاء هذه الظواهر في الآخرة . ولاشك أن التلميذ بهذا الأسلوب والطريقة سيقنع عن تلك الظواهر إن شاء الله تعالى .

- ٢ - ممارسة الرياضة كما سبق بيانها .
- ٣ - إقامة الدورات التدريبية والمعسكرات والرحلات التي تصقل الشباب وتزيد من خبراتهم وتجاربهم وتكسيهم عزما وقوة وتعريفهم بحب المشاركة مع زملائهم والإيثار والتضحية وتدريبهم على بعض الممارسات العسكرية الجهادية .

- ٤ - الزيارات إلى معسكرات القوات المسلحة ليزداد التلاميذ حماسة، ولإطلاع على المستجدات في الأنظمة والمعدات والأسلحة المتطورة .

٥ - حماية الشباب من أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي :

إن أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفرة والملحدين عندما تيقنوا من أنهم لن يقدرُوا على غزو المسلمين عسكرياً، التجسّأوا إلى أساليب أخرى ، ولقد اختاروا أن يغزو المسلمين في مجالات ثلاثة: مجال الفكر والثقافة والتعليم . وبطبيعة الحال أنهم التجسّأوا إلى هذه المجالات قاصدين معركتهم ضد العقيدة . لأنهم يعرفون يقيناً أن مصدر قوة هذه الأمة هي عقيدتها ، وصمّموا على أن تكون المعركة الحقيقية ضدّ العقيدة. وهم يعرفون جيداً أنه ليس من السهل طمس هذه العقيدة من نفوس المسلمين مباشرة وإنما قصدوا أن يطمسوا معالم هذه العقيدة، وأن يشوّهوا على المسلمين أهم مكوناتها وعناصرها ومبادئها بطريقة غير مباشرة .

ومن هذه المكونات الجهاد في سبيل الله تعالى ، وهم فهموا حقوق الفهم المعنى الحقيقي للجهاد الإسلامي وتعرفوا على أهدافه وغاياته، ولقد

شاهدوا ثمرة تطبيقه خلال القرون الزاهرة من الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً . ولقد أضعوا سلطانهم ومناصبهم وهيباتهم أمام سلطان الله تعالى وهيبته الإسلام والمسلمين، وكما شاهدوا الحضارات الإسلامية التي أسسها المؤمنون المجاهدون والتي طمست معالم الشرك والكفر بضياؤها اللامع ونورها الساطع والتي هزت عروش الطغاة وصناديد الظلم والاستبداد وغيّرت الحياة نحو الفضيلة والكمال والانسانية والعدل والحرية .

وبالجهاد الإسلامي ذهبت مصالحهم الشخصية واستعبادهم للناس وأكل أموالهم بالظلم والجور والظلم ونهب خيراتهم بدعوى الإصلاح والتعمير وتقديم خدمات انسانية !

ولقد عرفوا قوة الإيمان والعقيدة ودور الجهاد الإسلامي في الحروب الصليبية التي استمرت عدة قرون وانتهت بفشل أهل الكفر بعد أن وكبدتهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات الحربية ، ولم ينج منهم إلا القليل .

ولذلك ركزوا جهودهم كلها للنيل من هذا المفهوم الإسلامي السامي بالتشويه والتغيير والتحريف والتبديل ، وقد سبق بيان بعضها في الفصل الأول من هذا البحث عند حديثنا عن تحريف معنى الجهاد في الوقت الحاضر .

ومن واجب المدرسة المحافظة على أفكار التلاميذ من أخطار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي ، ولذلك يمكن أن نحدد دورها في هذه العملية الخطيرة كالتالي :

١ - تعريف الحقائق الإسلامية تعريفاً صحيحاً وتشبيتها في قلوب التلاميذ تشبيهاً متيناً ، لئلا تختلط الأفكار وتضطرب المبادئ وتمتزج الثقافات .

٢ - تعريف التلاميذ بأساليب الغزو الفكري والثقافي والتعليمي وبيان أهم النقاط التي يركزون عليها ، وبيان أهدافهم وغاياتهم الخبيثة والكشف عن مخططاتهم .

٣ - اختيار المقررات الدراسية الخالية من سموم هذه الأعداء وأدناسهم .
 ٤ - تثقيف التلاميذ والطلاب بثقافة إسلامية صحيحة قبل ابتعاثهم إلى البلاد الأجنبية ، لأن المستشرقين يؤثرون غالباً في نفوس التلاميذ والطلاب الذين لم يتلقوا تعليماً إسلامياً وثقافة إسلامية كافية في بلادهم .

٥ - تكوين الشعور الدفاعي لدى التلاميذ ، بحيث يجعلهم يدافعون عن عقيدتهم ودينهم وأمتهم أينما كانوا ، رافعي رؤوسهم واثقيبين بأنفسهم ولا يخافون في الله لومة لائم .

٦ - تزويد التلاميذ والطلاب بالمعلومات الخاصة والمتنوعة عن الثقافة الغربية والفكر الغربي ، وعن دياناتهم ، وأنظمة حياتهم وسياساتهم الداخلية والخارجية وعاداتهم وتقاليدهم ليكون الطلاب على بينة من أمرهم ولئلا يقعوا صيدا في مصيدهم وضحية من ضحاياهم .

٧ - تنقية المناهج الدراسية كلها عن آثار الغزو الفكري والثقافي والتعليمي وصياغتها بصيغة إسلامية صحيحة .

٦ - الاستفادة من المسرح المدرسي :

إن تقديم التمثيليات له أثر كبير في نفوس التلاميذ ، إذ ييرون الأحداث والمواقع في صورة حية عملية ، يزدادون تأثراً وانفعالا عند تخيلهم لتلك الأحداث والوقائع ، ولا شك أن التمثيليات تحرك مشاعر التلاميذ وعواطفهم وتجعلهم لا ينسون الوقائع التي شاهدوها طوال السنين ، بل طوال العمر كله .

إن التلاميذ مهما قرءوا البطولات الجهادية ومواقف الشجعان في بطون الكتب ، ومهما استمعوا إليها من أفواه معلميه ومدرسيهم بأساليب مختلفة ، فإنهم بحاجة ماسة إلى أن يشاهدوها ولو بطريقة تمثيلية ، ومن ذلك يتجلى دور المسرح المدرسي لتقديم تمثيليات البطولية الجهادية والتي تصور أهم أحداث التاريخ الإسلامي لأحياء روح الجهاد والفداء

والتضحية الشجاعة وإذكائها في نفوس التلاميذ . وعندما يشاهد التلاميذ زملاءهم وهم يقدمون أروع التمثيليات وأحسنها ويظهرون بمهاراتهم الفائقة وقدراتهم البناءة المفاهيم السامية من فداء ، وتضحية وبسالة وكفاح ، ويلعبون دورهم بجد وإخلاص ، وبروح الرجولة ، يزدادون شوقا إلى ممارسة تلك الأعمال في حياتهم القادمة . ومن المعروف أن رجال التربية ينصحبون تربية الأطفال والتلاميذ في وسط أقرانهم وزملائهم حتى يستأنسوا بعضهم بعضا ، ولاشك أن تقديم مثل هذه التمثيليات من قبل التلاميذ يفتح أمام التلاميذ جميعا مجالا للمنافسة ، فلا بد لإدارة المدرسة من دعم التلاميذ وتشجيعهم لتقديم مثل هذه التمثيليات ، وخاصة في المناسبات التاريخية الإسلامية .

٧ - جمع التبرعات المالية - ولو رمزا - دعما للحركة الجهادية وذلك لتعويدهم على الكرم والسخاء والانفاق في سبيل الله تعالى .

٩

إن الممارسات العملية لها أثر كبير في التربية ، والتلميذ مهما تعلم في المدرسة فضل الكرم والسخاء والانفاق في وجوه الخير والأعمال الإنسانية ، ولم يمارسها في حياته اليومية فإن التربية ستبقى قاصرة على الجانب النظري لا تتعدى إلى الجانب العملي التطبيقي . ولذلك يجب على المدرسة أن تعود التلاميذ على الكرم والسخاء والبذل والعطاء ، وذلك بجمع التبرعات المالية - ولو رمزا - لمساعدة إخوانهم في شتى بقاع الأرض وأن يخصص بذلك صناديق خاصة في المدرسة . ولاشك أن التلميذ في هذه الفترة الدراسية يشق على نفسه أن يتبرع بشيء من النقود التي أعطاه أبوه لينفق على حاجاته في المدرسة ، ولكن هذا التبرع مهما كان ضئيلا فإن التلميذ سيتعود عليه ، ويتخذ شعارا في حياته ، ويعتز به ، وأن عمله هذا سيؤدي به إلى التفكير بقضايا إخوانه ومشكلات أمته ، وعلى الأقل يحس بالأخوة الدينية ويشعر بالأخوة الإيمانية ، ويطلع على وجوب مساعدة المؤمنين ومساندتهم ماليا وبالتكافل الاقتصادي بين أفراد المجتمع . عسى يخصص جزءا من دخله أو راتبه عندما كبر وتحمل المسؤولية على الجهاد الإسلامي ، وإذا نادى منادي الجهاد إلى الانفاق في سبيل الله تعالى فإنه يسعى عن طيب نفس إلى تلبيته وإجابته ويحث الناس عليه ويلوم من تقاعس عنه .

المبحث الثالث

(واجب المسجد في التربية الجهادية)

—

ويشتمل هذا المبحث على :

* مقدمة عن مكانة المسجد في الاسلام عامة وفي التربية والتعليم خاصة .

١ - غرس التربية الايمانية والأخلاقية في نفوس المؤمنين عامة وفي نفوس الناشئة خاصة .

٢ - دعم روح الأخوة والتعاون بين المؤمنين .

٣ - إلتهاز المناسبات التاريخية لأحياء الروح الجهادية في قلوب المؤمنين .

٤ - الإهتمام بالدعوة الاسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى .

٥ - الإهتمام بالقضايا الاسلامية الراهنة .

* مكانة المسجد في الإسلام عامة وفي التربية خاصة :

إن المساجد بيوت الله تعالى ، تقام فيها الصلوات وتتلّى فيها آيات الكتاب العزيز ، يذكر فيها اسم الله عز وجل بكرة وأصيلا ، قال تعالى : * وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * (الجن / ١٨)

ومما يدل على مكانة المساجد عند الله تعالى أنه سبحانه وتعالى هو الذي فضّلها على غيرها من الأماكن ، وأمر في بنائها وعمارتها وجعل أصل وظائفها الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح والتمجيد ، قال جل شأنه : * فِي بُيُوتِ أَذُنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتِ الزَّكَاةَ * (النور : ٣٦ - ٣٧) .

ومما يدل على مكانة المسجد في الإسلام ، أن أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى المدينة المنورة إقامة المسجد ، لأن المسجد هو الذي يضم المسلمين ويجمعهم للعبادة ولتحقيق أهدافهم وحل مشاكلهم ويجمع شملهم تحت سقف واحد . المساجد مهبط النّفحات الربّانيّة ومحط ملائكة الرحمة ومحاريب ذكر الله تعالى ، وإن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوزع في المساجد ، وميراثه العلم . يجتمع فيها المسلمون يملّون ويتدارسون العلم ويذكرون الله تعالى ويتلون كتاب ربهم ويدعون الله تعالى رغبة ورهبة .

إن المسجد هو أول بناء في الإسلام ، بناه النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق أغراض كثيرة غير كونه مكانا للعبادة . لأن حاجة الدّعوة إلى الله وتبليغ الرّسالة كانت تقتضي اقتضاء لازم أن يكون للدّعوة مكان عام يتناسب مع عمومها وخلودها ، يجتمع فيه رجال الدّعوة يتشاورون في أمر الدّعوة ونشرها ، ويخططون ويرسمون فيه أمورهم .

إن المسجد مكان تملكه الأمة حيثما كان أفرادها وجماعاتها ، ويحمي هذه الملكية أفراد الأمة بأنفسهم ، ويتحملون مسؤولياتهم تجاه إقامته

وصيانتة وعمارته وتحقيق وظائفه وواجباته .

ولقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقراً رئيسياً لإدارة الدولة بجميع شئونها تقريباً ، وكان مكاناً للعبادة والذكر والدعاء وقراءة القرآن، وكان مكاناً للقضاء يقضي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتخاصمين ، وكان رباطاً يأوي إليه المحتاجون والفقراء والمساكين والمسافرون ، وكان مقراً لاستقبال الوفود وإجراء المفاوضات كما كان ميداناً للتدريب البدني ومكاناً لعقد الألوية والرايات للجيوش .

وفوق ذلك كله فإن المسجد كان في عصر السعادة مدرسة وجامعة إسلامية، يقوم فيه النبي صلى الله عليه وسلم بتربية أصحابه وتزكيتهم وتعليمهم، كما كان الصحابة الكرام يتدارسون فيه العلم فيما بينهم ويتذاكرونه ويتلون كتاب الله تعالى ويحفظونه ويعملون بما فيه . ومن المشهور أن أهل المصفاة كانوا يقيمون في المسجد ويتعلمون أمور دينهم على يد نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومما يدل على مكانة المسجد في مجال التربية والتعليم ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ... " (كتاب الذكر ، رقم : ٢٦٩٩) .

إن تلاوة كتاب الله تعالى تشمل تلاوته وحفظه معاً ، ومدارسته هي مذاكرته وتعلم هديه وأحكامه وفقهه ومواعظه وقصصه ، وتعاليمه ، والتخلق بأخلاقه . وهذه قصة عملية واقعية عن مهام المسجد تربوياً ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه قال : " كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوماً وأنزل يوماً ، فإذا نزلت جثته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ... " (كتاب العلم / رقم ٨٩) .

ونفهم من هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربِّي أصحابه ويعلمهم بصفة مستمرة في مسجده ، والصحابة الكرام كانوا يداومون على تلقي هديه وتعلّمه يوميًا في المسجد . وإذا عجز أحدهم عن الذهاب إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم كان يبعث أحدا مكانه أو يستفسر عن الحاضرين أخبار ذلك اليوم ، أو كانوا يتناوبون للذهاب مع جيرانهم كما كان يفعل عمر الفاروق رضي الله عنه .

وكان الصحابة الكرام حريصين كل الحرص على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ليتلقوا العلم والعرفان من منبعه الأصلي الصافي النقي مباشرة دون واسطة ، ولكن ظروف الحياة كانت لاتسمح بذلك لبعض الصحابة ، إما لاشتغالهم بالزراعة أو التجارة ، أو بُعد المسكن عن المسجد ، ولكن هذه العقبات والموانع لم تمنعهم من التفقه في الدين ومن تعلم الهدى النبوي ، وكانوا يتلقونه بعضهم عن بعض ، ويخبرون بعضهم بعضا عما سمعوا من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وعما شاهدوا من أعماله صلوات الله وسلامه عليه .

ثم إن المسجد النبوي الشريف كان مدرسة مستقلة بذاتها، ومنهـا تخرج ذلك الجيل ، المثالي الفريد ، جيل الصحابة الكرام ، ولقد تلقوا فيها تعليمات دينهم ، وتربوا تربية جهادية بطولية على يد قائدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أو في بيته وهو يتلوهُ على أصحابه في مسجده ، والصحابة الكرام كانوا يتلقونه حفظا وعملا وسلوكا وتعلّما ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرشدهم بالوحي الثاني وهي السنة، وكان تعليمه لهم بالقول والعمل والتقارير .

وكان المسجد منطلق تحركات الصحابة الكرام في الدعوة والجهاد ، وإرسال العمّال والأمراء إلى الأقاليم والأمصار . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الأمور الهامة في المسجد ، ويدعو الناس إلى الجهاد في مسجده ويلبس سلاحه ويخرج إلى أصحابه في مسجده كما كان ينطلق بهم للجهاد من مسجده .

وفي ضوء البيانات السابقة يمكن لنا أن نحدد وظيفة المسجد في عصر النبوة فيما يلي :

- الأولى : العبادات: من صلاة ، وذكر ، وتلاوة قرآن ، ودعاء واعتكاف .
- الثانية : التربية والتزكية: من مذاكرة القرآن الكريم ومدارسته ، وحفظه ، وكذلك حفظ الأحاديث النبوية الشريفة ، وضبطها ومذاكرتها ومدارستها .
- الثالثة : وظيفته الاجتماعية: تتضمن تحقيق الأخوة الدينية ، وإعانة الفقراء والمحتاجين ، وتفقد أحوال المؤمنين ، وجميع القضايا التي تطرأ على المجتمع .
- الرابعة : وظيفته الاقتصادية: من جمع التبرعات للفقراء والمساكين وكذلك جمع النفقات للجهاد في سبيل الله تعالى .
- الخامسة : وظيفته الجهادية والعسكرية: من اعداد المجاهدين المقاتلين ، والتشاور في أمر الجهاد والحرب والقتال ، عقد الألوية للفـزوات والسرايا ، تدريب الجنود على التدريبات العسكرية .
- السادسة : وظيفته السياسية: مثل استقبال الوفود وإجراء المفاوضات وكتابة الرسائل إلى الملوك والرؤساء .

وبعبارة أخرى أن المسجد كان مقراً لتدبير شؤون الدولة الإسلامية كلها ، وكانت تلك الوظائف كلها تمارس في آن واحد في مسجده صلى الله عليه وسلم ، ويمكن لنا أن نتساءل في هذا المقام وهو لماذا لم يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم أماكن أخرى خارج المسجد ليخفف من ثقله ؟ وكان بإمكانه أن يفعل ذلك بلا شك .

ويجيب على هذا التساؤل الأستاذ عبد الله أحمد قادري في كتابه

» دور المسجد في التربية (١٤٠٧ هـ) قائلا :

" فان ذلك يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قصد أن لا يفرق بين أداى الشّاعتر التّعبدية، وغيرها من سياسة الدولة ، ليعرف أمته أن الدّين شامل لإقامة كل خير في هذه الأرض وليس خاصا بنوع معين من أنواع العبادة التي تؤدى لله تعالى. ولو لم يكن هذا المعنى هو مقصوده صلى الله عليه وسلم ، ولو كان المسجد خاصا بأداى الشّعائر الدينية المشهورة عند الناس، ولا يليق به غير ذلك ، لسارع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تخصيص مكان آخر لإدارة شئون الدولة فيه ، وما الذي يعجزه عن ذلك ؟ ... " (ص ٦٦) .

إن ظروف عصر النبوة من حداثة البناء والتأسيس ، وبساطة الحياة وقلّة السكان والتزهد في الدنيا ... الخ من الظروف التي اختص ذلك العصر ورجاله، قد اقتضت أن يكون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤدي رسالته على الوجه الذي سبق بيانه ، وأن يكون بناؤه على تلك البساطة ، لأن الصّحابة الكرام صرفوا جهودهم وإمكاناتهم كلّها إلى نشر الدّين والجهاد في سبيل الله تعالى ، واكتفوا من أمور الدّنيا بالكفاية الضرورية والحاجة الملحة .

ولقد أدّى المسجد رسالته طوال العصور التاريخية ، ولكن بسبب الظروف الجديدة التي طرأت على المجتمع الاسلامي الجديد، ولقد تخلّى عن بعض وظائفه المذكورة ، مثل القضاء وتدبير أمور الدولة الأخرى، واعداد الجنود ، والتعليم ... الخ ، وذلك بسبب الإزدياد في السكان وفتح البلدان وكثرة الجنود ، وتنظيم الجيش ... الخ .

من الأسباب التي اقتضت تأسيس المستشفيات المتخصصة ودور الأيتام والمدارس ، ودور القضاء ومقر إدارة الدولة والمعسكرات للجنود وغير ذلك من المؤسسات التي تعتبر من المصلحة العامة للإسلام والمسلمين وعامة الناس .

ولاشك أن الاسلام دين يحافظ على المصلحة العامة ويراعيها في كل زمان ومكان، وان انفصال هذه المؤسسات - في المكان والشكل ليس في الروح

والوظيفة - كان من ضروريات الحياة ومسايرة الزمان ، وتلبية لظروف العصور وسلامة الدعوة ونشر الدين . وليس في ذلك ما يضر المسجد ، لو أن تلك المؤسسات تعاونت مع المسجد وسارت على هديه ونهجه ومنواله ، ولم تعاده في أهدافها ومناهجها ووسائلها وطرقها واتجاهاتها . ومن المؤسف جدا أنه حدث في كثير من البلاد الإسلامية الانفصال المعادي بين المسجد وبين المؤسسات الأخرى ، وأصبحت تلك المؤسسات تحارب المسجد وتحقـره وتجاهه ، وذلك بسبب بذور العداوة والبغضاء التي ألقىت من قبل المستعمرين وعمّالهم للتقليل من شأن المسجد وعلمائه وطلابه وخريجيه ، وأن أمثاله مشاهد في الأعيان في الوقت الحاضر في كثير من الدول الإسلامية ، ولا يلتفت إلى جانب طلاب المساجد وعلمائها مهما بلغوا من العلم والدراية مالم يدرسوا في المدارس المدنية ! ومالم يحصلوا على شهادة المدارس الحضارية ! ولقد نسي المسلمون أو تناسوا أن العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والأدباء والفصحاء والمربين المشهورين أين درسوا ومن أين تخرجوا ؟ أو ليس هؤلاء كلهم من خريجي المساجد ؟

وقبل ذلك أوليس الصحابة الكرام من خريجي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

ولكن غرض أعداء الدين هو النيل من مساجد المسلمين والتقليل من شأنها بكل الوسائل وفي كل المناسبات ، وبذلك يريدون أن يفرقوا بين العبادة والمعاملات وبمعنى آخر وبين الدين والدولة حتى يقصروا الدين على المسجد ، وان المسجد لا يصلح إلا للعبادة . وبذلك يمكن لهم أن يُبعدوا المسلمين عن مسجدهم وعن دينهم ، وأن يسيطروا عليهم فكريا وثقافيا وتعليميا واقتصاديا وسياسيا كما حدث في الوقت الراهن .

ولذلك فلا بد من إعطاء المسجد مكانته التي كان عليها في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين . ولا نريد بذلك أن نجعل المسجد مكانا لتدريب الجيش ولا أن ندخل المستشفيات والدوائر الحكومية والمدارس بكل مراحلها إلى المسجد ، وهذا لا يقوله عاقل ولا يتصور أبدا تحقيقه ، وكما أنه لا داعي له ، ولكن نريد أن يؤدي المسجد رسالته الإرشادية والتوجيهية

وأن يبصر المسلمين أن الدين شامل - لجميع نواحي الحياة: من عبادة، ومعاملات، واقتصاد، وسياسة، وجهاد... وأن يعدّهم لأن ينظروا إلى المؤسسات الأخرى على أنها مؤسسات اسلامية، ولا فرق بينها وبين المسجد، إلا في الجزئيات دون الكلّيات، وكلّها ترمي لتحقيق هدف واحد وهو تحقيق العبودية ونشر الدين الاسلامي واقامة منهج الله تعالى في الأرض، ولذلك يجب أن يكون هناك تعاون وتنسيق بين هذه المؤسسات في تحقيق الأهداف، وفي المناهج والأساليب .

وقبل أن أتكلّم عن واجب المسجد في التربية الجهادية أود أن أشير إلى خصوصية المسجد عن باقي المؤسسات التربوية الأخرى . إن المسجد أكثر شمولية وعمومية عن سائر المؤسسات، بحيث أنه يخاطب جميع المؤمنين دون الاستثناء، رجالا ونساء، صغار وكبارا، جهالا وعلماء، فقراء وأغنياء، مهما كان عملهم وموقعهم . لأن الصلاة فرض على الجميع، فلا بد للمؤمنين أن يصلي صلاته في المسجد مع الجماعة، سواء كانت في مكان عمله أو مسكنه، فلا يستغني أحد عن المسجد والجماعة، إن كان مؤمنا . وإن كان معنى العبادة في الاسلام شاملا لكل تصرفات المؤمن مادام يبتغي بها وجه الله تعالى ويرضيه ويحبّه، إلا أن المسجد له خصوصية في أداء الشعائر التعبدية، لأن المسجد بيت الله تعالى، خصّص في الدرجة الأولى للعبادة، وإن الجوفية جوّ العبادة، بل مجرد الانتظار فيه - دون الاشتغال بالعبث - عبادة ورباط كما جاء في الأخبار الصحيحة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم . روى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة، بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط " (كتاب الطهارة رقم: ٢٥١).

وأغرب من ذلك أن مجرد المشي إلى المسجد عبادة، يمحّو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ثم إن إمام المسجد وعلمائه أقرب إلى عامة الناس

من علماء المدارس والجامعات والمعاهد ، لأن الناس عامة على الأقل خمس مرات في اليوم - يلتقون بإمام المسجد وعلماءه ، وبذلك يذوب بينهم وبين الناس كل الفوارق والاعتبارات بمعنى يتكون بين الإمام وبين الناس نوع من التعارف والصداقة الخاصة والتي تنجم عنها المحبة والاحترام والتقدير، وذلك يؤدي إلى التعرف على قضايا المصلين ومن ثم البحث عن حلولها من قبل إمام المسجد وعلماءه في ضوء تعاليم الإسلام .

ثم إن المسجد مفتوحة أبوابه دائماً لمن أراد أن يحضر إليه في أي وقت من الأوقات للصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو تعلم العلم وتعليمه . وهي مدرسة شعبية تشمل جميع أفراد الشعب ، وهو مصدر آمن وطمأنينة ومصدر السكون النفسي والروحي ، وليس مصدر قلق وخوف واضطراب .

إن للمسجد آداباً تخصه دون سائر المؤسسات ، وإن كانت لباقي المؤسسات آداب ، ولكن آداب المسجد مقرونة بجو العبادة والروحانية ، بينما آداب سائر المؤسسات بعيدة عن هذا الجو إلى حد ما ، والمثال على ذلك نظام المدرسة يصحبه إلزام بالتعاليم المدرسية والعقاب .

ثم إن علماء المساجد ووعاظها أكثر تأثيراً من غيرهم في قلوب الناس ونفوسهم ، كما أن الناس في المساجد أكثر تقبلاً واستجابة لارشادات علماءها ومواعظها . لأن علماء المساجد قدوة حسنة وأسوة طيبة في عيون الناس ، وهذا ماتوارثه الأجيال . ولا أريد بذلك أن أقلل قدر علماء باقي المؤسسات بحال من الأحوال . ولكن أقول أن علماء المساجد إذا أخلصوا نياتهم وأعمالهم يؤثرون أكثر من غيرهم في قلوب الناس ، لأنهم غالباً مزودون بأصول الخطابة والكلام وبمعرفة الدخول إلى قلوب الناس ومعرفة ترقيقها وتليينها ومعرفة فصل الخطاب والكلام . ولا شك أن ذلك من متطلبات عملهم ومستلزمات صنعته .

وبعد هذا العرض يجدر بنا أن نحدد واجبات المسجد أو وظيفته في التربية الجهادية ، ولقد سبق وأن قلنا أن للمسجد واجبات هامة لأحياء الروح الجهادية واذكائها وغرسها في قلوب الناس عامة وفي قلوب الشباب

خاصة. وبدون هذا العمل لا تثمر العبادة ، ولا ينفع الذكر والتسبيح والاعتكاف .
فدلا تنفع تلاوة كتاب الله تعالى والقاء الخطب ، ولا النوافل ولا التهجد .

وليس من غرض البحث تحديد واجب المسجد من كل النواحي ، وإنما
تحديد رسالته في التربية الجهادية . إن الأقلام مهما كتبت ، والألسنة
مهما قالت عن رسالة المسجد ومكانته ، فإن وظائف المسجد أكثر إظهارا
لمكانته في الاسلام .

وفيما يلي تحديد بعض واجباته في التربية الجهادية :

١ - غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس المؤمنين عامة وفي
نفوس الناشئين خاصة :

إن المسجد يحضر إليه جاهل وعالم ، ومثقف وغير مثقف ، وهؤلاء الناس
جميعا بحاجة ماسة إلى أن يتعرفوا أصول دينهم وتعليماته وإرشاداته ،
وأما الجاهل غير المثقف فهو في أشد الحاجة إلى التربية الإيمانية
وتهذيب سلوكه وأخلاقه ، لأنه ليس بمقدوره أن يدرس في المدارس وقد قات
أوانه ، ودخل في سرب الحياة ، وليس له مؤسسة غير المسجد يتلقى فيها
تربيته وتهذيب سلوكه .

وأما العالم المثقف فهو يزداد علما وثقافة ورسوخا عندما يستمع
من إمام المسجد أو خطيبه مبادئ دينه وإرشاداته وتعليماته ، لأن المؤمن
مهما كان عالما فإنه لا يستطيع أن يستغني عن العلم والمعرفة والتذكير .
إن طلب العلم مطلوب من المهد إلى اللحد طول الحياة ، لأن دعائم الحياة
وأسسها تقوم على العلم ، ثم إن المسجد يسوده جو العبادة كما قلنا ، فيه
بركة وجو روحاني ، وفيض من الفيوضات الإلهية التي تحيط بساحته ، ولعل
سر تفوق علماء المساجد في كل عصر وحتى في وقتنا الحاضر هو تحصيلهم
العلم في ساحة هذا المكان الطاهر متأثرين بروحانيته وبركته وفيضه
المتدفق .

إن غرس الإيمان هو الواجب الأول لكل مؤسسة من مؤسسات التعليم في الإسلام ، لأن الإيمان هو الأصل والحجر الأساسي الذي يقوم عليه بنيان الإسلام وقلعه التوحيد. فإن واجب المسجد في هذا المجال أكثر أهمية عن غيره من المؤسسات ، لأن واجبه الأول العبادة ، ولا شك أن العبادة تقوم على عقيدة إسلامية صحيحة والإيمان الصادق ، والمعيار المطلوب للإيمان ليس أن يظهر الإنسان نفسه من المعاصي قتلًا وإنما الإيمان الحقيقي هو الذي ينقذ البشرية المشرفة على الهلاك ، ويحدث في القلب كراهية من الكفر والشرك وأهله ، والقلب الذي لا يتألم ولا يتفطر إذا رأى العالم حوله يتخبط في الظلمات فاعلم أنه فقد روحه وليه وبشاشته .

وكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانًا لتلقي الإيمان وتقويته بالعلم والعرفان وبالحجة والبرهان وتركية النفوس بتلاوة القرآن ، وتحليتها بالفضائل ومكارم الأخلاق . وكان الواحد إذا أسلم في المسجد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدفعه إلى إخوانه المسلمين ليقرؤوا القرآن ويفقهوه في دينه . وهذا عمير بن وهب - فيما يروي ابن اسحق في السيرة (١٤٠٨ هـ) :

" يأتي إلى المدينة المنورة متقلدًا سيفه بعد غزوة بدر الكبرى ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسلم فور قدومه المدينة المنورة ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((فقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره)) ، ويقول عمير : يا رسول الله ، راني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديدًا ، فأسلم على يديه ناس كثير . " (ج ٢ ، ص ٣٠٣-٣٠٤)

وقد رأينا في هذه القصة مكانة المسجد في التربية والتعليم وترسيخ عقيدة الإسلام وقراءة القرآن والتفقه في الدين. وهذا الصحابي الجليل عندما كان شديد العداوة لله ورسوله حتى همّ بالقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - تاركاً وراءه عياله وديونه، وتحمل في ذلك الموت - انقلب بمجرّد نطقه بالشهادة إلى مجاهد يجاهد في سبيل الله تعالى بقوة إيمانه ورسوخه، وداعياً يدعو إلى الله تعالى دون أن يخاف في ذلك لومة لائم، وأسلم على يده ناس كثير .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربّي أصحابه على الأخلاق الحسنة والآداب الحميدة في مسجده هذا بتطبيق عملي وأسلوب جميل لطيف دون أن يكسر قلب أحد أو خاطره ، روى الامام مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : " بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أعرابي فقام يُبُول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَهْ مَهْ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزرموه ، دعوه) فتركوه حتى بال ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ، فقال له : (ان هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البُول والقذر ، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن " قال : وأمر رجلا من القوم ، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه) " (كتاب الطهارة ، رقم ٢٨٥) .

وقد رأينا كيف أدّب النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ لا يعترف بآداب المسجد وقديسيته ومكانته ، ثم بيّن صلى الله عليه وسلم وظائف المساجد ورسالتها من الذكر والصلاة وقراءة القرآن وتعلم ما فيه من الأوامر والنواهي والحكم والمواعظ .

وبذلك تبين واجب المسجد في غرس الإيمان في النفوس وتحليّة المؤمنين بالأخلاق الإسلامية والآداب الحسنة ، ولأجل ذلك فلا بد للإمام مراعاة بعض الأمور ، ومنها :

١ - أن يشرح للناس أهمية العقيدة الإسلامية والإيمان ، مبينا مستلزماتها ومسئولياتها .

٢ - أن يقدم لهم البراهين والحجج من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ومن مكتشفات العلم الحديث ما يقوي إيمانهم ويزيد من رسوخهم ، ولذلك يجب على إمام المسجد أن يكون على معرفة من الثقافة العامة وعن المكتشفات العلمية الحديثة، وليس ذلك على سبيل التخصص والدراسة العميقة، ولكنه على سبيل الثقافة العامة .

٣ - أن يشرح للناس كيفية المحافظة على إيمانهم وعقيدتهم، وذلك بتجنب مبطلات الإيمان وطلب العون والسداد من الباري تبارك وتعالى. ولا بد له أن يتطرق إلى هذه المبطلات بتوضيح خطورتها وحرمتها من الناحية الدينية والعلمية والاجتماعية والانسانية .

٤ - في مجال التربية الأخلاقية يجب على إمام المسجد أن يركز اهتمامه في ذلك على الأخلاق الاجتماعية أكثر من غيرها ، وبعبارة أخرى أن هناك أخلاقاً فردية أو يغلب عليها الجانب الفردي ، كما أن هناك أخلاقاً اجتماعية أو يغلب عليها الجانب الاجتماعي ، والمثال على ذلك أن الكسل خلق مذموم ، وهو ليس مثل الكذب والخيانة والغدر والغيبة والنميمة والحسد والسرقه والزنى . وان هذه الأخلاق مذمومة شرعاً وهي ترمي إلى اختلاف المجتمع الاسلامي وتفرق كلمة الجماعة والأمة ، فان خطرهما أعظم على المجتمع الاسلامي ، فلا بد من التركيز عليهما لتقوية الأواصر والروابط الأخوية بين المسلمين .

في مقابل ذلك يجب أن يركز اهتمامه على تثبيت الأخلاق الحسنة والتي يغلب عليها الجانب الاجتماعي ، مثل المحبة والرحمة والعطف والتعاون والتساند والوحدة والكرم والسخاء ... الخ . من الخصال الجميلة التي تربط المؤمنين مع بعضهم .

ومن الجدير بالذكر أن الامام في هذه العملية قدوة ، فلا بد وأن يكون قدوة حسنة بأقواله وأخلاقه وسلوكه ، ومعاملته مع الناس، خاصة مع الصغار، فلا بد وأن يعاملهم معاملة حسنة ويلاطفهم ولا يغلظ لهم القول ، ويمازحهم ويستقبلهم بوجه طلق ليحبب قلوبهم إلى المسجد ، لأن الصغار عادةً ينفرون

من التعنيف والغلظة . وبذلك يمكن تحبيب المسجد للصغار، ومن ثمّ
تعويدهم على الحضور إلى بيوت الله تعالى رغبة وعن طيب نفس .

إنّ الجهاد في الاسلام يحتاج إلى عمل جماعي مشترك ، والعمل الجماعي
لا يتحقق إلا بتكوين الجماعة ، وإنّ عناصر الجماعة ومكوناتها متضمنة في
التمسك بالأخلاق الاسلامية السامية ، وذلك بالتحلي بالمكارم والتخلي عن
الردائل ، لأن التحلي بالمكارم يقوم الأواصر الأخوية بين الأفراد ويدعم
الروابط الاجتماعية ، كما أنّ الصفات الذميمة والأخلاق السيئة تفرق الوحدة
والإتحاد . والمسلمون في جهادهم الاسلامي في حاجة ماسة إلى الوحدة وجمع
الشمل حتى يكونوا أقوياء في كل الميادين ، في السلم والحرب وفي كل
الظروف والمناسبات .

٢ - دعم روح الأخوة والتعاون بين المسلمين مما يؤدي إلى دعم القيم
الاسلامية وتوحيد السلوك الاجتماعي ، ونبذ كل ما يضعف الروح الايمانية
والاجتماعية من قيم سلبية كالظلم والحسد واحتقار الغير والسخرية
بالآخرين ، والغيبة والنميمة إلى غير ذلك من أمراض اجتماعية والتي
تضعف البناء الاجتماعي الاسلامي وتفرق قواه :

إنّ الأخوة من أسمى سمات هذا الدين وأكبر معالمه ، إن المسجد خير
مكان لتحقيق هذه الأخوة الدينية بين المسلمين . لأن المسلمين يحضرون
إليه خمس مرات يومياً على الأقل، يسلم أحدهم على آخر ، فيصافحه . إن
التعارف لا يعني مجرد معرفة اسم الشخص أو عمله أو سنّه ، وإنما يعني
معنى آخر أكثر شمولية وعمقا من ذلك، التعرف على شخصيته وموقعه في
المجتمع ، ومشكلاته وقضاياها وظروفه الصحية والاقتصادية بغية التعاون
معه في بناء مجتمع إسلامي متكافل يشدّ بعضه بعضاً كالبنيان المرصوص ، لأن
تحقيق هذه الأخوة بهذه الصورة وبهذا الشكل من ضروريات الدين الاسلامي ،
وواجب شرعي ، ويجب على الإمام أن يتعرف على جماعته فرداً فرداً، ويتفقد
أحوالهم ويخفف عن آلامهم المتعددة . وذلك بالسعي المتواصل الدؤوب على

حل مشكلاتهم بالتعاون الجماعي والتساند الاجتماعي .

ولتحقيق هذه الروح فلا بد من سلوك المسلكين الآتيين :

أولا : بيان أهم عناصر هذه الأخوة وأسسها كما جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . إن مجرد القاء كلمة : يا أيها الناس كونوا إخواناً ، لاتفيد شيئاً ، وعناصر هذه الروح معدومة في تلك الجماعة التي تسودها الحسد والبغض والسخرية ... الخ من الصفات الذميمة التي تعوق تكوين مجتمع متآخ متعاون. فلا بد لإمام المسجد وواعظه أن يشرحوا هذه العناصر بوضوح بشرح الآيات القرآنية والتوجيهات الربانية وبشرح الأحاديث النبوية والارشادات المحمدية مبيناً أهميتها في تكوين الجماعة والأمة والأضرار التي تنجم عن عدم تحقيقها، بالأمثلة الواقعية الحية من المجتمع المعاصر. لأن الأخوة الدينية مفهوم معنوي وعمل القلب والوجدان ، فلا بد من الاستشعار بها حتى يمكن تحويلها إلى واقع عملي ملحوظ ، وبمعنى آخر إنها شعور نفسي تتكون بعد إيمان الصادق وتدفع صاحبها إلى الشعور بالاهتمام نحو الآخرين .

وإن بعض تلك العناصر هو الحب في الله والبغض في الله تعالى . وإذا كان حب المرء لغرض آخر أو للمصلحة الشخصية فلا ينجم عنه الأخوة الدينية ، فسرعان مايؤول بانتهاء ذلك الغرض أو المصلحة ، والمؤمن لا يجد حلاوة إيمانه إلا إذا كان حبة في الله تعالى وبغضه في الله تبارك وتعالى .

روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الله ولا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار " (البخاري : كتاب الإيمان رقم ١٦ ، مسلم : كتاب الإيمان رقم ٤٣) .

وكما روى الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ،
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله يقول يوم القيامة
 آيين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " .
 (كتاب البر والصلة : رقم ٢٥٦٦) .

وإن تحقيق هذا الحب بهذه الصورة لا يناله إلا المتقون من
 عباد الله الصالحين ، وليس من السهل أن يحب المرء أخاه في
 الله تعالى بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى . ثم أن علامات هذا
 الحب لا بد وأن تظهر على العبد وهي الطاعة الكاملة لله عز
 وجل كما سبق بيانه ، والواجب على الإمام في المسجد أن يظهر
 هذه الحقائق على الناس ، وأن لا يتركهم عند مرحلة لا تثمر ثمرة ،
 مثل أن يشرح لهم وجوب الحب في الله تعالى ولا يربطه بالطاعة
 وامتثال الأوامر واجتناب النواهي .

وإذا أحب المؤمن أخاه في الله وأبغضه في الله فلا بد و أن
 يأمره بالمعروف ، وينهاه عن المنكر ويقدم له النصح والإرشاد
 ويمد له يد العون والمساعدة .

وإن هذا المفهوم هو مقياس علاقة المؤمن مع أخيه المؤمن ،
 وإن هذا المقياس مقياس إلهي ، ومن أخذه واستمسك به يجد
 حلاوة إيمانه في كل لحظة من حياته ويشعر بلذة العبادة والذكر
 والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن المجيد .

وأود أن أشير في هذا المقام أن التمسك بهذا المقياس ،
 سوف يجعل صاحبه مزوداً بالأخلاق الحميدة والخصال الجميلة ويرتقي
 روحياً إلى الدرجات العليا بإذن الله تعالى ، ومن هذه العناصر
 أيضاً إفشاء السلام وتشميت العاطس ، وإجابة الدعوة وزيارة
 المريض واتباع الجنائز كما جاءت في الأخبار الصادقة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم . وبكلمة أخرى كل خصال الخير التي أمرها
 الشرع واستحسنها العقل السليم . والواجب على الإمام أن ينتهز

في ذلك فرصة خطبة الجمعة والتي يحضر لسماعها جمع غفير من المسلمين وكذلك خطبة العيدين في نطاق أوسع وأشمل ، وأن يجعل همّه ترسيخ هذه المفاهيم في قلوب المسلمين عامة وفي قلوب الشباب خاصة بكل وسيلة .

ثانياً : أن يكون الإمام والواعظ وعلماء المساجد قدوة حسنة ومثالاً تطبيقياً حياً في ذلك بمعاملاتهم مع الناس سواء كانت في المسجد أو خارجه ، إن الإمام الذي لا يطبق ما يقول لا يتوقع منه أن يؤثر في الناس بحال من الأحوال ، فلا بد له أن يحقق في نفسه أسمى مظاهر الأخوة الإسلامية حتى يسمع ويطاع .
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ ﴾ *
(البقرة / ٤٤)

٣ - انتهاز المناسبات التاريخية لإحياء الروح الجهادية في قلوب المؤمنين:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما ينتهز المناسبات ، ويعظ فيها أصحابه ويرشدهم ، لتكون أبلغ في الموعظة والتأثير في النفوس ، ولقد جاء في المثل لكل مقام مقال .

ان كتب الحديث والسيرة مملوءة بمواعظ النبي صلى الله عليه وسلم في المناسبات . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخذها وسيلة للدعوة وللدخول إلى القلوب والنفوس ، لأن القلوب تكون أكثر تقبلاً واستجابة في هذه الحالات . وقد رأينا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرض أصحابه على القتال يوم بدر ، فلقد تأثر من ذلك الصحابي الجليل عمير بن الحمصان فألقى التمرات من يده ، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه .

فالواجب على كل مرب ، أن ينتهز المناسبات لإلقاء كلماته المؤثرة وأن يغتنم هذه الفرص لإتمام مهمته على أحسن وجه ، لأن فيها فائدة كبرى ومصالح جمّة . ويمكن للإمام أن يخطب ويرشد الناس في المناسبات التاريخية المختلفة ، مثل نزول القرآن الكريم في شهر رمضان وذكر أمجاد الإسلام في رمضان مثل غزوة بدر الكبرى التي حدثت يوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وكذلك من أيام الإسلام في شهر رمضان يوم

الفتح الأكبر في اليوم العشرين من السنة الثامنة للهجرة . وفتح بلاد
الأندلس في الثامن والعشرين من شهر رمضان من السنة الثانية والتسعين من
الهجرة .

إن الخطابة في مثل هذه المناسبات توظف القلوب وتثيرها وترققها
وتدفع السامعين إلى الاندفاع والتقبل والاستجابة السريعة لما يسمعون من
الإرشادات الدينية والتوجيهات الإلهية . وينبغي للإمام أن يشرح للناس
أمجاد الإسلام في التاريخ الإسلامي المجيد ، وهذه الأمجاد تشهد بأن الصوم
حافز من حوافز الجهاد في سبيل الله تعالى ، ودافع من دوافع النصر
والاستشهاد .

ثم عليه أن يربط هذه الأمجاد بواقع المجتمع الإسلامي الحالي ويحلل
القضايا الإسلامية والحركة الجهادية ، وأن يقارن بين تلك الأمجاد وماظفربه
المسلمون من النصر والتمكين وما آلت إليه الحركة الجهادية في الوقت
الحاضر ، ويجعل تلك الأمجاد التاريخية الإسلامية مثالا يحتذى بها في كل
وقت ومكان ، مبينا في ذلك ضرورة الجهاد الإسلامي بالنفس والمال وبكل
الإمكانات المتاحة لأفراد هذه الأمة المحمدية في عصرنا هذا .

وبذلك تعود الروح الجهادية إلى قلوب المؤمنين وتحيا في كل وقت
يسمعون فضل الجهاد وأهدافه ورجاله وما اختصهم الله تعالى من الكرامات
والمميزات والخصائص في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة .

٤ - الاهتمام بالدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى :

إن الاهتمام بالدعوة الإسلامية واجب الجميع ، لا يتخلى عنها أحد في
المجتمع الإسلامي مهما كان عمله أو موقفه ، لأن المؤمن داعي الله تعالى
في أرضه ، إلى الحق وإلى الطريق المستقيم ، وإن هذه الدعوة الإلهية
انتشرت من المسجد ، من بيوت الله تبارك وتعالى ، كما سبق وأن قلنا أن
المسجد النبوي الشريف كان منطلق الدعوة إلى الله تعالى ، فيه يتم
إعداد الدعاة والمجاهدين بتربية النبي صلى الله عليه وسلم وتحت رعايته

ورقابته ، ومن ثم إرسالهم إلى أنحاء الأرض ليبلغوا رسالات الله تعالى ورفع الظلم عن الناس واطلاقهم أحراراً ليتمكنوا من الوصول إلى الهداية والنور .

ان المسجد يتم فيه الدعوة إلى الله تعالى ومنهجه في كل يوم خمس مرات ، وأن كلمات الأذان هي الدعوة الحقيقية للإسلام ، والمسجد يعتبر قاعدة أساسية للدعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان ، ينطلقون منها ويأوون إليها ، ويجتمعون ويتشاورون فيها في أمور دينهم ودنياهم . إن الدعوة مستمرة إلى يوم القيامة وسيكون لها رجال ، كما ستكون لها مشاكل وقضايا ، وإن قضايا الدعاة إلى الله تعالى ومشاكلهم لها طابع الخصوصية في كل زمان . وهذه ناتجة عن طبيعة عملهم ومهمتهم . فلا بد للدعوة من أن تنتشر ، ولابد لرجالها من الرعاية والعناية والتأييد اللازم ، ولابد من متابعة مراحلها ومراقبة تطورها وتقويم نتائجها وأساليبها ووسائلها وطرقها ، ولابد من تحريض الناس وحشهم على القيام بهذه المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتق كل من يدخل حظيرة الإسلام .

ومن هنا يأتي مسؤولية القائمين على المساجد في توعية الناس وإرشادهم إلى ضرورة الدعوة إلى الله تعالى ، وأن يتحمل كل واحد نصيبه من هذه المسؤولية على الوجه المطلوب ، وذلك ببيان أهمية الدعوة الإسلامية ونشرها من الناحية الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ثم بتوضيح أضرار القعود عنها بضرب الأمثلة من الحياة الواقعية اليومية ، حتى يتيقن الناس أهميتها وضرورتها بقياس الأضرار الناجمة عن تركها وعوائدها إن طبقت كما ينبغي .

اليوم نحن بحاجة ماسة إلى القيام بهذا العمل الجليل . حاجة الناس إليها أكثر من حاجتهم إلى الغذاء والكساء والهواء ، والناس في ضياع ، وهم في حاجة إلى من ينقذهم ويأخذ بأيديهم . لأن كثيراً من المجتمعات الإسلامية قد تفسخت عقدياً وخلقياً وسلوكياً وضاعت معالم الهدى والنور واختفت الحقائق أو شوهت والتبست وإن كانت ظاهرة مثل الشمس .

إن الأمة الإسلامية لا يكفي بحكم مكانتها وغاية وجودها - أن تعيش حياة صالحة تقيّة هي نفسها فحسب ، بل عليها أن تعمل لتوجيه العالم وقيادته وهدايته أيضاً . فهي عابدة وزاهدة كما هي قائدة ورائدة .

إن واجب المسجد واجب كبير ولا بد أن يعمل على أدائه حتى تظهر معالم الهدى والنور مشاهدة للعيان ، ولذلك فلا بد للامام أن يراعي في ذلك بعض الخطوات ومنها :

١ - بيان حقيقة الدعوة الإسلامية من مصادرها الأساسية للناس ، وبيان ضرورتها ، ووجوبها في كل وقت وتوضيح علاقة الجهاد بالدعوة الإسلامية وموقف الجهاد من الدين .

٢ - إبراز مراحل الدعوة الإسلامية ومراحل تشريع الجهاد في عهدها المكي والمدني وذلك بتقديم الأمثلة الحية والواقعة من السيرة النبوية الشريفة ، ليتعرف الناس على أن هذه الدعوة قد مرت ببعض المراحل والتطورات وأن لها الأصول والقواعد فلا بد من اتباعها وتطبيقها للوصول إلى أفضل النتائج .

٣ - توضيح أساليب الدعوة والجهاد وطرقها وبيان سنن الله تعالى في ذلك . ومن المعروف أن للدعوة والجهاد أساليب ووسائل وطرقاً ، اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام من بعده بكل حذافيرها حتى جذبوا قلوب الناس بمعاملاتهم وأساليبهم الحسنة قبل أن يشرعوا في جوههم السيف والسنان .

٤ - تقديم نماذج وصور عن مسيرة الدعوة الإسلامية من التاريخ ، ليتعرف المسلمون على أن هذه الدعوة مسئولية الأجيال ، وكما أنها قوام حياة الشعوب والحضارات والأمم ، وقد أسست الحضارات وشيدت المدن على أثرها وأساسها ، وكما أن زوال الحضارات وانهارها بسبب القعود عن الدعوة والجهاد . إن التعرف على سير تاريخ الدعوة الإسلامية والحركة الجهادية له فوائد كثيرة ، وهو يساعد على تصحيح الأخطاء وتجنب المزالق التي وقع فيها أسلافنا ، وكما يساعد

على الأخذ بأساليبهم ووسائلهم في الدعوة ومن ثم تطبيقها في الوقت الحاضر إذا كانت ملائمة لواقعنا المعاصر.

٥ - الإشارة إلى ضرورة الاستفادة من معطيات العلم الحديث في الوسائل والبطرق في الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله ، بعد الانتقاء والاختيار بما يناسب ديننا ومبادئنا .

٦ - ضرورة تحذير المسلمين من الدعاوي الباطلة والتي تعادي روح الدعوة الإسلامية والجهاد الإسلامي ، مثل : القومية ، والعلمانية ... وبيان حقيقة هذه المفاهيم التي يمشي وراءها ويدافع عنها من لا يعرف حقيقة دينه .

٧ - تأسيس حلقات الدروس في المسجد تدرس فيها العلوم الدينية على يد الأساتذة الأجلاء ، وتنظم هذه الحلقات وفق حاجة الناس إلى المادة العلمية .

٥ - الاهتمام بالقضايا الإسلامية الراهنة :

لقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرا للدعوة الإسلامية في عصر السعادة عهد الخلفاء الراشدين كما كان منطلق الدعوة إلى الله تعالى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماما بالغا بالدعوة ورجالها ويرعاهم خير رعاية ، يرسل السرايا ويتابع أخبارها ، وإذا ظهر بين أصحابه شقاق يقوم بنفسه إلى تسويته وحله بشكل حاسم. والمسجد في ذلك الوقت كان مركزا إعلاميا لمتابعة الحركة الجهادية والدعوة الإسلامية. وكان المرشد في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقطع متابعته لأصحابه يوما من الأيام ولا لحظة من اللحظات حتى توفاه الله تعالى ، ومثال ذلك إخبار النبي صلى الله عليه وسلم وهو على منبره في المسجد بمما حدث في غزوة مؤتة من إصابة أمرائه الثلاث زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم كما يرويه ابن اسحق في السيرة (ج ٤ ، ص ١٩) . وعلى دربه مشى أصحابه الكرام ، وكانوا كالجسد الواحد

والبنیان المربوض في اهتماماتهم وعلاقاتهم مع بعضهم .

إن الاهتمام بالدعوة ورجالها من الإيمان ومن مقتضى الأخوة الدينية ، والذي لايهتم بأمور إخوانه المسلمين ولايقدم لهم يد العون والمساعدة . فليس منهم . إن المؤمن هو المؤمن مهما اختلف لونه أو جنسه أو بلده ، وإن قضاياه هي قضايانا ، وهذا ما فرضه الإسلام علينا وأوجبه وأمره ، إن كنا مسلمين حقاً ، فالواجب على كل مسلم أن يهتم بأخيه المسلم وبالمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية وذلك للتعرف على أحوالهم ومشاكلهم وقضاياهم ومن ثم اتخاذ اللازم لعونهم ومساعدتهم . ولايمكن ذلك إلا بمتابعة أخبارهم من مصادر الصدق والإخلاص من الوسائل الإعلامية المختلفة ، ولاشك أن للمسجد في هذا المجال رسالة كبيرة ومهمة فلا بد للإمام أن يتابع أخبار المسلمين في العالم سواء كانت في الدول الإسلامية أو الأقليات الإسلامية في العالم ، وأن يطلع على أخبارهم الحقيقية والصادقة ليطلع عليهم إخوانه المسلمين . إن الإمام مصدر صدق وأمانة في الإسلام وهو ثقة في نظر الجميع ، لأن الإمام جعل إماماً ليؤتم به في صلاته وأخلاقه وسلوكه وأخباره . ولذلك ينبغي له أن يختار مواضيع خطبته يوم الجمعة والعيد من المشكلات الإسلامية سواء كانت داخل نطاق المجتمع الإسلامي أو خارجه ، ولايجعلها من المواضيع الجامدة غير الحساسة والتي تسبب السامة والملل ، إن الإمام باستطاعته إيقاظ القلوب الغافلة والميتة ، وتوجيه الناس وإرشادهم إلى الاهتمام بأمور المسلمين ، وكم من كلمة مؤثرة وخطابة سحرية فعلت مالم تفعله الجيوش والأسياف .

وقد انطلقت جميع حركات التحرير في هذا العصر من المسجد ، وهذا يدل على مكانته ومكانة إمامه وجماعته ، يقول في ذلك عبد الرحمن نحلاوي في كتابه "أصول التربية الإسلامية (١٣٩٩ هـ) : " وقد انطلقت حركة التحرير في سورية من أكبر مساجد المدن السورية ، وانطلقت حركة التحرير في الجزائر من الكتاتيب الإسلامية في المساجد وكذلك حركات التحرير الإسلامي في باكستان وأفغانستان وغيرها " (ص ١٢٠)

إن قضية اليوم قضية الجهاد ، وهي في الصدارة ما بين القضايا الإسلامية ، قلّ ما تجد بلداً إسلامياً إلا وفيه هذه القضية ، مع تشعبها وتعقيدها ، وهذا يدل على أهمية هذه القضايا في الوقت الحاضر . ولذلك يجب على الإمام أن يسلك في عمله الخطوات الآتية :

الأولى : إدراك الناس حقيقة هذا الدين وأهدافه البعيدة منها والقريبة ، ونقصد بالأهداف القريبة هي تلك الأهداف التي ترمي الي تربية الفرد شخصياً ، وأما الأهداف البعيدة هي الرسالة والدعوة إلى جميع الناس وتحقيق العبودية في الأرض .

الثانية : إدراك الناس مكانة الأخوة الدينية وضرورة تها كما سبق بيانه

الثالثة : حملهم على اتباع بعض الخطوات العملية ، مثل بيان حرمة الاسراف في تصرفاتهم المالية ، وتوجيههم إلى الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وذلك بحثهم عليها وتقديم النماذج المثالية حتى يقتدوا بها ويسيروا على منوالها .

ولذلك فلا بد من تخصيص صندوق في المسجد لجمع التبرعات المالية لصالح المؤمنين في أنحاء العالم الإسلامي ، فينبغي أن لا يستغفر هذا الأمر من قبل الجميع ، لأن البحيرات تتكوّن من القطرات ، وربّ انفاق ضئيل من الفقير أصبح مفتاحاً ووسيلة إلى خير كثير .

وخير مثال على ذلك ما تفعله هيئة الإغاثة الإسلامية التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وذلك بجمع التبرعات المالية المختلفة وصرفها إلى جهات عديدة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي .

الرابعة : قراءة الآيات المتعلقة بالجهاد والانفاق في الصلوات المفروضة ، لدعم الروح الجهادية في نفوس الناس ، ولاشك أن استماع الناس إلى هذه الآيات يؤثر في نفوسهم ويجعلهم يعيشون معها في أوقاتهم كلها .

المبحث الرابع

(واجب وسائل الاعلام في التربية الجهادية)

—

ويشتمل هذا المبحث على :

- ✧ مقدمة عامة عن دور وسائل الاعلام في التربية وعلاقتها بالجهاد.
- ١ - غرس التربية الايمانية والأخلاقية في نفوس الناس عامة وفي نفوس الشباب خاصة.
- ٢ - الاسهام الجاد لتوثيق أواصر الإخاء والتآزر والتضامن بين المسلمين.
- ٣ - الاهتمام بالدعوة الاسلامية على بصيرة ، وتبصير الرأي العام بعالمية الدعوة الاسلامية.
- ٤ - تقديم بعض البرامج في الاذاعة والتلفزيون عن الجهاد وأهميته في حياة الأمة الاسلامية في الوقت الراهن .
- ٥ - مواجهة الاعلام المعادي .
- ٦ - الاهتمام بالرياضة بروح اسلامية عالية .

إن لوسائل الاعلام دورا هاما ومؤثرا في حياة الناس اليوم، وهي قد انتشرت في كل مكان، داخل البيوت وخارجها، وأصبحت جزءا من حياة الناس، ولا يمكن لنا أن ننظر إليها كنظرتنا إلى قطعة آثاث البيت تزين جانبا من جوانبه، كما لا يمكن لنا أن نعتبرها وسيلة من وسائل الترويح، لأنها تؤثر تأثيرا مباشرا أو غير مباشر في حياة الناس، وهي تبث الأفكار والقيم والأخلاق، وتستخدم لنشر الأفكار والعقائد وخاصة في هذه الأيام التي تتضارب فيها العقائد، وتتصارع فيها الأفكار، وأصبحت فيها الحروب حروبا نفسية تعتمد على قوة تأثير الوسائل الاعلامية والاقتصادية.

إن وسائل الاعلام سلاح ذو حدين، يمكن استعماله للخير كما يمكن استعماله للشر. ولا يمكن لنا اعتبارها أداة للشر فقط أو للخير فقط، وهي تصلح لكليهما على حسب الاستعمال.

فإن حكم الاسلام في هذه الوسائل يستند إلى غاية استخدامها، يقول في ذلك عبد الله ناصح علوان في كتابه حكم الاسلام في وسائل الاعلام (١٤٠٧هـ)

" ولا يختلف اثنان أن هذه الوسائل، إن استخدمت في الخير ونشر العلم وتثبيت العقيدة الاسلامية، وتدعيم الأخلاق الفاضلة، وربط الجيل المسلم بأمجاده وتاريخه، وتوجيه الأمة على ما يصلحها في أمور دينها ودنياها، وتربية الأبناء على ما يقودهم نحو العز والمجد. لا يختلف اثنان في جواز استعمالها، والاستفادة منها، وقتنائها والاستماع إليها، أما إذا استعملت لأجل ترسيخ الفساد والانحراف، ونشر الميوعة والانحلال، وتحويل الجيل الحاضر إلى مبادئ غير اسلامية، وأخلاق غير اسلامية وتوجيهات غير اسلامية... فلا يشك عاقل يؤمن بالله واليوم الآخر باثم اقتنائها وحرمة استعمالها " (ص ٥ - ٦).

إن هذه الوسائل من أرقى ما وصل إليه العلم في العصر الحديث، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في هذا العصر، وهي ثمرة العقل

البشري ، والعقل نعمة الله تعالى على عبده . وهيه إياه ومنحه له تكريماً لمكانته وتفضيلاً له على سائر خلقه ، والإسلام ما وقف يوماً من الأيام عائقاً في وجه التقدم العلمي والحضاري ، بل هو الذي يفرضه على الناس ويحث عليه ويحتضنه ، ويواكب المدنية ويساير الحضارة الإنسانية .

فمن واجب المسلمين الاستفادة من هذه الوسائل الإعلامية المختلفة المقروءة ، والمرئية والمسموعة لتنوعية المسلمين بشئون دينهم ودنياهم ، وجعلها قادرة على إبلاغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة في جميع أنحاء المعمورة وعدم تركهم الساحة للإعلام الغربي المعادي الذي يبث سمومه بين أبناء المسلمين ليصرفهم عن دينهم .

وخلاصة القول في حكم الإسلام في هذه الوسائل ، إذا كانت هذه الوسائل في سبيل خدمة الدين والدعوة الإسلامية وفي إظهارها الإسلامي وثوبه فهي محمودة ، بل يجب استخدامها بأحسن شكل لتحقيق الغاية العظمى ، وأما إذا كانت في سبيل غير ذلك فهي مذمومة ، ولايجوز استخدامها .

وأود هنا أن أشير إلى تأثير هذه الوسائل خاصة في هذه الأيام في سلوك الناس وأخلاقهم وأفكارهم وقيمهم وذلك بعد أن تطورت وأصبحت توجه الملايين من الناس في آن واحد . ولقد أصبح الإعلام اليوم إعلاماً جماهيرياً ، وعلمياً مستقلاً يدرس في الجامعات . ولقد استغل الأعداء هذه الوسائل استغلالاً كبيراً لدعم أفكارهم وعقائدهم وبثها في العالم ، وفرضها على العالم الإسلامي بكل حذافيرها وتوجيهها وتخطيطها وتنفيذها كما يريدون ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى استخدموها - ولايزالون يستخدمونها - لحرب الإسلام والمسلمين ، واعتبروها نوعاً من أهم أنواع الحروب النفسية أو الباردة ضد الإسلام والمسلمين ، وقد تضافرت في ذلك جهود الأعداء كلها من المسيحيين واليهود ، والشيوعية ، والرأسمالية والاشتراكية ... على اختلاف آجناسهم وألوانهم ، وبذلك انقلبت هذه الوسائل عندهم إلى وسائل دعائية لا وسائل إعلام ، واستخدموا في ذلك كل أسباب الكذب والخداع ، وشوهوا الحقائق ولبسوا الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق لتحقيق أغراضهم وأهدافهم .

ولاشك أن الاعلام الاسلامي يختلف عن الاعلام الغربي في أهدافه وأساليبه وآدابه وأخلاقياته ، وهي مفصلة في مؤلفات خاصة عند أهلها ، ولوسائل الاعلام دور كبير في التربية والتعليم ، وخاصة في هذه الأيام التي يقضي فيها الكثير من الناس جزءا كبيرا من أوقاته إما بقراءة صحيفة أو كتاب أو الاستماع إلى المذياع أو مشاهدة التليفزيون أو الاستماع إلى التسجيلات الصوتية في بيته أو سيارته ، ثم إن هذه الوسائل تستخدم لنشر الفكر والعقيدة والأخلاق والقيم - كما قلنا - وحتى البرامج الترفيهية والترويحية - كما يسمونها - ليست خالية من غرس هذه المفاهيم في النفوس .

ثم إن هذه الوسائل بدأت تأخذ بعض وظائف المدارس والجامعات حتى أسست في بعض البلدان الجامعات والمسمى بالجامعات المفتوحة وتتم فيها التعليم عن طريق المذياع والتليفزيون ، ثم إن هذه الوسائل نعمة من الله تعالى لعبده ، وهي لصالح الناس إن استخدمت للخير ، فمن واجب المسلمين الاستفادة من هذه الوسائل في مجال تربية أبنائهم وتعليمهم وتنقيفهم .

وأما علاقة الاعلام بالجهاد ، فإنها علاقة وثيقة ، بحيث أن الاعلام الاسلامي نوع من أنواع الجهاد في الاسلام ، فإنه جهاد باللسنة والقلم ، كما جاء في حديث رواه النسائي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم " (كتاب الجهاد ، رقم ٣٠٩٦) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن القرآن الكريم بمضمونه رسالة إعلامية مستقلة ، وكذلك السنة النبوية الشريفة رسالة إعلامية بجانب القرآن الكريم ، فالواجب إبلاغهما إلى الناس كافة بأسرع وقت وبأحسن الوسائل الممكنة ، وبعبارة أخرى أن الدعوة الاسلامية رسالة إعلامية فلا بد من إبلاغها إلى الناس جميعا .

ثم أن الله تبارك وتعالى أمرنا أن نجاهد الكفار بالقرآن الكريم،
وإن هذه رسالة إعلامية أخرى ، قال تعالى : * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * (الفرقان / ٥٢) .

ولاشك أن جهادهم بالقرآن هو جهادهم بإبراز براهينه وحججه وتبليغه ،
وإن هذا التبليغ هو الإعلام ، إعلام حقائق الإسلام وإيصاله إلى جميع
البشر في وجه الأرض .

اذن فمعلّقة الإعلام بالدعوة عامة وبالجهاد خاصة علاقة وثيقة
تتمثل في :

الأولى : كون الدعوة الإسلامية رسالة إعلامية مستقلة يجب إبلاغها
الناس .

الثانية : كون الإسلام في موقف الموجه لوسائل الاعلام لتكون في خدمة
الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى .

ويضع نور الحق ابراهيم هذه العلاقة بين الجهاد وبين الإعلام
الإسلامي في كتابه "الإعلام والجهاد" (١٤٠٩ هـ) في خطوط عريضة على الوجه
التالي :

"الوجه الأول : الإعلام الإسلامي جهاد كبير بنسب

القرآن ، والجهاد قناة إتصالية

مباشرة ، فعالة ، خطيرة ((علاقة

مزدوجة في المفهوم)) .

الوجه الثاني : بين الاعلام الإسلامي والجهاد في سبيل

الله تعالى علاقة إيجابية فسي

وحدة الهدف والغاية .

الوجه الثالث : الجهاد في حالات الضرورة ، مهم

لحرية الاعلام الإسلامي وحارس لها

من أن تنتهك .

الوجه الرابع : يرتبط الإعلام الإسلامي والجهاد بعلاقة

دائمة أبدية مصيرية . " (ص ٢١) .

وبعد هذا العرض الموجز يمكن لنا تحديد واجب هذه الوسائل الإعلامية أو بتعبير أدق واجب الإعلام الإسلامي في التربية الجهادية . وعندما أقول «الإعلام الإسلامي أعني به الإعلام الذي في خدمة الدين والدعوة بكل وسائلها ورجالها وفي ثوبه الإسلامي في أهدافه وأساليبه وآدابه وأخلاقياته، وإلا فلا يمكن لنا أن نتوقع شيئاً من الإعلام الغربي أو صورته طبق الأصل في كثير من الدول الإسلامية» .

ولذلك نقدم تصوراً لما ينبغي أن يعمل الإعلام الإسلامي في غرس الروح الجهادية وإحيائها في نفوس المؤمنين بوسائلها المختلفة، ولانريد أن نلقي نظرة على واقع إعلامنا في الدول الإسلامية ، فإنه الواقع المريع مشاهد للعيان ولا يحتاج إلى برهان ، يعرفه العالم والجاهل .

وفيما يلي بعض واجبات تلك الوسائل في التربية الجهادية :

١ - غرس التربية الإيمانية والأخلاقية في نفوس الناس عامة وفي نفوس الشباب خاصة ، كما جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، مستعينا في ذلك بعلماء هذه الأمة، وتبصير أبناء هذه الأمة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة وتحذيرهم من كل ما يخالف شرع الله المطهر، وأن تعمل لنشر الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم مقارنة في ذلك الأخلاق الإسلامية السامية والأخلاق غير الإسلامية ، ليظهر فضل الأخلاق الإسلامية وتبين مميزاتها وسماتها وأهم خصائصها على غيرها من الأخلاق الوضعية ، وذلك من خلال البرامج اليومية في الإذاعة والتلفزيون ، وفي تخصيص عدة صفحات في الصحف والمجلات ، وإصدار الكتب والنشرات من قبل دور النشر والطباعة .

٢ - الإسهام الجاد في توثيق أواصر الاخاء والتآزر والتضامن بين المسلمين :

إن وسائل الإعلام تخاطب الجماهير ، فمن واجب هذه الوسائل الإعلامية المختلفة أن تسهم إسهاماً جاداً في توثيق روابط هذه الأمة ووجودها

وكيانها برابطة الايمان والأخوة الإسلامية، ووجوب التعاون والتضامن بين أفراد هذه الأمة ، ونحن اليوم أحوج ما يكون إلى تلك الوحدة وجمع الصفوف واتحاد الكلمة وجمع الشمل ، ولقد تضررت هذه الأمة من أسباب التفرقة ، والاختلاف ، الأمر الذي أدى إلى التبعاد والتباغض والتنافر بين الشعوب الإسلامية من ناحية ، وبين أفراد هذه الشعوب من ناحية أخرى .

وإن وسائل الاعلام في هذا العصر هي خير وسيلة لإزالة أسباب الخلاف والضعف ولتحقيق الأخوة الإسلامية الشاملة بين المسلمين جميعاً .

ولذلك يجب على وسائل الاعلام المختلفة الاهتمام التام بتبيين أهم أسباب مكونات هذه الأمة ، كما يجب عليها محاربة كل أسباب التفرقة والاختلاف والضعف والمسكنة وذلك :

١ - بتقديم صور من التاريخ الاسلامي ، تبين فيها أن المسلمين عندما حققوا هذه الوحدة والأخوة عاشوا في عزة وكرامة وانتصروا على أعدائهم ونشروا دينهم وأسسوا الحضارات والازدهار في كل الميادين مثل : حضارة الأندلس . كما يجب عليها تقديم صور من تاريخنا المجيد تبين فيها أن المسلمين متى أخذوا إلى الأرض وتركوا الأخذ بأسباب العزة والقوة وتفرقوا فيما بينهم وأصبحوا شيعاً وقعوا في استعباد أعدائهم وقهرهم وظلمهم . كما حدث في خراب بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يد التتار . وفي الحروب الصليبية التي استمرت قروناً عديدة ، وعندما تم توحيد المسلمين تحت راية واحدة، تحقق لهم النصر كما تم استرداد القدس على يد بطل الاسلام صلاح الدين الأيوبي رحمة الله عليه .

٢ - والواجب على وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية أن لا تكتفي بعرض هذه الصور فقط من التاريخ ، فلا بد وأن تربطها بواقعنا المعاصر . لأن عرض الصور من التاريخ غايته العبرة والعظة والاعتبار ، وأن نستعين بها على تفسير واقعنا وحاضرنا . ولذلك يجب عليها عرض الصور الواقعية والناجمة عن بعدنا عن مبادئ ديننا وتعليماته

الربانية ، مثل : الاستعمار في نهاية القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، ومن ثم حركات التحرير في كل بلد من البلدان الإسلامية . وقضية فلسطين يجب عرضها كاملة كيف بدأت ؟ وكيف استولى عليها اليهود ؟ وما هو موقف العالم عامة والمسلمين خاصة من هذه القضية ؟ وما هي طرق حلها من وجهة نظر إسلامية محضة ؟ وكل هذه التساؤلات يجب على وسائل الاعلام أن تجيب عليها في برامجها المختلفة وتبصر أبناء هذه الأمة قدسية هذه القضية وانتماءها إلى الاسلام، وتبين في هذا الصدد واجب كل مسلم تجاه هذه القضية بوضوح، وإن قضية أفغانستان ليست عن أعيننا ببعيد .

وينبغي لوسائل الاعلام أن تضع هذه الحقائق أمام شهود الأعيان بصدق وأمانة دون التشويه للحقائق بأي شكل من الأشكال ، ولا شك أن وضع هذه الحقائق أمام أعين الناس في صورتها الحقيقية يكون أكثر تأثيراً في النفوس وليس الخبر كالعيان .

٣ - الاهتمام بالدعوة الإسلامية على بصيرة، وتبصير الرأي العام بعالمية الدعوة الإسلامية :

كما سبق أن قلنا أنه ينبغي أن تكون كل وسائل الاعلام موظفة في سبيل خدمة الدين والدعوة الإسلامية .

لأن الاهتمام بالدعوة هو واجب كل مسلم وكل مؤسسة وكل دولة بكل وسائلها وامكاناتها المادية منها والمعنوية ، وبكل كيانها ووجودها في نظر الاسلام .

وكما قلنا أن الدعوة الإسلامية هي رسالة إعلامية مستقلة يجب إبلاغها لجميع الناس ، وهناك العبء الكبير الذي يقع في هذه الأيام على الاعلام الاسلامي ورجاله ووسائله وذلك لتبصير الرأي العام وال جماهير عبر قنواتها المختلفة بعالمية الدعوة الإسلامية وشموليتها ، وذلك عن طريق:

١ - العناية الكاملة والرعاية التامة والمتابعة للحركات الإسلامية في العالم ، يمكن لمؤسسات الصحافة: من مجلات وجرائد ودوريات متابعة تلك الحركات يوميًا وتلقى الأخبار عن مصادرها الأساسية بصدق وأمانة وموضوعية تامة، وعرضها للقراء، وكما يمكن للمذيع والتليفزيون تقديم برامج مختلفة عن حقيقة تلك الحركات ، وسيرها والتعرف على مشكلاتها وذلك بعد اجراء مقابلات مع رؤسائها ومنظميها والقائمين عليها، وأن لا تتركوا المجال في ذلك للإعلام المعادي الذي يغيّر الحقائق ويشوّهها ، والجدير بالذكر يجب على القائمين على هذه الوسائل تلقي الأخبار مباشرة دون واسطة على قدر الإمكان، وأن يقدموها الى السامعين والمشاهدين في منتهى الدقة والأمانة والموضوعية .

كما يمكن للعلماء والكتاب المسلمين أن يقوموا بدورهم إزاء تلك الحركات من خلال كتاباتهم عنها وتوضيح أهدافها وأصولها الإسلامية والدفاع عن مبادئها والقائمين عليها .

٢ - الواجب على القائمين بوسائل الاعلام أن يقدموا برامج عن جغرافية العالم الاسلامي ، وسكانه ، وعاداته ، وتقاليدته وثقافته وعن وضعه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، ولأن من طبيعة الدعوة الإسلامية وأساليبها ، دراسة البلاد الإسلامية دراسة جغرافية وتاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية حتى يمكن للداعية أن تنجح في مهمتها والدعوة أن تستقر وتثبت .

٣ - الاهتمام بالدعوة ورجالها . لأن الدعوة لا تقوم إلا على عاتق الدعاة الى الله تعالى ومن ثم يجب مساعدتهم ودعمهم وتعريفهم للناس .

واننا نشاهد اليوم أن الميشرين المنصرين في أنحاء العالم كم يلقون من الدعم المادي والمعنوي ، والرعاية والمتابعة الفائقة من قبل أتباعهم وأنصارهم ، وكم يلقون اهتماما بالغا من قبل وسائل

الإعلام الغربية ، وإن الواحد منهم لو طرد أو سُجن أو حُجز فإن العالم المسيحي بأجمعه يسعى في سبيل تخليصه ورعايته ، يقيمون الاجتماعات والجلسات ، والمؤتمرات ، ويهتمون بأمره وتستنفد كل وسائلهم الإعلامية المختلفة طوال الشهور والسنوات ، كأن القيامة قد قامت وأن الدنيا قد انقلبت .

فالواجب على وسائلنا الإعلامية الإهتمام البالغ بالدعوة والمجاهدين في سبيل الله أينما كانوا وحيثما كانوا، وذلك بمتابعة أخبارهم ونشرها على الجماهير ، وتعظيم أمرهم واحترامهم وتقديرهم، ويقدمونهم نماذج مثالية في الدعوة إلى الله تعالى .

٤ - ومن واجب الاعلام الاسلامي تبصير الرأي العام بعالمية الدعوة الاسلامية وشموليتها ، لأن الدين الاسلامي دين عالمي ، وأن الدعوة دعوة عالمية ، ولذلك فلا بد وأن تعمل هذه الوسائل على ابراز هذه الحقيقة وإيصالها للناس جميعا عبر قنواتها المتعددة ، وذلك بنشر الكتب الخاصة عن روح الدين الاسلامي وتعليماته العادلة ومبادئه القيمة والموجهة على غير المسلمين بأسلوب مشوق وجذاب .

وكما يمكن للمذيع والتليفزيون تقديم برامج خاصة عن روح الدين الاسلامي ، وعن مضمون رسالة الإسلام والهدي القرآني والنبوي مقارنة في ذلك مع البيانات الأخرى بطريقة علمية موثقة على يد الأساتذة المختصين بأسلوب الدعوة والجهاد .

٤ - تقديم بعض البرامج في الإذاعة والتلفزيون عن الجهاد وأهميته في حياة الأمة الإسلامية في الوقت الراهن وإحياءه في نفوس أبناءها ، لأن الجهاد قضية الساعة ، وهي فريضة إسلامية كادت أن تموت لولا عناية الله تعالى وعناية المتحمسين لدينهم ودعوتهم من أبناء هذه الأمة المحمدية :

إن مثل هذه البرامج يتعرف المؤمن من خلالها على حقيقة الجهاد الإسلامي ، من منبعها الأصلي ، كما يتعرف على حقيقة الدعوات المعادية للإسلام والتي تقدم للناس في ثوب إسلامي مثل : القومية والوطنية والشعبية ... الخ التي أثبتت الواقع المعاصر فشلها في حل قضايا الأمة ، وإن هذه البرامج ولابد من أن ترمي إلى إشعار الناس بوجوب الجهاد الإسلامي على كل فرد حسب موقعه وقدرته عليه ، وإفهامهم أهميته الجهاد في حياة الأمة الإسلامية وفي قيام الحضارة الإسلامية على وجه الأرض .

ومن واجب وسائل الإعلام المقروءة إصدار نشرات خاصة بالجهاد والمجاهدين ، وتخصيص بضع صفحات للجهاد في الصحف والمجلات ودوريات وغيرها من الوسائل ، وإحياء الروح الجهادية في نفوس المؤمنين ، فعلى الوسائل الإعلامية بكاملها إبراز مادة الجهاد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة وتحريض الناس على الجهاد وحثهم عليه بالنفس والمال ، وتقديم حملات إعلامية مكثفة ضخمة ترمي إلى إذكاء هذه الروح الأسيلى والنبيلة في قلوب المؤمنين وإحياءها ، وبث الروح الفدائية في كيان المسلمين ، وذلك بإنتاج أفلام سينمائية وشرائط فيديو وتسجيل صوتي تعرض حياة المجاهدين وحياة مشاهير القادة الإسلامية في التاريخ الإسلامي العريق ، ومن الحياة الواقعية في الجهاد الإسلامي ، مثل : حياة المجاهدين الأفغان في الجبهات القتالية ، وأطفال الحجارة في فلسطين المحتلة . وتعرض هذه الأفلام على شاشة التلفزيون في كل الدول الإسلامية في فترات محددة بصفة مستمرة ، وفي المدارس والجمعيات والنوادي وفي كل مكان يمكن التجمع فيه لإحياء هذه الروح الجهادية في النفوس وتقوية الحماسة الدينية في القلوب .

وكما يجب على كافة الوسائل الإعلامية عمل برامج خاصة في المناسبات التاريخية الإسلامية الجهادية لتذكيرهم بأمجاد تاريخنا المجيد ولتبقى الروح الجهادية لدى السامعين ، والقارئ والمجاهدين حيّة يقظة . كما سبق وأن قلنا أن انتهاز المناسبات التاريخية في التربية من أهم مميزات التربية الإسلامية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتهز الفرص ، ويخطب فيها أصحابها بناء على تأثيرها في النفوس ، وقد تكلمنا ^{على ذلك} بشيء من التفصيل عند حديثنا عن واجب المسجد في التربية الجهادية .

ولا يفوتني هنا أن أؤكد أهمية تقديم المسلسلات عن قصص الأنبياء عليهم السلام لأن حياتهم عليهم السلام سلسلة من مظاهر الجهاد والبطولة والشجاعة ، وبذلك يتعرف المؤمن من خلال هذه القصص أن الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله سنة الله تعالى في هذه الحياة ، وهي قائمة منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة .

هـ - مواجهة الإعلام المعادي :

وقد كانت وسائل الإعلام من أهم أسباب نجاح الغزو الفكري الذي قام به الغرب لاكتساح العالم الإسلامي والسيطرة عليه فكرياً ، وتكريس عمليات التنصير والتبشير وتغريب المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وقيمهم ، وقد نجحت في ذلك بسبب ضعف بعض المسلمين وجهلهم ومرضهم وفقيرهم وحاجتهم للغذاء والكساء والعلاج والمال ، مما أسلمهم لمغريات أعدائهم فخسروا في ذلك أنفسهم ودنياهم وآخرهم .

إن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم يريدون النيل في كل فرصة من الإسلام ومفاهيمه ، وأنهم قد عرفوا منبع عز المسلمين ومصدر قوتهم ، وهو العقيدة والجهاد من أجلها ، ولذلك كرّسوا جهودهم كلها بأساليب مختلفة على هذه المفاهيم ، لإماتتها في نفوس المؤمنين والحوط من شأنها . استخدموا لذلك كل وسائل الإعلام في سبيل محاربة المسلمين في عقيدتهم وجهادهم .

ويشترك في ذلك كل من اليهود والنصارى ، لأن الجهاد الإسلامي ونتائجه لا يتفق مع مصالحهم ومطامعهم ، حتى أن جميع الخلافات الناشئة بينهم تزول عند التقاء مصالحهم على مخاصمة الإسلام ، ومن هنا لقد وقفوا من الاسلام عامة ومن الجهاد خاصة موقف العداء والكيد والخداع .

ولقد اختاروا المعركة ضد العقيدة والجهاد لما فيها من المعاني السامية والحركة والنشاط ومن ثم الاستيلاء على عروش الطغاة ، وإن خوف الغرب من العقيدة الاسلامية والجهاد قد بلغ أعماق قلوبهم وكيانهم .

ويقول في ذلك مصطفى خالدي وعمر فروخ في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية^١ (١٩٨٢ م) : « ويصفان خوف الغرب من الإسلام والجهاد نقلاً عن أحد الغربيين قوله : " إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الاسلام ، ولهذا الخوف أسباب منها : أن الاسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً ، بل هو دائماً في ازدياد واتّسع ، ثم ان الإسلام ليس ديناً فحسب ، بل ان من أركانه الجهاد " . (ص ١٣١) » .

انظر كيف يخاف الأعداء من العقيدة الاسلامية والجهاد ، وكيف تنبّهوا إلى أهمية تلك المفاهيم في حياة الأمة الاسلامية ، وسبب وجودها ؟ . ولقد سلموا في ذلك عدة مسالك :

الأول : كتابات المستشرقين وهي تشتمل على التشكيك في طبيعة الجهاد وتشويه حقيقة صورته وتحقير الجهاد والتنفير عنه ، وتصويره مظهراً من مظاهر التخلف .

الثاني : موقف الوسائل الإعلامية الغربية المسموعة والمرئية من الجهاد والمجاهدين في الآونة الأخيرة . ولقد درجت وسائل الاعلام الغربية في هذا العصر على تشويه صور المجاهدين ومواقفهم القتالية وتصوير المجاهدين الفدائيين بالإرهابيين والمتطرفين والمتمردين وما أشبه ذلك من الأوصاف الذميمة والبغيفية .

الثالث : حملات التنصير والتبشير التي تدعم بجميع وسائل الإعلام الغربية والتي شملت معظم البلدان الإسلامية .

إن الإعلام المعادي لا يترك مجالا من المجالات ولا فرصة من الفرص إلا ويدس سمومه من خلالها ، ويغتنم ضعف الإعلام الإسلامي ويحاربه بطريقة غير مباشرة ، وقد نلمس هذه الظاهرة عند مشاهدتنا لبرامج التاريخ الإسلامي التي تعد من قبل الغربيين ، يزورون تاريخنا في كثير من المسلسلات التاريخية ، ثم نشترىها منهم ونعرضها على شاشة التليفزيون دون الوعي بمضمونها ، حتى إن أفلام الرسوم المتحركة المتخصصة للأطفال ليست خالية من الأخطار ، فكثيرا ما نشم فيها ريح المسيحية ، وهي في منتهى الخطورة في تربية الأطفال .

إن واجب الإعلام الإسلامي في محاربة الإعلام المعادي جهاد في سبيل الله تعالى فلا بد من محاربته ومجابهته ، ومنافسته حتى يقلل على قدر الإمكان من أضراره وأخطاره وتأثيره على الإسلام والمسلمين . ومن هنا يمكن لنا أن نحدد واجب الإعلام الإسلامي في محاربة الإعلام الغربي كما يلي :

١ - إصدار الكتب الدينية في العقيدة الإسلامية والثقافة الإسلامية العامة وفي الجهاد الإسلامي وإرسالها إلى المسلمين في آسيا وأفريقيا وكل مكان يوجد فيه رساليات التبشير والتنصير ، ويمكن من خلالها إيقاظ المسلمين وتوعيتهم الدينية ، توضح فيها حقيقة الدعوة الإسلامية والجهاد الإسلامي وأهدافه وثمراته مدعما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وسيرة الصحابة الكرام .

٢ - إصدار نشرات خاصة لكشف نوايا المبشرين والمستشرقين ، وبيان أساليبهم وطرقهم في ذلك حتى يكون المؤمنون على بينة من أمرهم ولئلا يقعوا في مصائد هؤلاء الكافرين وأن لا يغتروا بتقديمهم الخدمات الانسانية .

٣ - القيام بحملات واسعة النطاق من قبل جميع الوسائل الإعلامية الإسلامية على الإعلام المعادي بصفة مستمرة في الجرائد والمجلات والدوريات وفي المذياع والتليفزيون ، للرد على مزاعم الأعداء بطرق علمية مقنعة .

٤ - السعي لعمل الأفلام المحلية والإكتفاء الذاتي بها على قدر الإمكان ، وإذا كانت هناك حاجة ضرورية لشراء الأفلام من الخارج فلا بد من تنقيتها ، واختيارها من قبل اللجان المختصة .

٦ - الاهتمام بالرياضة بروح إسلامية عالية :

إن الرياضة اليوم لها النصيب الأكبر والحظ الأوفر من بين اهتمامات الوسائل الإعلامية بشكل عام ، وهي تمارس في الغرب تحت شعار " الرياضة لأجل الرياضة " بعيدة عن أية روح، ومن هناك انتقلت إلى عالمنا الإسلامي بكل حذافيرها ، وأصبحت تمارس بعيدة عن الروح الإسلامية وآدابها وأخلاقيها كما سبق وأن قلنا ، ولاشك أن توجيه الشباب إلى ممارسة الرياضة بهذه الصورة في كثير من الدول الإسلامية ، هو إهدار لطاقات الشباب في سبيل الأهداف الهابطة والغايات الدنيئة .

ومن واجب وسائل الاعلام هو توجيه الشباب لممارسة الرياضة بروح إسلامية تهدف إلى تنمية الشباب جسميا وعقليا وتعدهم للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى ، وبذلك تعتبر الرياضة عبادة يثاب المرء عليها ، تفيده في الدنيا والآخرة ، ثم لابد لوسائل الإعلام من الاهتمام بغرس الأخلاق والآداب الرياضية وفق التصور الإسلامي ، وأن تركز اهتمامها على تكوين الأخوة الدينية والتعاون ، والتساند والتضامن بين ممارسي الرياضة ، مع توجيهها إلى التنافس الشريف وروح الرجولة .

فالإعلام الإسلامي قادر باذن الله تعالى على أن يجعل الرياضة سببا من أسباب التعارف والتآلف بين شباب هذه الأمة وتقوية عنصر الوحدة بين الشعوب الإسلامية والجماعات الإسلامية ، وهو قادر بتوفيق الله تعالى على إعداد جند الله تعالى ، الذين يتسمون بقوة الجسم والروح العاليتين والاتزان العقلي والفكري .

ويجدر بنا في هذا المقام أن نؤكد ضرورة التنسيق والتعاون بين هذه المؤسسات حتى تتم عملية التربية والتعليم في صورة جيدة ، لأن هذه المؤسسات متشابكة ومرتبطة بعضها ببعض ، ولكل واحدة من تلك المؤسسات تأثير مباشر أو غير مباشر على حياة الناشئة ، ثم إن التربية مسئولية مشتركة بين تلك الأوساط وقد يقول القائل : لماذا لم أتناول دور الدولة أو واجب الدولة في التربية الجهادية مع أن واجبها في الدرجة الأولى من الأهمية في تربية الناشئة تربية جهادية ؟

وأقول أن واجب الدولة كبير ومهم في هذا المجال إلا أن تربية الأفراد لا تتم إلا في المؤسسات سواء أكانت متمثلة في الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام المختلفة. والدولة هي التي تشرف عليها إدارة وتخطيطا وتنفيذا ومراقبة ومتابعة وتمويلا، وبعبارة أخرى أن تلك المؤسسات كلها تحت سلطان الدولة ومراقبتها.

فلا بد للدولة أن تتيح فرصة لهذه المؤسسات حتى تؤدي أدوارها في حرية كاملة كما أراد لها الله سبحانه وتعالى ، ثم لا يمكن أن يتم إعداد الشباب إعداد متكاملًا مؤهلًا للجهاد إلا في ظل دولة إسلامية اتخذت لنفسها الدعوة والجهاد شعارًا.

يقول في ذلك عبد الله بن أحمد قادري في كتابه دور المسجد في التربية " (١٤٠٧ هـ) :

" والواجب على ولاة أمور المسلمين أن ينصبوا لشباب الأمة الأهداف العليا التي نصبت لهم في العصور الإسلامية المفضلة التي من أهمها رفع راية الإسلام في الأرض بالجهاد في سبيل الله ، إعدادا معنويا وماديا، ودعوة إلى الله وغزوا في سبيله ، وأن لا يصرفوا ذلك الشباب إلى ما يشغله عن تلك الأهداف بأهداف أخرى هابطة تبعده عن دينه ورجولته وتطلعه للعزة الربانية التي ساد بها أجداده الأوائل أمم الأرض بالهدى ودين الحق " (ص ٥٧)

ولا شك إذا كانت الدولة صاحبة رسالة وقضية، تضع أهدافاً علياً إسلامية في سياستها التعليمية وتبذل قصارى جهدها في تنفيذها في مؤسساتها التعليمية المختلفة ، ومن هذه الأهداف إعداد الشباب إعداداً متكاملاً وتربيتهم تربية جهادية ، وتقوم الجهات المختصة بصياغة المناهج الدراسية صياغة إسلامية ، وصباغتها صباغة جهادية .

وأود في هذا المقام أن أنبه القاريء أنني قد ركزت في بحثي هذا على تربية الأبناء تربية جهادية دون البنات ، وهذا لا يعني أن البنات بصفة خاصة والنساء بصفة عامة ليس لهن واجب في الجهاد أو بمعنى آخر أنه لا يجب تربيتهن تربية جهادية ، بل يجب تربيتهن على هذا ، عليهن واجب كبير في الجهاد الإسلامي ، ولكن أجرينا البحث على سبيل التغليب .

إن الجهاد بمعناه الخاص ، وهو القتال في سبيل الله تعالى ليس فرضاً على النساء ، ولكن الجهاد بمعناه العام كما حددنا في بداية هذا البحث، واجب على النساء والرجال دون تمييز. ولقد اشتركت بعض النساء الصحابيات في القتال بالفعل يوم أُحُد ، كما اشتركت بعض منهن في علاج الجرحى وسقايتهم في نفس المعركة .

روى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأمر سُلَيْم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا ، فيسقين الماء ويداوين الجرحى " (كتاب الجهاد والسير ، رقم ١٨١٠) .

ولقد ورد في سيرة ابن هشام (١٤٠٨ هـ) أن أم عمار ، نسيبة بنت كعب المازنية قد باشرت القتال يوم أُحُد ، و ذُبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف ، ورمت عن القوس حتى جرح " (ج ٣ ، ص ٤٥) .

ولاشك أن تربية البنات والنساء تربية جهادية لا تختلف عن تربية الرجال إلا في بعض النقاط ، وإن هذه النقاط ترجع إلى طبيعتهم في الخلق .

وفطرتهن ، ولابد في أثناء عملية تربيتهن مراعاة تلك الخصائص والمميزات ، وكذلك أن تربية الأبناء تربية جهادية تختلف عن تربية البنات ، وأن وجه هذا الاختلاف مرده الاختلاف في الخلقة والطبع والفطرة .

إن المرأة لو قامت بواجبها نحو زوجها وأولادها فإنها تحصل ثواب المجاهدين من الرجال في سبيل الله تعالى لما يترتب على صنيعها هذا من حسن إعداد لعوامل الجهاد ، خلاصة القول أن النساء يشتركن مع الرجال في التربية الجهادية ، فلا بد من تربيتهن تربية جهادية حتى يقمن بواجبهن نحو أمتهن ودينهن ، وفي تربية أولادهن تربية جهادية ، وهذا لا يقتضي تربيتهن تربية عسكرية .

(نتائج البحث)

لقد تمكن الباحث بعون الله تبارك وتعالى وتوفيقه من خلال هذا البحث التوصل إلى مجموعة من النتائج التي يمكن صياغتها في النقاط التالية :

١ - إن الجهاد في الاسلام هو ذلك الجهد الذي يبذل لإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى في الأرض ، وهو مصطلح اسلامي وقرآني ولا يشوبه أية شائبة وهو يشمل جهاد المؤمن نفسه وأهوائه وغرائزه ، ومعالجته لمجتمعه من الانحراف الخلقي والعقائدي وحماية مقدساته ومبادئه ، ثم هو الجهد الذي يبذله المؤمن في تحرير الأمم والبلدان من عبادة غير الله تعالى إلى عبادة الله الواحد الأحد لتكون كلمة الله هي العليا ، ومنهجه هو السائد ، وشريعته هي النافذة .

٢ - إن الجهاد في الاسلام بكل أنواعه ومراحل وسيله لا غاية ، وسيله لتحقيق الأهداف التي بينها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وهي إقامة منهج الله تعالى في الأرض عقيدة وشريعة ، وتبليغ دعوة الاسلام إلى العالم ، وإفزع عدوان الكافرين وحماية المظلومين والمستضعفين ، ابتلاء المؤمنين ونيل الشهادة في سبيل الله تعالى ، والحصول على الغنيمة والغنى ، وكل هذه الأهداف متمثلة في قوله صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى " .

٣ - يعتبر الجهاد قاعدة أساسية من قواعد الاسلام الخالدة ، بل هو عموده وذروة سنامه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذورة كفاحه الجهاد " ، إنه تجارة مع الله تعالى وفوز عظيم ونعيم مقيم ، ومن أفضل الأعمال والقربات إلى الله تعالى .

٤ - إن الجهاد بمعناه العام فرض على كل مسلم ومسلمة ، وواجب على كل واحد أن يجاهد في سبيل الله تعالى كل حسب ظروفه وموقعه وإمكاناته ، ولا يتخلّى أحد عن أداء هذا الواجب المقدس مهما كان وحيثما كان .
كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ((إن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب ، وإما باللسان ، وإما بالمال ، وإما باليد ، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع)) .

٥ - إن الجهاد في الاسلام له مدلوله الخاص ، وهو يختلف عن حروب الناس في الأهداف والوسائل والبواعث والآداب ، ولا يمكن تقسيم الحروب في الاسلام إلى دفاعي وهجومي بالمفهوم الحديث الشائع ، وإن كان لابد من تقسيمه فإنه دفاعي وهجومي بالتصور الاسلامي .

فهو فريضة الله تعالى إلى الأبد ، إلى يوم القيامة ، لا يبطله فاسق ولا فاجر ولا خائن ، فهو قائم على أيدي عباد الله المتقين المجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٦ - إن في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم منهجا كاملا لأعداد المجاهدين في صورة تطبيقية عملية ، تلك التربية التي تجعل صاحبها مجاهدا في سبيل الله تعالى ، تحرك مشاعره وعواطفه ووجدانه ، تقوي عزائمه ، تنمي روحه وتغذيّه ، تخلصه من الخوف واليأس والكسل ، تحليه بالشجاعة والصبر والثبات وروح الفداء والتضحية ، تنمي فيه شعور العزة والكرامة وخلق البذل والعطاء وحب الاستشهاد ، وتنمي روح الأخوة والتعاون والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

٧ - إن مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم كانت مدرسة الجهاد من بدايتها إلى نهايتها . ولقد تخرجت منها أسمى معاني الفداء والتضحية والشجاعة بأذلين أنفسهم ، وأموالهم في سبيل الله تعالى ، ولا يخافون لومة لائم ، تركوا أهلهم وأوطانهم وديارهم في سبيل إيمانهم وعقيدتهم ودعوتهم ، نشروا الإسلام في بقعة كبيرة من العالم في وقت وجيز

لم يشهده التاريخ مثله . ثم لقد صير النبي صلى الله عليه وسلم الحياة كلها جهاداً ، وان الواحد من الصحابة الكرام إذا أسلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فسرعان ما ينتقل إلى حد الدفاع عن عقيدته ، ويعتبر نفسه جندياً من جنود الله تعالى وعضواً في حزب الله عز وجل يندفع بكلية إلى ميادين العز وساحات القتال معبّئاً بشحنة إيمانية يستعذب الموت في سبيل الله تعالى ، ويكون الجهاد في سبيل الله أسمى أمانيه .

٨ - إن التربية الجهادية هي تنشئة الفرد المسلم على الاعتزاز بدينه والعمل به والدعوة إليه وبذل الجهد في نشره ، وأن يكون مسلحاً دائماً بالصبر والثبات ، والعزيمة وروح الفداء والتضحية في سبيل الله تعالى ، وأن يكون مستعداً للجهاد المستمر بكل ما أوتي من امكانات مادية أو معنوية مراعيًا في ذلك متطلبات العصر الذي يعيش فيه ، وذلك لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى . وأن هذه التربية ضرورية لبقاء الأمة أمة قوية مرهوبة الجوانب ليعيش أفرادها في عز وسلامة ورفاهية يطبقون في الأرض شرع الله تعالى عقيدة ودستور حياة ، وينطلقون إلى العالم لنشر الدعوة الإسلامية إلى جميع البشر وليقدموا للانسانية مفاتيح الخير والسعادة ويحرروها من الاستعباد تحت سلطان الطغاة والجبابرة ومن ثم اطلاقهم أحراراً ليتعرفوا على مبادئ الاسلام وتعليماته القيمة حتى يؤمنوا عن اقتناع وحجة وبرهان .

٩ - إن اعداد الأجيال على هذه التربية مسئولية كبرى تقع على عاتق القائمين والمسؤولين عن التربية والتعليم والمؤسسات في البلاد الإسلامية بصفة عامة .

إن التربية الجهادية ليست مسئولية الدولة متمثلة في المدارس والجامعات وليست مسئولية الأسرة متمثلة في الوالدين فقط ، وليست مسئولية مؤسسة بعينها وإنما هي مسئولية مشتركة بين كل المؤسسات

التربوية القائمة في المجتمع ، كل وفقا لامكاناته ومكانته في المجتمع .

١٠- إن الترابط والتكامل بين المؤسسات التربوية مجتمعة في المجتمع الواحد يؤدي إلى تحقيق الهدف العام من التربية الجهادية وهو إعداد الفرد والمؤمن القوي في إيمانه وبدنه ، الأمين الحامل للواء الدعوة الإسلامية ، والساعي إلى نشرها والموت في سبيلها .

(توصيات البحث)

وبعد عرض نتائج البحث بصورة موجزة يمكن للباحث أن يقدم عدة توصيات للقائمين والمسؤولين عن تربية الناشئة بصورة عامة ، حتى يمكن لهم أن يعدوا الأجيال تربية جهادية .

أولا : أن يكون هناك مادة مقررة واعتبارها مادة أساسية بعنوان (التربية الجهادية) في جميع المراحل الدراسية ابتداءً من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية ، ويشمل هذا المقرر دراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم ، وأحاديث الجهاد في كتب الحديث ، وفقه الجهاد في كتب الفقه ، وشيئا من شعر الجهاد مع حفظ بعض النصوص ، وكما يشمل تقديم فكرة عن الحركة الجهادية في الوقت الراهن .

حيث يوجد ما يسمى في بعض البلدان العربية والاسلامية مادة بالتربية الوطنية أو التربية القومية ، وبالتالي نضيف على هذه المادة الطابع الاسلامي ، ومع ذلك فلا بد من الطابع المحلي لكل بلد .

ثانيا : تدريس مادة السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الاسلامي في صورها الاسلامي وفي صيغتها الاسلامية حيا تطبيقيا باستخلاص النتائج والعبر وربط الحاضر بالماضي . وكذلك يوصي الباحث المسؤولين عن السياسة التعليمية في البلاد الاسلامية بضرورة تأليف المراجع في السيرة والتاريخ الاسلامي في صيغتها الاسلامية ، ومن ثم جعلها مقررات دراسية في المدارس ، على أن يتم ذلك في كل المراحل التعليمية بغض النظر عن طبيعة التخصص .

ثالثا : الاستفادة من المسرح المدرسي لتقديم التمثيليات البطولية —
الجهادية في المدارس .

رابعا : إقامة الدورات والمعسكرات في فترات محددة لتعويد التلاميذ
على جوّ الرجولة والحياة الجهادية ، وإن يسند التدريب في هذه
الدورات الى رجال يتحلون بالاخلاق الفاضلة والكفاءة العسكرية العالية .

خامسا : القيام بحملات إعلامية مكثفة تحث الناس على الجهاد الاسلامي
ومساندة المجاهدين في كل مكان . وتقديم مسلسلات إذاعية —
وتليفزيونية لبيان حقيقة الجهاد الاسلامي وأهميته في حياة
الأمة في الوقت الحاضر .

سادسا : انتاج أفلام سينمائية وتسجيل صوتي وشرائط فيديو تعرض حياة
المجاهدين ومشاهير قادة الاسلام في التاريخ الاسلامي ، وكذلك
حياة المجاهدين وقضايهم ، وأحوالهم في الوقت الراهن في
أفغانستان وفلسطين وغيرها من البلاد الاسلامية .

سابعا : إصدار نشرات خاصة بالجهاد ، وتخص صفحات عدة في ما تصدره
المؤسسات الصحفية من مجلات ودوريات وجرائد .

ثامنا : الاهتمام بالأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم من قبل
المسجد وجميع وسائل الاعلام ، ودراسة قضايهم ومشاكلهم في
جميع المراحل الدراسية في المدارس .

تاسعا : الاهتمام بالرياضة بروح اسلامية في المدارس في جميع الوسائل
الاعلامية . بحيث يرتدى المدرب الأزياء الساترة وان يجنب جميع
الحركات المثيرة .

عاشرا : فرض التجنيد الاجباري لجميع شباب الأمة الاسلامية حتى يتدربوا
تدريباً عملياً على استخدام جميع أنواع الأسلحة الحديثة .

وفي الختام يوصي الباحث جميع الحكومات في البلاد الاسلامية وولاة
أمور المسلمين في أنحاء العالم أن يهتموا بشباب هذه الأمة لاعدادهم
إعداداً جهادياً .

ولذلك يجب عليهم أن يرسموا سياساتهم التعليمية وفق التصـوـر
الاسلامي حتى يكونوا قادرين على تحمل مسئولياتهم نحو أنفسهم وأمتهم .

واني وأنا أختتم هذا البحث المتواضع لا، أستطيع أن أقول راني قد
أعطيت حقه من الدراسة ، أو بلغت مرتبة الكمال لأن هذا محال من البشر
فكم من باحث طويل السماع ، يكتب بحثا اليوم ، ثم يراجعه غدا ، فإذا هو
يقول : لو أنني قدّمت هذا لكان أحسن ولو أخرت هذا لكان أحسن ، فغاية
القول أنني بذلت ما في وسعي - حسب ظروفي وحسبي أني حاولت إخراج
الموضوع على هذه الصورة . فأن أصبت فبتوفيق الله تعالى وفضله وإحسانه
وله الحمد والمنة ، وإن قصرت أو أخطأت - وهذه من طبيعة البشر -
وأستغفر الله عز وجل . لان التقصير مني ومن الشيطان .

ولاشك أن التربية الجهادية في الاسلام موضوع طويل ، وهي تحتاج إلى
دراسات ودراسات كما أردت في بحثي هذا إلا إبراز الجانب التربوي من
الجهاد ، وكذلك أن أثبت أن هناك تربية جهادية في الاسلام ، يجب تربية
الناشئين عليها .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

المصادر

(رتبت هجائيا حسب اللقب)

(أ)

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن تيمية ، أحمد بن تيمية : المصارم المسلولة على شاتم الرسول (صلى الله عليه وسلم) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ ، (مصر : مطبعة السعادة) .
- _____ : مجموع الفتاوى ، جمع : عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد ، بلا تاريخ (الرباط : مكتبة المعارف) .
- ٣ - ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني : فتح الباري شرح البخاري ، ١٣٧٨ هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي) .
- ٤ - ابن حزم ، الأندلسي : المحلى ، ط ٤ ، بلا تاريخ (بيروت : دار الفكر) .
- ٥ - ابن رشد (الحفيد) ، محمد بن رشد القرطبي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ط ٢ ، بلا تاريخ (مصر : مكتبة الكليات الأزهرية) .
- ٦ - ابن رشد (القاضي) : المقدمات الممهدات ، ١٤٠٠ هـ ، (بيروت : دار صادر) .
- ٧ - ابن عابدين ، محمد أمين : حاشية رد المختار على الدر المختار ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي) .
- ٨ - ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله : أحكام القرآن ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ ، (مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي) .
- ٩ - ابن قدامة ، المقدسي : المغنى ، ط ١ ، بلا تاريخ ، (مصر : مكتبة القاهرة) .

- ١٠- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ (بيروت : دار الكتب العلمية) .
- ١١- : زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وأخوه عبد القادر ، ط ١٤ ، ١٤٠٧هـ (بيروت : مؤسسة الرسالة) .
- ١٢- ابن كثير ، أبو الفداء ، اسماعيل بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ، ط ٢ ، ١٩٧٤م ، (بيروت : مكتبة المعارف) .
- ١٣- : تفسير القرآن العظيم ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، (بيروت : دار المعرفة) .
- ١٤- ابن مبارك ، عبد الله : كتاب الجهاد ، تحقيق : نزيه حماد ، ط ١ ، بلا تاريخ ، (جدة : دار المطبوعات الحديثة) .
- ١٥- ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : السنن ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ ، (الرياض : شركة الطباعة العربية السعودية) .
- ١٦- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد : لسان العرب ، بلا تاريخ ، (القاهرة : دار المعارف) .
- ١٧- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية ، تعليق : عمر عبد السلام تدمري ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ، (بيروت : دار الكتاب العربي) .
- ١٨- ابن الهمام ، كمال : شرح فتح القدير ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي) .
- ١٩- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : السنن ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، بلا تاريخ ، (مصر : دار احياء السنة النبوية) .
- ٢٠- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بلا تاريخ ، (بيروت : دار الفكر) .

- ٢١- الألوسي ، أبو الفضل ، شهاب الدين السيد محمود : روح البيان :
الطبعة الأخيرة ، ١٣٩٨هـ ، (بيروت :
دار الفكر) .

(ب)

- ٢٢- البخاري ، محمد بن اسماعيل الجعفي : الصحيح ، تحقيق : مصطفى
ديب البغا ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ (دمشق :
دار ابن كثير) .

- ٢٣- البوصري ، شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الكناني : مصباح الزجاجة
في زوائد ابن ماجة ، تحقيق : كمال
يوسف الحوت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ (بيروت :
دار الجنان) .

- ٢٤- البيضاوي ، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر : أنوار التنزيل
وأسرار التأويل ، ١٤٠٤هـ ، (بيروت :
دار الفكر) .

- ٢٥- البيهقي ، أبو بكر ، أحمد بن الحسن : دلائل النبوة ، تحقيق :
عبدالمعطي قلعجي ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ (بيروت :
دار الكتب العلمية) .

(ت)

- ٢٦- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى : الجامع الصحيح ، تحقيق :
أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ ،
(بيروت : دار احياء التراث العربي) .

(ج)

- ٢٧- الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي : أحكام القرآن ، ط ٢ ،
١٣٩٩هـ ، (بيروت : دار الفكر العربي) .
٢٨- الجوهري ، اسماعيل بن حماد : الصحاح ، تحقيق : أحمد عبدالغفور
عطار ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ (القاهرة : طبع
على نفقة السيد حسن عباس الشربتلي) .

(٣٢٢)

(خ)

٢٩- الخازن ، علاء الدين علي بن محمد : لباب التأويل في معاني التنزيل ، ط ٢ ، ١٩٥٥ م ، (مصر : مطبعة البابي) .

(د)

٣٠- الدردير ، سيدي أحمد : الشرح الصغير على أقرب المسالك ، ط ٢ ، بلا تاريخ (القاهرة : الادارة العامة للمعاهد الأزهرية) .

(ر)

٣١- الرازي ، فخر الدين : التفسير الكبير والمسمى بمفاتيح الغيب ، ط ٣ ، بلا تاريخ (بيروت : دار احياء التراث العربي) .

٣٢- الراغب ، الاصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٨١ هـ (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .

(ز)

٣٣- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف ، الطبعة الأخيرة ، ١٩٧١ م (مصر : مطبعة مصطفى البابي) .

(س)

٣٤- السرخسي ، شمس الدين : المبسوط ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ ، (مصر : مطبعة السعادة) .

(ش)

٣٥- الشيرازي ، أبو اسحق ابراهيم الفيروز آبادي : المهذب ، ط ٣ ، بلا تاريخ ، (مصر : مطبعة عيسى البابي) .

(غ)

- ٣٦- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : أحياء علوم الدين ، بلا تاريخ ،
(مصر : مكتبة التجارية الكبرى) .

(ف)

- ٣٧- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ،
ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ، (بيروت : مؤسسة الرسالة) .

(ق)

- ٣٨- القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن ، ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ ، (القاهرة : دار الكتاب العربي) .

(ك)

- ٣٩- الكاساني ، علاء الدين بن مسعود : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ،
ط ٢ ، ١٣٩٤ هـ ، (بيروت : دار الكتاب العربي) .

(م)

- ٤٠- مسلم ، أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج النيسابوري : الصحیح ، تحقيق :
محمد فؤاد عبد الباقي ، بلا تاريخ ،
(مصر : مكتبة عيسى البابي) .
- ٤١- مالك بن أنس : الموطأ ، تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي ، بلا تاريخ (مصر : مكتبة
عيسى البابي) .

(ن)

- ٤٢- النسائي ، أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب : السنن ، بشرح
الحافظ السيوطي وحاشية الامام السندي ،
ترقيم : عبدالفتاح أو غدة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ،
(بيروت : دار البشائر الاسلامية) .

(و)

٤٣- الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد : أسباب النزول ، ط ١ ، ١٩٨٣ م ،

(بيروت : مكتبة الهلال) .

٤٤- الواقدي ، محمد بن عمر : المغازي ، تحقيق : مارسدن جونسون

بلا تاريخ ، (بيروت : عالم الكتب) .

(ي)

٤٥- ياقوت ، الحموي : معجم البلدان ، ١٤٠٤ هـ ، (بيروت :

دار صادر) .

(المراجع)

(رتبت هجائیا حسب القسب)

(1)

- ١ - إبراهيم ، نور الحق : الاعلام والجهاد ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ ، (المدينة المنورة : مكتبة الايمان) .
- ٢ - ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير : ١٩٨٤م ، (تونس : دار التونسية للنشر) .

(ب)

- ٣ - الباني ، عبد الرحمن : مدخل إلى التربية في ضوء القرآن ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ، (المكتب الاسلامي) .
- ٤ - البوطي ، محمد رمضان : فقه السيرة ، ط ٧ ، ١٣٩٨ هـ ، (دمشق : دار الفكر) .

(८)

- ٥ - جابر، عبد الحميد جابر ، وأحمد خيرى كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ١٩٧٨م ، (القاهرة : دار النهضة العربية) .
- ٦ - جوهري ، طنطاوي ؛ الجواهر في تفسير القرآن الكريم ، ط ٢ ، ١٣٥٠ هـ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي) .

(2)

- ٧ - حوّى ، سعيد : جند الله ، ط ٣ ، ١٣٩٩ هـ (بيروت : دار الكتب العلمية) .

(ۛ)

- ٨ - خطاب ، محمود شيت : الرسول القائد ، ط ٢ ، ١٩٦٠م (بيروت : دار مكتبة حياة) .

- ٩ - خفاجي ، محمود أحمد : العقيدة الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ .
١٠ - خالدي ، مصطفى ، وعمر فروخ : التشير والاستعمار في البلاد العربية ، ١٩٨٢ م ، (المكتبة العصرية الحديثة)

(د)

- ١١ - الدقس ، كامل سلامة : الجهاد في سبيل الله ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ ،
(بيروت : مؤسسة علوم القرآن) .
١٢ - الديلمي ، عبدالوهاب بن لطف : معالم الدعوة في قصص القرآن ، ط ١ ،
١٤٠٦ هـ ، (جدة : دار المجتمع) .

(ز)

- ١٣ - الزحيلي ، وهبة : آثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ط ٢ ،
١٤٠٣ هـ ، (دمشق : دار الفكر) .
١٤ - الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ط ٦ ، ١٩٨٤ م ، (بيروت : دار
العلم للملبيين) .
١٥ - زغروت ، محمد محمد ابراهيم : مجلة التوعية الإسلامية في الحج ،
العدد الرابع ، عام ١٤٠٨ هـ ، (مكة
المكرمة : التوعية الإسلامية في الحج) .
١٦ - زهران ، حامد عبدالسلام : علم نفس النمو ، ط ٤ ، ١٩٨٢ م (القاهرة
عالم الكتب) .

(ش)

- ١٧ - شديد ، محمد : الجهاد في الاسلام ، ١٤٠٤ هـ ، (بيروت :
مؤسسة الرسالة) .

(ص)

- ١٨ - الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ (بيروت :
دار القرآن الكريم) .
١٩ - قبس من نور القرآن الكريم ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ
(دمشق : دار القلم) .